

التجارة الداخلية

في المغرب الأقصى في عصر الوحدانية

(١٦٦١-١٧١١ هـ / ١٨٤٠-١٨٦٩ م)



مؤلفه
أحمد سعيد رزق

مطبعة
مكتبة دار الفنون

التجارة الإلكترونية

في المغرب الأقصى في عصر الموحدين

1142-1143 / 1740-1741 م



أحمد بن محمد

مكتبة المخطوطات

التجارة الداخلية

في المغرب الأقصى في عصر الموحدين

(٥٤١-٦٦٨ هـ / ١١٤٥-١٢٦٩ م)

Ahmad Saïed Rizq

تأليف

أ/ محمد علي أحمد قويدر

الناشر

مكتبة نشر فؤادية

فهرس المحتويات

رقم الصفحة

المقدمة

رسالة في المصادر

المقدمة

١٢ - ٢٩

١٣

جغرافية المغرب الأقصى وحدوده

١٥

سهول وأودية المغرب والأقصى

١٧

تقويم المغرب الأقصى ومنته

٢١

نقطة عن دولة الموحدين

٢٣

حكام دولة الموحدين

٢٧

نهلية دولة الموحدين

الفصل الأول

٣٠ - ٥٨

العوامل المؤثرة في مراكز التجارة الداخلية في المغرب الأقصى

٣١

عوامل جغرافية

٣٦

العامل السياسي في مدينة مراكش

٣٩

العامل الاجتماعي في مدينة مراكش

٤١

العامل السياسي في مدينة فاس

٤٣

العامل الاجتماعي في مدينة فاس

٤٥

العامل السياسي والاجتماعي على مدن سبتة وطنجة

٤٦

العامل السياسي والاجتماعي على مدن سلا وسلاسل وأغمات

٤٧

وسائل النقل وأهم الطرق الداخلية (برية - نهريّة - بحريّة)

٤٧

النقل البري

٤٩

الطرق البرية في المغرب الأقصى

٤٩

جغرافية طرق من مدينة مراكش إلى مدن المغرب الأقصى الشمالية

٥١

- طرق من مدينة مراكش إلى مدن المغرب الأقصى الجنوبية

٥٣

٥٤

٥٥

٥٥

الطرق البحرية بين مدن المغرب الأقصى
 - أنهار مدن المغرب الأقصى الشمالية
 - أنهار مدن المغرب الجنوبية
 الطرق البحرية في المغرب الأقصى

٨٩ - ٥٩

الفصل الثاني

الأسواق في مدن المغرب الأقصى

- ٦٠ تعريف السوق
 ٦١ موقع الأسواق ونظمها في مدن المغرب الأقصى
 ٦٣ أنواع الأسواق
 ٦٣ الأسواق داخل المدن
 ٦٣ مدينة مراكش
 ٦٤ مدينة فاس
 ٧١ القنصارية
 ٧٤ الأسواق الأسبوعية
 ٧٦ أسواق مدن المغرب الأقصى الشمالية
 ٧٨ أسواق مدن المغرب الأقصى الجنوبية
 ٨٣ العاملون في الأسواق
 ٨٣ أ- السمسرة والدالون
 ٨٦ ب- الجلاسون
 ٨٧ ج- العمالون
 ٨٨ د- الصفاة
 ٨٨ هـ- الموثقون
 ٨٨ ز- الصرافون

الفصل الثالث

١٢١ - ٩٠

الرقابة على الموانئ وإدارتها

٩١	قائمة (عامل على السوق)
٩٦	النظم التجارية
٩٦	أنواع السلع
٩٦	(١) السلع الزراعية
٩٦	(٢) السلع الحيوانية
٩٩	(٣) السلع الصناعية
١٠١	الأسعار
١٠٤	الأسعار في دولة الموحدين في المغرب الأقصى
١٠٦	التسعير والاحتكار
١٠٧	المكاييل والموازين
١٠٨	المقاييس
١١٢	طرق البيع والشراء
١١٤	المنشآت التجارية (الفنادق)
١١٩	

الفصل الرابع

١٢٢ - ١٢٢

المعاملات المالية والتجارية

١٢٣	العملة
١٢٨	أنواع المسكوكات
١٣٠	- السفائح والصكوك
١٣٢	- الحوالات
١٣٢	- الصيارفة
١٣٤	كوس (المغرم)

الفصل الخامس

التجار في المغرب الأقصى

١٤٤	عناصر للتجار
١٤٥	- البربر
١٤٦	- العرب
١٤٧	- الأندلسيون
١٥١	- السودانيون
١٥١	- اليهود
١٥٩	- النصارى
١٦١	تنظيمات التجار (جملة - منفرد)
١٦١	- تجار الجملة
١٦٣	- تجار منفرد (التجزئة)
١٦٤	- التجار الجائلون
١٦٤	علاقة الدولة بالتجار
١٦٦	الخاتمة
١٧١	الملاحق
١٨٤	لمصادر والمراجع

أحمد رضا

Ahmad Sàeed Rizq

المقدمة

كان الاتجاه الذي أتبعه المؤرخون في دراسة المغرب هو الاهتمام بالجانبين السياسي والثقافي ، رغم أن الجانب الاقتصادي له أهمية كبرى في تفسير كثير من التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية ، ولكن يشوب الجانب الاقتصادي أن مادته مشتتة مبعثرة بين ثنايا المصادر ، وكان علينا أن نلتقط منها ما يفيدنا في دراسة أحوال التجارة الداخلية في المغرب الأقصى وتحليلها للوصول إلى الحقائق التاريخية التي تعيننا على فهم هذا الموضوع للوصول إلى النتائج التي توضح أحوال التجارة الداخلية في المغرب الأقصى في عصر الموحدين محل الدراسة.

فبعد وفاة محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين انتقل الحكم إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي ٥٢٤هـ - ١١٣٠م ، ومعه قبائل المصامدة . وفي ٥٤١هـ - ١١٤٥م استطاع عبد المؤمن بن علي القضاء على دولة المرابطين وورثت دولة الموحدين عن دولة المرابطين ممتلكاتها في المغرب الأقصى والأندلس . وأصبحت دولة الموحدين دولة قوية ، ضمت بلاد المغرب بجميع أقسامها ، وكذلك الأندلس ، واستطاع الموحدون تكوين أكبر دولة في تاريخ المغرب . وأصبحت حدود دولة الموحدين حتى برقة مع حدود مصر ، مما مهد لها حياة مزدهرة في النواحي السياسية والاقتصادية ، فقد كثرت مواردها الاقتصادية فاتخذ عبد المؤمن بن علي إجراءات لازدهار موارد الدولة الاقتصادية منها :

- ١- مسح أراضي الدولة الزراعية ، حصراً دقيقاً وبيان لسكانها وخواص كل ولاية وثروتها وغلاتها ، حتى يتم تقرير الخراج على الأرض .
- ٢- عمل على حماية التجار وقطع جميع المغارم والقبالات والمكوس التي فرضها المرابطون من قبل .
- ٣- إشاعة الأمن وتأمين السبل للقوافل والتجارة في جميع أرجاء الدولة وحتى سواحلها ، مما ساعد على انتعاش التجارة الداخلية .
- ٤- فقد اهتم بالعملة وزاد وزنها فأصبحت أربعة جرامات وسبعين في المائة من الجرام في عصر الخليفة الثالث المنصور الموحدي سنة ٥٨٠هـ - ١١٨٤م الذي وصلت الدولة في عصره إلى ذروة مجدها .

وقد اهتم بالأسواق في الدولة عن طريق المحتسب (الأمين - صاحب السوق) الذي يتابع أحوال السوق ومحاسبة أي مخطئ في السوق ، وكان المحتسب وأشياخ البلد يقابلهم الخليفة مرتين في الشهر .

وظلت الحياة الاقتصادية (زراعية - صناعية - تجارية) مزدهرة حتى أصبحت مدن المغرب الهامة مثل مراكش وفاس وسبتة وطنجة وسجلماسة وأغمات من أهم المراكز التجارية في المغرب الأقصى ، ولكن هذا الازدهار في الاقتصاد والتجارة تعرض لاضطراب في أواخر عصر الناصر محمد ، حيث تعرضت الدولة لهزيمة في موقعة العقاب من نصارى اسبانيا ٦٠٩هـ - ١٢١٢م حيث بدأت مرحلة الضعف السياسي والاقتصادي . وتفتت بلاد المغرب إلى دويلات ثم سقوط الأندلس في يد الأسبان النصارى فأعقب ذلك غلاء ومجاعات اجتاحت المغرب كله ، ثم سقطت دولة الموحدين ٦٦٨هـ - ١٢٦٩م على يد بني مرين .

أما على صعيد المنهج الذي اعتمدت عليه في هذه الدراسة ، فقد نظرت إلى المادة التاريخية برؤية تكاملية تجمع بين الوصف والتحليل وتتعلق من طبيعة الموضوع نفسه ، مع إبداء الرأي إذ أمكن ، واستنباط النتائج التي تمكنت عن طريقها أن نصوغ الأفكار الجديدة صياغة علمية .

وقد اشتملت الرسالة على تمهيد وخمسة فصول . وقد جاء في التمهيد " نبذة عن دولة الموحدين (مؤسسها - عصرها - حكامها - نهايتها) ، وجغرافية المغرب الأقصى ، وحدوده ، وأقاليمه ، ومدنه .

وقد تحدثنا في الفصل الأول عن " العوامل المؤثرة في مراكز التجارة الداخلية في المغرب الأقصى : (مراكش - فاس - سبتة - طنجة - سجلماسة - أغمات)

فأشرنا إلى العوامل التي أثرت في هذه المراكز من عوامل (جغرافية - سياسية - اجتماعية) ، ثم أشرنا إلى وسائل النقل في عصر الموحدين ، وأهم الطرق الداخلية في المغرب الأقصى من (برية - نهريّة - بحرية) لأهمية الطرق ودورها في التجارة .

أما الفصل الثاني فخصصناه لدراسة " الأسواق في مدن المغرب الأقصى " فتحدثنا عن تعريف الأسواق ، وموقع الأسواق ونظمها في مدن المغرب الأقصى ، وأنواع الأسواق من يومية وأسبوعية وموسمية ، وتحدثنا عن أسواق أخرى يطلق

عليها القيسارية ، ثم تناولنا العاملين في الأسواق ودورهم في التجارة مثل الموتقين والدالين والسماصرة وغيرهم .

أما في الفصل الثالث فقد عرضنا دور " الرقابة على الأسواق وإدارتها " فتحدثنا عن دور المحتسب (العامل على السوق) وأوضحنا انه كان يطلق عليه في دولة الموحدين اسم الأمين ودوره في الأسواق . ثم النظم التجارية ، واهم السلع في مدن المغرب الأقصى المتبادلة بينهم ، ثم تطرقنا إلى الأسعار ، وأثر الدولة على الأسعار من ارتفاع الأسعار في فترة الاضطرابات والضعف والانهيار وفرض الضرائب ، وانخفاض الأسعار وانتشار الرخاء والأمن في فترة قوة الدولة وازدهارها والالتزام بالشريعة الإسلامية من موارد مالية . فضلا عن تناولنا لنظم الأوزان والمكاييل والمقاييس في عصر الموحدين ، كما أوضحنا طرق البيع والشراء في المغرب الأقصى ، ودور المنشآت التجارية (الفنادق) في التجارة الداخلية ، في مدن المغرب الأقصى .

وتحدثنا في الفصل الرابع عن " المعاملات المالية والتجارية " وقد اشرنا إلى العملة الموحدية فقد حدث فيها تعديلا على شكل العملة وجعلته مربع الشكل ، بينما كان فيما سبق مدورا . ومن الملاحظ على عملة الموحدين أنها لم تكن تحمل تاريخ الضرب ولا المكان الذي سكّت فيه ، إلا ما قل منها يرسم عليه في آخر الكتابة وبحروف ضئيلة اسم المدينة أما تاريخ الضرب فلا وجود له فيها ، مخالفين بذلك العملة الإسلامية التي ضربت في سائر الأقطار . وضرب العملات الصغيرة ما يطلق عليه الفلوس ، ودور المنصور في وزن العملة الموحدية . وتحدثنا عن المعاملات التجارية ودورها في التجارة مثل السفاتج ، والصكوك ، والحوالات . ثم تحدثنا عن المكوس وأوضحنا أن دولة الموحدين قد التزمت في عصرها الأول بالشرع وما فرضه الشرع في الكتاب والسنة ، أما في العصر الثاني عصر الضعف فقد فرضت ضرائب .

وفي الفصل الخامس " طبقات التجار " أبرزنا عناصر التجار ودورهم في الحياة الاقتصادية ، وخاصة دور أهل الذمة من اليهود والنصارى ، وموقف الدولة من أهل الذمة في عصر عبد المؤمن بن علي ، ثم موقف الدولة الموحدية بعد ذلك . ثم تحدثنا عن تنظيمات التجار من تجار جملة وتجار تجزئة وباعة جائلين ، كما تحدثنا عن علاقة التجار بالدولة .

وبعد لعلنى أكون قد وفقت فى عرض الموضوع عرضاً تاريخياً وأبرزت أهم جوانبه ، وأنى لأتقدم بالشكر أ. د/ حورية عبده عبد المجيد سلام ، التى كان لها عظيم الفضل بعد الله فى إتمام هذا العمل فقد كان لتوجيهها أثر كبير فى دراسة هذا الموضوع ، ولقد وافتها المنية قبل مناقشة الموضوع فأسأل المولى عز وجل أن يغفر لها ويرحمها وأن يكون هذا العمل فى ميزان حسناتها . كما أتقدم بالشكر أ. د/ منى حسن محمود ، على تحملها مسئولية الإشراف على هذا البحث ، ولا أستطيع أن أوفىها حقها بالشكر إلا أن أقول "جزاك الله خير الجزاء" ولكن ظروف المرض حالت دون ذلك ، ونسأل المولى عز وجل أن يشفيها ، كما أتقدم بالشكر للجنة المناقشة أ. د/ عطية أحمد القوصي وأ. د/ محمد بركات البيلي وأ. د/ سامية مصطفى مسعد ، اللذين تجشموا مشقة قراءة هذه الرسالة ومناقشتها وأ. د/ محمود عرفه وأ. د/ محمد عفيفي رئيس القسم ، ولكل أساتذة قسم التاريخ .

وأتقدم بالشكر لكل من ساعدني ولو بكلمة، من زوجة وأبناء وأخوة وأصدقاء ومن ساعدني فى مكتبات الجامعة والمعهد الأفريقى ودار الكتب وغيرهم .

وأرجوا العذر عن أى نقص فى العمل، فالكمال من الله وحده، والنقص منى.

وأسأل الله أن يجرى الجميع خير الجزاء فى الدنيا والآخرة ، فهو نعم المولى ونعم النصير، وأن يغفر لوالدي وللمؤمنين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

والله ولي التوفيق . الباحث / محمد على أحمد قويدر

دراسة في المصادر

اعتمدت في إعداد الرسالة على عدد كبير من المصادر المغربية والمشرقية سواء مخطوطة أو مطبوعة فضلاً عن المراجع العربية والمعرية والمراجع الأجنبية والدوريات والمعاجم .

فعلى صعيد المخطوطات ، فقد اعتمدت الرسالة على مخطوط لمؤلف مجهول واسمها " ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين " وقد ألفت من هذا المخطوط نظراً لأن المخطوط في جملته يقدم دراسة للنشاط الاقتصادي للتجار اليهود، مع عرض لأهم الأعمال الاقتصادية التي اشتغلوا بها من حرف وصناعات مختلفة ، ثم تحولهم إلى فاس الجديدة في عهد المرينيين ، ومحاولتهم للسيطرة على التجارة واختلاف الحال في عهد السعديين ، وانتهى المخطوط بوفاة المولى إسماعيل في عام ١١٣٩هـ/١٧٢٦م .

والمخطوط الثاني الذي استعنت به هو " رسالة في ذكر من أسس فاس " وترجع أهمية المخطوط لكون مؤلفه كان معاصراً للدولة المرينية ، وقد قام المؤلف بكتابة هذا المخطوط وإهدائه للوزير أبي علي عمر بن عبد الله أحد وزراء الدولة المرينية ، التي أتت على الدولة الموحدية . وهو يعتبر شاهداً على الدولة الموحدية . والمخطوط يتكون من بابين يتحدث في الأول عن دولة الأدارسة مؤسسي فاس وسكانها ، والباب الثاني في ذكر من أدارها بالأسوار وزاد فيها وذكر ما انتهت إليه من الدور والارحاء والحمامات .

أما من المصادر المطبوعة ، فقد قدم لنا المؤرخ ابن عذارى المراكشي (أبو العباس أحمد ابن محمد) (المتوفى في القرن السابع الهجري) - (ويقال أنه كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م) في كتابه " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " ، القسم الثالث ، فقد تناول أخريات دولة المرابطين وبداية دولة الموحدين ، وصور لنا تلك الفترة الانتقالية خير تصوير بأحداثها المتشابكة من أحداث سياسية وعسكرية لبلاد الأندلس والمغرب ، ويشير للحالة الاقتصادية، فقد عاصر نهاية دولة الموحدين .

أما عبد الواحد بن علي المراكشي (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) في كتابه "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" وهو يعد شاهداً عياناً للأحداث التي

جرت في عصر الموحدين ومن المقربين للبلاط الموحدى ، وقد كثر الاستشهاد من هذا الكتاب .

وقدّم لنا عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) معلومات أساسية في كتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر " في الجزء السادس والسابع ومقدمته التاريخية المعروفة ، فقد استفاد منها البحث استفادة عظيمة في دراسة العناصر البشرية لدولتي المرابطين والموحدين وكذلك في الحديث عن النظم العسكرية الشائعة في المغرب وعن بعض المعارك المختلفة لهاتين الدولتين ، وقد قدم هذا الكتاب معلومات عن مستوى الإنتاج الزراعي والتجاري والصناعي .

أما على بن عبد الله بن أبى زرع (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) حيث انتهى في كتابه الأنيس المطرب بأحداثه عند سنة ٧٢٦هـ ويقال انه (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) كتابين مهمين هما " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " و " الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية " ويسير المؤلف على طريق سرد الأحداث دون نقد بالحواليات في بعض الأحيان ، وفي بعض الحالات يلتزم بها كما جاء في حديثه عن تاريخ المرابطين والموحدين .

ويبدأ الكتاب من سنة ١٧٢هـ بذكر الدولة الإدريسية وينتهي عند أحداث سنة ٧٢٦هـ أي انه يتحدث أيضا عن دولة المرابطين والموحدين وقيام دولة بني مرين، مقتما عبر سرده معلومات اقتصادية متنوعة ، وسياسية ، وعسكرية ، وعمرانية ، إلى جانب إمداده لنا بمعلومات قيمة في الجزء المتعلق بأهم المحن والكوارث الطبيعية التي تعرضت لها البلاد حتى عهد المرينيين . أما كتابه الثاني وهو الذخيرة السنية ، فيتناول فيه نهاية دولة الموحدين وبداية دولة بني مرين (حتى عهد مؤسس دولتهم السلطان يعقوب بن عبد الحق ، وبنائه لمدينة فاس الجديدة) .

أما ابن القطان وهو على بن محمد بن عبد الملك بن يحيى (ت ٧٢٨هـ / ١٢٣٠م) فقد استفدنا من كتابه " نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان " من الجزء الذي اشتراه معهد الدراسات الإسلامية بمدرين من أرملة المستشرق الفرنسي (لوفي بروفنسال) وحققه الدكتور/محمود على مكي سنة ١٩٦٢م ، وهذا الجزء يحمل أحداثا هامة وخاصة الفترة التي ظهر فيها (المهدي بن تومرت ، وعبد المؤمن بن على) وتحدث عن المعارك التي دارت بين المرابطين والموحدين في مراحل نهاية الدولة المرابطية وبداية دولة الموحدين .

وأما أبو الحسن الجزنائي (ت ٧٦٦هـ / ١٣٦٥م) مواليد القرن الثامن الهجري، وكتابه " جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس "يعطى لنا وصفاً تفصيلياً لبناء مدينة فاس وذكر أسوارها وقناتها ووصف جامعها ، مع إحصاء ما بها من المساكن والمتاجر في العهد الموحدى والمريني ، ومعرفة أهم المنشآت التجارية والاجتماعية .

أما لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) فقد جاءت مؤلفاته حافلة بالكثير من المعلومات ، فلا يخفى أن شخصية ابن الخطيب لعبت دوراً هاماً في الحياة السياسية والحضارية لتاريخ بلاد المغرب والأندلس فقد تقلد مناصب سياسية بغرناطة فاستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (سنة ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) وبعد عودته من المنفى استوزر (سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦١م) ، ومن كتبه " أعمال الأعلام في من بويق قبل الاحتلال من ملوك الإسلام - والإحاطة في أخبار غرناطة - و معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار ، فيعد من الكتب التي أوردت معلومات اقتصادية عن مدن المغرب - وتاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط من كتاب أعمال الأعلام - ومجموعة من رسائله - ورحلته المسماة نفاضة الجراب في علل الاغتراب ، فقد ركز فيها على وصف المناطق التي مر بها في المغرب ، فعكس من خلال مشاهداته طبيعة النشاط الزراعي ، وحالة البلاد السياسية .

أما إسماعيل بن الأحمر (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٤م) الذي أفرد ثلاثة كتب الأول " بيوتات فاس الكبرى " الذي أفرد فيه لذكر العائلات الكبرى في فاس منذ نشأتها حتى العصر المريني ، مما أفاد في التعرف على أشهر العائلات التجارية بالمدينة . والكتاب الثاني " روضة النسرين في دولة بني مرين " الذي ضم بعض المعلومات الاقتصادية الهامة وأيضاً معلومات عن نظم الإدارة والوزارة والحجاب في الدولة المرينية . أما الكتاب الثالث " النفحة النسرينية واللمحة المرينية " الذي قدم من خلاله معلومات تاريخية عن سلاطين المرينيين .

وكذلك أحمد بن خالد السلاوى الناصري (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) وكتابه " الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى " واستخدمت أجزائه المختلفة وخاصة الثالث والرابع . والمعلومات التي وردت في هذا الكتاب تكاد تتطابق مع ما كتبه ابن خلدون لان المؤلف كثيراً ما نقل عنه ، ولكن ترجع أهمية هذا الكتاب لما يحتويه من معلومات أخرى نقلها عن بعض المؤرخين كالمقري ، وابن أبي زرع ، وبعض المؤرخين الأسبان .

أما عن الكتب الجغرافية فقد ساعدتنا نظراً لما تتضمنه من معلومات عن الصناعات الزراعية والطرق التجارية وعناصر السكان وأعمالهم وحياتهم ، فنذكر من كتب الجغرافيين الذين تناولوا بلاد المغرب الأقصى مثل ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي البغدادي ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) ففي كتابه " صورة الأرض " فقد جمع مادته أثناء تجواله واشتغاله بالتجارة ، فقد طاف في بلاد المغرب حتى درعه ودخل الصحراء حتى اودغست ، وقد وصف المعاملات التجارية ووصف الطرق من المغرب الأقصى وخاصةً من مدينة سجلماسة إلى اودغست إلى بلاد السودان وأنواع السلع بين المغرب والمشرق وبلاد السودان ووجود وكلاء للتجار لتوفير السلع ، كما أشار إلى نشاط البربر وخدمتهم للقوافل والضرائب التي كانوا يفرضونها على العابرين بديارهم . ووضحت الخريطة الملحقة بكتابه بلاد المغرب والسودان والمشرق .

البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز المرسى) (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٧م) وكتابه " المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، فقد استفاد البحث بهذا الكتاب حيث وصف مدن المغرب الأقصى والمسافة بينهما ، وأنواع الأوزان والمكاييل ، والطرق التجارية بين مدن المغرب وبلاد السودان ومصر وأنواع السلع .

أما أبو عبد الله محمد بن محمد الأدريسى (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) في كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الأفاق " ذلك الكتاب الذي تناول مدن المغرب بأكملها ، كما رصد الطرق التجارية وذكر المسافات بين المدن . ويعتبر شاهد عيان على دولتي المرابطين ودولة الموحدين .

وكذلك عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت ٨٦٦هـ / ١٤٦٣م) في كتابه " الروض المعطار في خبر الأقطار " الذي يعد موسوعة جغرافية في رصده لكافة العالم الإسلامي ، فأفادنا في التعريف لمدن المغرب الأقصى وأهم النواحي الاقتصادية لكل مدينة .

وأما ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) في كتابه " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " وكتابه " وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني ، المقتبس من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " . فقد رسم لنا خطوطاً أساسية للزراعة والصناعة والتجارة ، ووصفة لخصائص بعض المدن المغربية .

أما عماد الدين إسماعيل صاحب حماة (أبو الفداء) (ت ٧٢٢هـ/ ١٢٣١م) في كتابه " تقويم البلدان " يحتوى على معلومات قيمة عن المراكز التجارية وتحديد أقاليمها وفقاً للمنهج الذي اتبعه ، وهو تحديد مصادر معلوماته ثم تحديد الموقع ثم صبط الأسماء فالإخبار عن المراكز المشار إليها ، ولم يتكلم عن الطرق بالتفصيل واعتمد كثيراً على ابن سعيد ، والإدريسي ، والبكري .

أما ياقوت الحموي ، أحمد بن شهاب الدين بن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) في كتابه " معجم البلدان " وقد أفاد في معرفة المدن والمسافة بينهما ، وأهم زراعات بعض المدن . وقد نقل عن ابن حوقل ، والبكري ، والمهلبى ، بالإضافة إلى مصادره الأخرى .

وقد حفلت كتب الرحلات بموضوعات اقتصادية ، وفي مقدمتها كتاب " وصف إفريقيا " للحسن الوزان المعروف بـ " ليون الإفريقي " (ت ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م) الذي جاءت رحلته أصدق مرآة للمجتمع المغربي ، فقد وصف أغلب مدن المغرب وأقاليمه ، وأهم الصناعات والحرف الموجودة في مدن المغرب ، مع عرضه لأهم مظاهر الحياة الاجتماعية بها ، وقد وصف مدينة فاس وأسواقها وقيسارياتها وأنواع المتاجر والسلع في كل سوق ، والمبادلات التجارية بين مدن المغرب . لذا جاءت الفائدة منه كبيرة في التجارة الداخلية للمغرب الأقصى .

أما أبى محمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) في كتابه " رحلته تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأقطار " الذي تضمن معلومات اقتصادية بين بلاد المغرب والبلدان التي رحل إليها من حيث الثروات الحيوانية والزراعية والتجارية كذلك عرض للمكايل والأوزان والنقود ، والسلع المتبادلة بين المغرب والسودان .

أما ابن الحاج النميري ، إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢) في رحلته " فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب " فأورد معلومات مهمة عن بعض الصناعات والمنشآت المعمارية ، فأين الحاج عمل كاتباً وتولى أعمال أخرى في العصر المريني .

ولا يقل كتاب " أفريقيا " لمارمول كرفجال (القرن العاشر الهجري / السادس الميلادي) أهمية وفائدة عن مدن المغرب الأقصى ، فكتاب أفريقيا يفيد الباحثين في جغرافية أفريقيا وتاريخها .

وقد اعتمدت على عدد من كتب الفقه والنوازل فهي عبارة عن القضايا التي رفعت إلى رجال القضاء والفتوى للنظر فيها ، وعادة ما تذكر القضية كما حدثت

بأشخاصها ، ووقائعها مع ذكر من رفعت إليه وكثير من هذه النوازل كانت تتعلق بالقضايا الدينية والاقتصادية والاجتماعية ، فأفادت منها في التجارة الداخلية في المغرب الأقصى ، وفي الحياة الاجتماعية .

وقد استعنت بكتاب " المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب " لأحمد بن يحيى الونشريسي (ت ٩١٤هـ / ١٠٨٥م) وقد حوى فتاوى الفقهاء في سائر أوجه الحياة ، وتناول المشكلات التي تتعلق بها ، وضم معلومات مهمة عن التجارة والعاملين بها ونظم التعامل بالأسواق والزراعة وأهم محاصيلها ، وعن الآفات الزراعية والاضطرابات الاقتصادية .

ومن الكتب الفقهية " بداية المجتهد و نهاية المقتصد " لابن رشد ، أبي الوليد محمد أحمد الفقيه الإمام (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م) وكان معاصراً للرابطين ثم للموحدين ، وقد أفاد في معرفة دور المحتسب وما تفرضه الشريعة من زكاة .

أما " المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات ... " لأبي عبد الله محمد بن محمد بن الحاج النميري الفاسي (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) فقد انفرد بتقديم معلومات عن البضائع والسلع التي كانت متداولة بين التجار في الأسواق ، ووظيفة المحتسب في فاس ، وعلاقاته مع أرباب المهن المختلفة ، وبعض المظاهر الاجتماعية .

ومن المصادر الاقتصادية كتاب " الدوحة المشبكة في ضوابط دار السكة " لأبي الحسن علي ابن يوسف الحكيم (٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) حيث عمل في دار السكة بفاس ، فجاءت معلوماته دقيقة ومفصلة عن صناعة النقود ابتداءً من مصادر جلب المعدن مروراً بتصنيعها وطرق تداولها بين الناس، كما ذكر لنا الأوزان والمقاييس والمكاييل، كما أبرز لنا طرق التدليس والتزييف للعملة ودور اليهود وأساليبهم في ذلك .

ومن بين المراجع العربية الحديثة كتاب " التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم " لعبد الهادي التازي ، وقد ذكر فيه الاتفاقيات والبضائع المتداولة بين الدول ، مستنداً في ذلك إلى الوثائق المحفوظة لدى تلك الدول .

ومن كتب المستشرقين التي تناولت تاريخ المغرب الأقصى ، روجيه لوطورنو، في كتابيه " فاس قبل الحماية " و " فاس في عصر بني مرين " فقد تناول الحياة داخل المدينة بكثير من التفصيل في شتى المجالات ، كما أعطى لنا وصفاً لأحوال التجار اليهود بالمدينة .

وقد أفادت الرسالة من مصادر ومراجع أخرى كثيرة، كانت خير معين للرسالة.

المقدمة

- جغرافية المغرب الأقصى
- سهول وأودية المغرب الأقصى
- أقاليم المغرب الأقصى ومكانه
- نبذة عن دولة الموحدين
- حكم دولة الموحدين
- نهاية دولة الموحدين

• جغرافية المغرب الأقصى وحدوده :

المغرب الأقصى هو جزء من بلاد المغرب جغرافياً وإقليمياً ، يرتبط بروابط طبيعية وسياسية وثيقة ، جعلت منه كياناً مستقلاً بذاته^(١) فبلاد المغرب تمتد من حدود مصر الغربية حتى ساحل المحيط الأطلسي^(٢) وقد أصطلح على تقسيم المغرب إلى ثلاثة أقسام كبيرة ، بحسب قربها أو بعدها عن مركز الخلافة الإسلامية في الشرق (الأموية - العباسية) وهي :

(١) المغرب الأدنى : ويسمى أيضاً أفريقية ويشمل طرابلس وتونس وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر وعاصمته القيروان^(٣) أيام الأغالبة^(٤) ، والمهديّة^(٥) أيام الفاطميين^(٦) ، ثم مدينة تونس^(٧) فيما بعد وحتى اليوم^(٨) .

- (١) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ٢٤ .
- (٢) حسين مؤنس : نفس المرجع والصفحة .
- (٣) القيروان : أسسها عقبة بن نافع لتكون عزاً للإسلام في بلاد المغرب إلى آخر البهر . أثناء توليته أفريقية من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م واختار عقبة مدينة القيروان أن تكون بعيدة عن الساحل ولا تكون متوغلة في جوف الصحراء وأن تكون قاعدة للعمليات العسكرية في المغرب لفتح ما تبقى من مدنه . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار الفكر ج ٣ ص ٢٣٠ ، عبد الرحمن المعروف بأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ابن الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تعليق إبراهيم شيوخ ، تونس ، ١٣٢٠ هـ ، القاهرة ١٩٦٨ م ، ج ١ ص ٨ ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٢٤ ، تحقيق حسين نصار ، ومراجعة عبد العزيز الأهواني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٢ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٤٢٠ ، عبد الحميد حسين حمودة : أسواق القيروان في عصر الأغالبة ، نشرة خاصة محكمة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠١ م ، ص ٥ ، ٦ .
- (٤) الأغالبة : قامت في أفريقية من (١٨٤ - ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩ م) وكانت تشمل طرابلس وأفريقية (تونس) وجزء من المغرب الأوسط هو إقليم الزاب وكانت دولة الأغالبة تابعة للدولة العباسية . حسين مؤنس : مرجع سابق ص ٩٥ .
- (٥) المهديّة : أسسها (اختطها) عبيد الله المهدي لتكون قلعة يعتصم فيها هو وجنده وأهله وحشمه وأمواله ، سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م حصن منيع يقوم على رأس بارز في الساحل الشرقي لتونس شمال سوسة . حسين مؤنس : نفس المرجع ص ١٤٧ .
- (٦) الفاطميين : تنسب إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها وأرضاها وأنها من نسل سيدنا علي ابن أبي طالب وقد دعا إليها في المغرب عبد الله الشيعي واسقط دولة الأغالبة ودخل القيروان سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م وأعلن قيام الدولة الفاطمية وبعث يستدعي الإمام المستر عبيد الله المهدي من مدينة سَمَمِيّة قرب حلب ببلاد الشام . حسين مؤنس : مرجع سابق ص ١٣٣ - ١٤٤ ، عصام الدين عبد الرؤف الفقي : مرجع سابق ص ١٦٣ - ١٨٣ .
- (٧) حسين مؤنس : مرجع سابق ص ٥٦ - ٥٨ .
- (٨) عصام الدين عبد الرؤف الفقي : مرجع سابق ص ١٢ .

(٢) المغرب الأوسط : ويشمل بلاد الجزائر ، ويمتد من تاهرت^(١) حتى وادي ملوية^(٢) وجبال تازة^(٣) غرباً ، وقاعدته تلمسان^(٤) .

(٣) المغرب الأقصى : ويمتد من وادي الملوية شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً وعاصمته بين مدينة فاس في عصر الأدارسة سنة ١٩١هـ / ٨٠٨م ، ثم جاء المرابطون واختطوا مدينة مراكش سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م واتخذوها عاصمة وظلت في عصر الموحدين ، والمغرب الأقصى يشمل المملكة المغربية اليوم التي عاصمتها الرباط^(٥) .

ويتميز المغرب الأقصى بظاهرة جغرافية واضحة جداً ، هي جبال أطلس ، وهي سلسلة تمتد من جنوبه وتشير بمحاذاة الساحل ساحل المحيط الأطلسي شمالاً بشرق ، وإن كانت بعيدة عنه حتى قرب ساحل البحر المتوسط جنوبي منطقة الريف ثم تتجه شرقاً لتتلاشى غرب تونس^(١).

وجبال أطلس تتسع في المغرب الأقصى ويزيد عرضها في جنوبه وتتقسم إلى سلسلتين من جبال الأطلس : الأولى غربية وتسمى الأطلس العليا ، الأخرى شرقية وتسمى أطلس الصحراء ، وتحصران بينهما سهل السوس الخصيب . وتضم هذه

Ahmad Saeed Rizq

(١) تاهرت : تقع بين تلمسان وقلعة بني حماد في (المغرب الأوسط) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٧-٩

(٢) وادي ملوية : يقع بين (المغرب الأوسط والمغرب الأقصى) فهو يفصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى ، ويجتمع مع وادي صاع ويصبان معاً في البحر المتوسط . الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص ٢٤٧

(٣) جبال تازة: يوجد بها بعض المدن والأنهار، وهي على الطريق المار من المغرب إلى المشرق. الحسن بن محمد بن الوزان الفاسي الزياني المعروف (ليو الإفريقي) : وصف أفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، ومراجعة على عبد الواحد ، جامعة الامام محمد مبن سعود الاسلامية ، الرياض ، ١٣٩٩هـ، ص ٣٥١ - ٣٥٩ ، الحميري : الروض المعطار ص ١٢٨

(٤) تلمسان : تقع غرب تاهرت - وتشتهر بالمغرب الأوسط وتتميز بالجبال وسهولة مراعيه الشاسعة وكانت عاصمة دولة عبد الواد بعد سقوط الموحدين ، وتقع بين نهر الملوية في غربها ونهر الواد الكبير في شرقها وصحراء نوميديا في جنوبها . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٣٧٨ - ٣٧٩ ، حسين مؤنس : مرجع سابق ص ٢٧ ، عصام عبد الرؤف الفقى: مرجع سابق ص ١٢)

(٥) عصام الدين عبد الرؤف الفقى : مرجع سابق ص ١٢

(٦) حسين مؤنس : مرجع سابق ص ٢٥

الجبـال هضاباً عالـية ، وهى كلـها جبال وهضاب وافرة المـياه ولهذا فهى خضراء مسكونة ، ويسمـيها ابن خلدون جبال درن وهى تعتبر مركز الحياة ومصدر العنصر البشرى القوى الذى كان طول العصور الوسطى مورد القوة البشرية الحقيقية فى تاريخ المغرب الأقصى^(١) .

• سهول وأودية المغرب الأقصى :

ويضم المغرب الأقصى سلسلة من السهول الساحلية بين الجبال وساحل المحيط الاطلسي وتشق هذه السهول أنهار أو وديان تتحد من جبال الاطلس غرباً إلى المحيط وهى من الشمال الى الجنوب وادى لوكس^(٢) ويصب عند مدينة العرائش^(٣) ووادى سبو^(٤) بفروعه الكثيرة وقواعده الشهيرة (مدنه) فاس^(٥) ومكناس^(٦)، ثم وادى

(١) حسين مؤنس : نفس المرجع ص ٢٥

(٢) وادى لوكس : يقع فى شمال المغرب الأقصى جنوب مدينة طنجه ، ويذكره البكري عند الحديث عن الطريق من مدينة طنجة إلى مدينة فاس . (أبو عبيد الله بن عبد العزيز المرسى البكري : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ص ١٠٩-١١٠)

(٣) العرائش : مدينة على ضفة المحيط فى المكان الذى يصب فيه نهر لقس (لوكس) فى (المحيط) ويقع قسم منها على ضفة النهر والجزء الآخر على ساحل المحيط . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٣٩٩هـ ، ص ٣٠٢)

(٤) وادى سبو: نهر قرب طنجه من أرض البربر ويحاذى فاس من جهة شرقيها ويأتى مكناس من جنوبها. (معجم البلدان ٣ / ١٨٦ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤٤-٢٤٧)

(٥) فاس : مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، وهى حاضرة البحر وأصل مدنه قبل أن تخطط مراکش ، وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة فى جنبها حتى بلغت مستواها من رأسه وقد تفجرت كلها عيوناً تسيل إلى قرارة واديها . ويطلق على المدينتين عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين ، وقد اختلطت فى عصر الادارسة ١٩١هـ / ٨٠٨م . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٢٣٠ ، البكري : مصدر سابق ص ١١٥)

(٦) مكناس : مدينة بالمغرب فى بلاد البربر على البحر الأعظم (المحيط) بينها وبين مراکش أربع عشرة مرحلة (وتقع مكناس شمال غرب مراکش) وهى مدينتان صغيرتان على ثنية بيضاء بينها وبين حصن جواد . اختط إحداهما يوسف بن تاشفين أمير الملمثين والأخرى قديمة وأكثر شجرها الزيتون ومنها إلى فاس مرحلة واحدة ... تقع مكناس فى الطريق بين فاس وسلا على شاطئ البحر (المحيط) فيه مرسى للمراكب . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥ / ١٨١)

مكناس : مدينة فى المغرب من قطر فاس إلى جهة المغرب ، وهى أربع مدن وقرى كثيرة متصلة بالمدن والحصون ، الممدن منها يسمى تاجرارات ، وتفسيره المحله ، وهى كثيرة الثمار وأكثرها الزيتون ولذلك نسبت إليه ، وعلى هذه المدينة سور كبير وأبراج عظيمة ، وهى مدينة

أبو الرقراق أو أبو رجرج وهو نهر مزدوج يصب في البحر بمصب واحد^(١) وعلى ضفته الشرقية عند المصب مدينة سلا^(٢) وعلى ضفته الغربية مدينة رباط الفتح^(٣)، وهما مدينتان توأم، ثم وادي أم الربيع^(٤) وقرب مصبه تقع مدينة آزمور^(٥) ثم وادي تانسيفت^(٦) وتقع على أحد فروعه مدينة مراكش^(٧)، ثم وادي السوس^(٨) الذي يجري

- جليلة فيها الأسواق العامرة وبين مكنسه وفاس أربعون ميلاً في جهة المغرب ومكناسة مرتفعة على الأرض ويجري في شرقيها نهر صغير عليه الأرحاء، وتتصل بها عمارات وجنات وزروع، وأرضها طيبة الزراعات، ولها مكاسب وأحوال صالحة. وبينها وبين قصر عبد الكريم ثلاثة مراحل. (الحميري: الروض المعطار ص ٥٤٤، مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبد الحميد، دار الثنون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م، ص ١٨٧)
- (١) أبو الرقراق: نهر يمر على مدينة الرباط من الشرق ويصب في المحيط عند مدينة سلا. (الحسن الوزان: مصدر سابق ص ٢٠٧-٢٠٩)
- (٢) سلا: مدينة على ساحل المحيط، فالبحر يقع في شمالها والنهر يقع في غرب سلا يأتيها النهر من جنوبها، وفيه نهر كبير تجرى فيه السفن أقرب منه إلى البحر. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢٣١/٣)
- (٣) رباط الفتح: مدينة اختطها الخليفة الموحد أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وأتمها ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور تقع أمام مدينة سلا على ضفة النهر الغربية. (الحسن الوزان: مصدر سابق ص ٢٠٧، عبد الواحد المراكشي: المعجب ص ٤٤٥)
- (٤) أم الربيع: نهر يجاز بالمراكب سريع الجرى كثير الانحدار والصخور والجنادل فيصل بين إقليم تلمسان وإقليم دكالة وتقع عليه مدن ويصب عند مدينة آزمور في المحيط. (الإدريسي: نزهة المشتاق ص ٢٣٧. الحسن الوزان: مصدر سابق ص ١٥٧، ١٦٦، ١٩٩)
- (٥) آزمور: تقع على ساحل المحيط، عند مصب نهر أم الربيع على مسافة (٩٠ كم) من مدينة باتجاه الشمال. بلد في جبال البربر في إقليم دكالة. (الحسن الوزان: مصدر سابق ص ١٦٦، ياقوت الحموي: مصدر سابق ١٦٩/١)
- (٦) تانسيفت: نهر يقع على ثلاثة أميال من مراكش وليس بالكبير لكنه دائم الجري. (الإدريسي: نزهة المشتاق ص ٢٣٥)
- (٧) مراكش: أعظم مدينة بالمغرب وأجلها وبها سرير ملك بني عبد المؤمن (ملك دولة الموحدين) وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين أمير دولة (المرايطين) الملمين في حدود ٤٧٠هـ/١٠٧٩م وبينها وبين جبل درن الذي ظهر منه ابن تومرت المسمى بالمهدي ثلاثة فراسخ وهو في جنوبها وكان موضع مراكش قبل ذلك مخافة يقطع فيه اللصوص على القوافل، كان إذا انتهى القوافل إليه قالوا مراكش معناها بالبربرية أسرع المشي. (ياقوت الحموي: مصدر سابق ٩٤/٥)
- (٨) السوس: اسم السوس من الصوف، والسوس الأقصى على ساحل المحيط الأطلسي (جنوب المغرب الأقصى) وتقدر المسافة بين القيروان إلى السوس الأقصى بثلاثة آلاف فرسخ... ومنطقة السوس وراء جبال أطلس باتجاه الجنوب... وتبدأ عند ساحل المحيط غرباً وتنتهي في رمال الصحراء جنوباً، وتنتهي شمالاً عند جبال الأطلس وتنتهي في الشرق في نهر يسمى نهر السوس. (ياقوت الحموي: نفس المصدر ٢٨١/٣، الحسن الوزان: مصدر سابق ص ١٢٤)

في إقليم السوس الغنى ، وهو إقليم ذو هيئة مثلثة ينحصر بين فرعى جبال الأطلس^(١) والمحيط الأطلسي ومن أهم مدنه تارودانت^(٢) وأغادير^(٣) ثم وادي درعه^(٤) في أقصى الجنوب ، وما وراء ذلك تمتد صحارى المغرب . ولدرعة نهر مشهور يجرى في غربها ينزل من ربوة حمراء عند جبل درن ومن مدن وادي درعه ، لمطه وجزوله^(٥) .

• أقاليم المغرب الأقصى ومعدنه :

ينقسم المغرب الأقصى إلى ثلاثة أقاليم ذات وحدة جغرافية متماسكة تقوم فيها^(٦):

(١) إقليم الساحل الشمالي : المعروف تاريخيا بإقليم طنجة ، ويشمل الشريط الساحلي الشمالي ، ثم منطقة الريف الجبلية ، وهى ليست فرعاً من جبال

(١) جبال الأطلس : يطلق عليها اسم جبال درن ويذكر البكري انه جبل معترض في الصحراء معمور بقياتل صنهاجة وغيرها وهو الجبل الذي يقال أنه متصل إلى المقطم بمصر ومن هذا الجبل ينزل إلى بلاد السوس . ويذكر الإدريسي أن جبل درن الأعظم الذي ليس جبل مثله إلا القليل في السمو وكثرة الخصب وطول المسافة واتصال العمارات ومبدؤه من البحر المحيط في أقصى السوس ويمر مع الشرق مستقيماً حتى يصل إلى جبال نفوسه . (البكري : مصدر سابق ص ١٦٠ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٩)

(٢) تارودنت : حاضرة (عاصمة) السوس الأقصى، واليها يجتمع أهله . (عبد الواحد المراكشي: المعجب ص ٤٤٧)

(٣) أغادير : قلعة واقعة عند النهاية القصوى لجبال أطلس التي تتقدم على المحيط قرب المكان الذي يصب فيه نهر السوس في البحر المحيط (المحيط الأطلسي) . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ١٣٠)

(٤) وادي درعه : يعتبر قرى متصلة وعمارات متقاربة ومزارع كثيرة وهى على نهر سجلماسة ومن أرض درعه إلى بلاد السوس الأقصى أربعة أيام . وتوجد مدينة في وادي درعة اسمها درعة صغيرة بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ وبها ثمرة القصب اليابس وبها تجار يهود وبها مدن مثل جزوله ولمطة تابعة لوادي درعة . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٦-٢٢٧ ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماة : تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه رينود مدرس العربية والبارون ماك كوكين ديسلان ، باريس ، ١٨٤٠م ، ص ١٣٥ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٥١/٢)

(٥) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٥

(٦) حسين مؤنس : مرجع سابق ص ١٢٤ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢١٧-٢٢١ ، أبو الفداء : مصدر سابق ص ١٢٢

الأطلس ، وإنما هي فرع من الجبال الأيبيرية ، ويتبعها السهل الواقع جنوبي جبال الريف ويعرف بإقليم الهبط^(١) أو إقليم أزغان^(٢) .

(٢) والإقليم الثاني حوض نهر سبو : أو يشمل الجزء الشمالي من ساحل المغرب الأقصى المطل على المحيط الأطلسي ، وهو سهل فسيح يمتد جنوباً حتى يصل إلى حوض وادي أبو الرقراق أو أبو رجرج ، ويشمل جزءاً كبيراً من السفوح الغربية لجبال الأطلس . وهذه المنطقة هي المهد الحقيقي لتاريخ المغرب العربي الإسلامي^(٣) .

(٣) الإقليم الثالث جنوب نهر سبو حتى وادي السوس : ويشمل الإقليم حوض نهرى وادي أم الربيع وواد تانسيفت وهذه منطقة واسعة وغنية من المنطقة الشمالية لأن الجبال تتسحب هنا كثيراً إلى الداخل تاركة سهلاً ساحلياً فسيحاً يسمى ساحله بريف تامسنا^(٤) شمالاً وريف دكالة^(٥) جنوباً . وتنقسم جبال أطلس إلى أطلس التل وأطلس الداخلية ، ويقع إقليم السوس أو وادي السوس يقع على الساحل بين فرعى جبال أطلس^(٦) .

• مدن المغرب الأقصى :

مليلة : ميناء يقع على ساحل البحر المتوسط من جهة الشرق حيث يقع نهر المولوية شرق هذه المدينة^(٧) .

(١) إقليم الهبط : يبدأ من نهر الورغة وينتهي شمالاً على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وتتأخم من الغرب مستنقعات أزغار (مستنقعات نهر لقس أو لوكنس) ومن الشرق الجبال التي تطل على أعمدة هرقل (تجاه سبتة) من تطوان حتى طنجة على ساحل البحر المتوسط والمحيط حتى مدينة العرائش . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ١٩٨-٣٠٥)

(٢) حسين مؤنس : مرجع سابق ص ١٢٤

(٣) حسين مؤنس : مرجع سابق ص ١٢٤

(٤) تامسنا : تقع بين نهر أم الربيع وينتهي شرقاً عند نهر أبو الرقراق ، وينتهي في الجنوب عند جبال الأطلس ويحاذي من الشمال المحيط الأطلسي . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ٢١٢)

(٥) دكالة : يبدأ من الغرب نهر تانسيفت ، وينتهي شمالاً على المحيط الأطلس جنوبي نهر العبيد وغرب نهر أم الربيع ، وتمثل هذه المنطقة مسافة أربعة أيام طولاً ويسومين عرضاً تقريباً . (الحسن الوزان : نفس المصدر ص ١٥٧ في الهامش.)

(٦) حسين مؤنس : نفس المرجع السابق ص ١٢٤

(٧) مليلة : مدينة تابعة لطنجة : وهي قريبة من نهر ملوية بالمغرب وهي مدينة مسورة بسور حجارة وداخلها قصبة مائعة ، وفيها مسجد جامع وحمام وأسواق ، وهي مدينة قديمة ، ويقال إن

سبّنة : تقع المدينة عند مضيق جبل طارق ، حيث النقاء البحرين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، وتعتبر ميناءاً هاماً ، حيث ساعدت على ذلك جغرافية مدينة سبّنة ، ووقوعها إلى القرب من أرض بلاد الأندلس ، ويذكر صاحب تقويم البلدان ومدخلها إلى جهة الغرب يضيق البحر المحيط (المحيط الأطلسي) بأكثرها ، ومن مميزات موقعها لو شاء أهلها أن يواصلوا البحر من الجهة الجنوبية لأصبحت جزيرة^(١) .

طنجة : تقع مدينة طنجة غرب مدينة سبّنة عند مدخل البحر المحيط (المحيط الأطلسي) إلى (البحر المتوسط)^(٢) وأضيق اتساع للبحر يقع بين طنجة وسبّنة ، ويفصل المضيق بينها وبين بلاد الأندلس^(٣) .

مدينة قصر عبد الكريم : تقع جنوب مدينة سبّنة وطنجة^(٤) .

مدينة مكناس : تقع غرب مدينة قصر عبد الكريم ، وشمال مدينة فاس^(٥) .

مدينة سلا ، ومدينة رباط الفتح ، ومدينة العرائش .

مدينة فاس : يذكر الاصطخرى أن فاس عاصمة إقليم طنجة حيث يصفه بقوله " طنجة كورة عظيمة تحيط بمدن وقرى وبوادي ومدينتها فاس "^(٦) وقسمت لعدوتين عدوة الأندلسيين أقام بها قبائل أندلسية على أيام الإمام إدريس الثاني بعد أن أوقع بهم الحكم بن هشام وأجلاهم إلى المغرب سعدوا إلى مدينة فاس فأنزلهم العدو التي نسبت إليهم ، أما عدوة القرويين فأنزل العرب القيسية والفرس^(٧) .

موسى بن أبى العافية المكناسي جدها وسكنها قوم يفترون على من يدخلها من التجار ، فمن أصابته قرعة الرجل منهم كانت متاجرته على يديه وتحت نظرة وإشرافه . (الحميري : الروض المعطار ص ٥٤٥ ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٣٤٣ ، حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٥)

- (١) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٣
- (٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٤٣٩
- (٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤/٤٣ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٣
- (٤) البكري : مصدر سابق ص ١٥٤
- (٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤٦
- (٦) أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي الاصطخرى : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، مراجعة محمد شفيق : القاهرة ١٩٦١م ، ص ٣٤
- (٧) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٤٦ ، مجهول : رسالة في ذكر من أسس فاس ، مخطوطة بالهيئة المصرية العامة للكتاب رقم ح ٩٧٣٢ ، وميكروفيلم رقم ١٠٩٨٨ ، ورقة ٧

مدينة تادلة : تقع في شرق المغرب الأقصى حيث تفصل بين فاس وتلمسان في المغرب الأوسط . من جهة الشرق وهي بين جبال صنهاجة ، ويحدها جبال درن من غربها حتى المحيط ، ومن جهة الجنوب تقع بين فاس ومراكش^(١) .

مدينة مراكش : وقد وصفها ابن بطوطة في رحلته بأنها " المدينة جميلة من أجمل المدن "^(٢) .

مدينة أغمات : كانت حاضرة بلاد المغرب قبل تأسيس مراكش في عصر المرابطين ، وهي مدينتان متقابلتان ، وهي قرب مراكش بثلاثة فراسخ ومن ورائها إلى جهة الغرب البحر المحيط ومنطقة السوس الأقصى بأربع مراحل ، من جهة الجنوب الشرقي مدينة سجلماصة بثمانين مراحل ، وتقع في سفح جبل درن^(٣) .

مدينة سجلماصة : مدينة في جنوب المغرب في بداية طريق بلاد السودان ، بينها وبين فاس عشرة أيام ، وهي من منقطع جبل درن في وسط رمال ، ويمر نهر كبير يأتي من شرق سجلماصة وجنوبها فيمر من شرقيها وغربها ويعتبر منابع نهر المولوية الذي يصب في البحر المتوسط^(٤) .

مدينة درعة : في أقصى الجنوب وما ورائها صحراء^(٥) .

مدينة تارودانت : من وادي السوس الأقصى ، ثم مدينة نول لمطة وجزولة من وادي درعة تقع في أقصى جنوب المغرب على حدود بلاد السودان بينها وبين البحر المحيط (المحيط الأطلسي) ثلاثة أيام^(٦) ، والمتجه لبلاد السودان من المغرب يقابل مدينة أزكى أول الصحراء لبلاد السودان وبينها وبين نول^(٧) لمطة سبع مراحل^(٨) .

-
- (١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٦/٢ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٥
(٢) شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي بن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة بن بطوطة) ، شرحه وكتبه هوامشه طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج ٢ ص ١٨٨
(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٢٥/١ ، البكري : مصدر سابق ص ١٥٣ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٥
(٤) ياقوت الحموي : نفس المصدر ١٩٢/٣ ، أبو عبد الله زكرياء محمد محمود القزويني : أنصار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م ، ص ٤٢ ، أبو الفداء : نفس المصدر ص ١٣٧
(٥) حسين مؤنس : مرجع سابق ص ٥٥-٦١
(٦) الإنريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢١-٢٢٤
(٧) الإنريسي : نفس المصدر ص ٢٢٥
(٨) نول لمطة مدينة في المغرب الأقصى ، بينها وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل ومنها إلى البحر ثلاثة أيام ، وبينها وبين سجلماصة ثلاث عشرة مرحلة وفيها جزولة ولمطة . وتقع في

• نبذه عن دولة الموحدين :

مؤسس دولة الموحدين هو محمد بن تومرت الهرشي الذي ولد ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م على وجه التقريب ، وقد جعل نسبه إلى آل البيت ، ويوجد اختلاف في ذلك واتجه ابن تومرت إلى الدراسة والعلم ، فدرس في بلده ثم في مراكش وفي حوالي ٥٠٦هـ / ١١١٢-١١١٣م ثم شرع في رحلة دراسة طويلة إلى المشرق .

ولا شك في أن ابن تومرت كان رجلاً فائق الذكاء ، وكان العلم عنده نقطة بداية وطريقاً يوصله لتحقيق غاياته السياسية . فقد كان النجاح الذي لقيه المرابطون في إقامة دولتهم بفضل تفكير الفقيه عبد الله بن ياسين محركاً لهم المصامدة في إنشاء دولة لهم حيث أن ابن تومرت والمصامدة يمثلون معظم سكان المغرب الأقصى وهم قبائل ضخمة ذات قوة وعدد ، تمتد من شمال المغرب الأقصى إلى جنوبه ، ولا ينقصها إلا توحيد الصفوف والقيادة السليمة^(١) التي تمثلت في محمد بن تومرت .

وقد أتاحت الظروف للموحدين هذه القيادة في شخص الفقيه المصمودي من قبيلة هرغة التي تسكن في ناحية من نواحي جبال الأطلس العليا على سهل السوس^(٢) ومنيت جيوش المرابطين بالهزيمة أمام جيوش الموحدين^(٣) حتى اقتربوا من أغمات^(٤)، وقتلوا الكثير من أهلها، وتوجه ابن تومرت إلى تينمل^(٥)، واتخذها مقراً له

أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط (المحيط الأطلسي) وعليه قبائل لمطة ولمتونة ، ومن مدينة نول إلى وادي درعة نحو ثلاث مراحل وقد سميت " نول لمطة " لأن قبيلة لمطة يسكنونها وهي آخر بلاد السوس . (الحميري : الروض المعطار ص ٥٨٤ . تقدر المرحلة : ٤٤.٥٢٠ كيلو متر ، وتقدر الأربعة أيام : ١٧٨.٠٨ كيلو متر ، علي جمعة : المكاييل والموازين الشرعية دار الرسالة القاهرة الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م ص ٣٢ - ٧٠

(١) البيهقي ، أبو بكر بن علي الصنهاجي : أخبار المهدي بن تومرت ، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حجايات ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط ٢ ، الجزائر ، ١٩٨٦ ، ص ١١ - ٣٠ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ٢٠٣

(٢) المراكشي : المعجب ص ١٩١ ، حسين مؤنس : نفس المرجع ص ٢٠٣

(٣) عصام الدين عبد الرؤف الفقي : مرجع سابق ص ٢٦٥

(٤) ابن قطان : نظم الجمان ص ١١٦ . أغمات : قرب مراكش بثلاثة فراسخ وهي في سفح جبل وهي للمصامدة (الفرسخ = ١/٢ كيلو متر) ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م ، ١ / ٢٢٥

(٥) تينمل : في قلب جبل درن (أطلس) قريبة من منابع وادي نفيس الذي يجري جنوب نهر تانسيفت . (حسين مؤنس : مرجع سابق ص ٢٠٧)

لحصانتها وحسن موضعها . وشيد حصن على رأس الجبل يكشف ما وراء الجبل ،
والمدينة حصينة ، والدخول إليها صعباً عسيراً^(١) . ولما شعر ابن تومرت بقوته
وازدیاد أنصاره ، حشد الجيوش للاستيلاء على مراكز عاصمة المرابطين وإسقاط
دولة المرابطين وحاصر جنده مراكز أربعين يوماً ، ولكن جيوش المرابطين كانت
أكثر عدداً وقوة من جيوش الموحدین ، لذلك هزم المرابطون الموحدین . ولم یسلم من
الموحدین إلا القليل وفر من استطاع الفرار من المعركة ، واتبعهم المرابطون من
مراكز إلى أغمات فأمعنوا القتل فیهم ، ولم ینج منهم إلا القليل . وكان ابن تومرت
مريضاً بتینملل وأوصى أن یخلفه عبد المؤمن بن علی ، وتوفى ابن تومرت ٥٢٤هـ /
١١٣٠م^(٢) وانتصر المرابطون علی الموحدین فی هذه المعركة .

ويستوقف الباحث كثرة هزائم المرابطين علی يد الموحدین علی الرغم من أن
قادة جيوش المرابطين كانوا أفضل قادة الدولة . فی الوقت الذي كانت فيه الجيوش
المرابطية تصد أعتی وأقوى الجيوش النصرانية فی الأندلس . ويبدو أن هناك عدة
عوامل أسهمت فی وقوع هذه الهزائم ، منها :

أولاً: الإستراتيجية العسكرية التي اتبعتها ابن تومرت فی قتاله مع المرابطين ،
فقد ساعدته وعورة أرضه علی عدم مواجهة أعداد كبيرة من جيوش المرابطين دفعة
واحدة ، حيث كان ابن تومرت وأتباعه یقاتلون علی أرض خبروها وعرفوا مسالكها ()
أطلق علی هذه الحرب بنظام الكر والفر) .

ثانياً: كان أتباع ابن تومرت یقاتلون بمعنويات عالية بعد أن بايعوه علی أنه
المهدي فی الوقت الذي كانت فيه معنويات الجند المرابطين منهارة ، فكانوا ينهزمون
دون قتال لغلبة التردد علیهم وعدم وضوح الهدف . فكان الجندي المرابطی فی حيرة
فهو یقاتل مسلمین من أبناء بلده ، ولذلك كان یفضل الفرار علی الصدام^(٣) (واستغل
ابن تومرت الوازع الديني) .

(١) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٢١ ، عصام الدين عبد الرؤف : نفس المرجع ص ٢٦٦
(٢) ابن القطان : المصدر السابق ص ١٢١ ، محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدین فی
المغرب والأندلس ، لجنة التألیف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص ١٨٨
(٣) سلامه محمد : مرجع سابق ص ١١٤ ، علی محمد الصلابی : مرجع سابق ص ٦٧

• حكام دولة الموحدين :

- عبد المؤمن بن علي :

بايع أصحاب ابن تومرت عبد المؤمن بن علي^(١) وقد اختار الموحدون عبد المؤمن بن علي لزعامتهم ، لما عرفوه من خاصية ابن تومرت له وتقريبه إليه واطرائه لصفاته وتقديمه إياه في الصلاة ، والى ما لمسوه من فضله وعلمه ودينه وقوة عزيمته وحسن سياسته ورجاحة عقله وشجاعته^(٢) . وقد تولى عبد المؤمن بن علي في ظروف حالكة منزهة بالفتنة وكانت مهمته عسيرة وصعبة . فقد كان عليه أن يعيد الثقة الى نفوس الموحدين ، وأن يعيد تنظيم صفوفهم تمهيداً للمعركة المقبلة الفاصلة ، ولهذا السبب شغل طوال الشهور الاولى من خلافته في رأب الصدع ، وتأليف القلوب وتعبئتها لمداغمة المرابطين . فلما تم له ذلك اعتزم مواصلة الجهاد ضد المرابطين^(٣) . وازدادت قوة الموحدين ، وعظم شأنهم ، وتتابع ثوراتهم ضد المرابطين فساعت أحوال بلاد المغرب ، وتدهور الوضع الاقتصادي ، وكسدت التجارة وانحطت الزراعة ، فانتشرت المجاعات وارتفعت الاسعار^(٤) .

وقد أبدى المرابطون بسالة كبيرة في الدفاع عما بأيديهم من البلاد رغم الظروف العصيبة التي أحاطت بهم فلم يستطع عبد المؤمن بن علي الاستيلاء على فاس إلا بعد حرب طويلة وحصار شديد داما تسعة أشهر في ذي القعدة ٥٤٠هـ / أبريل ١١٤٦م^(٥) .

وفي محرم ٥٤١هـ / يونيو ١١٤٦م دخل عبد المؤمن بن علي مراكش وقتل إسحاق بن علي بن تاشفين ونفراً من أمراء المرابطين . وبذلك انتهت الدولة المرابطية وأصبح الموحدون سادة المغرب الأقصى ، الذي يشمل البلاد الممتدة من ساحل البحر

(١) البيهقي : مصدر سابق ، ص ٥٦ ، علي محمد صلابي : دولة الموحدين ص ٧٧

(٢) حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع والصفحة

(٣) مارمول كرفجال : أفريقيا ، ترجمة محمد حجي ، ومحمد زنيبر ، وآخرون ، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة ، الرباط ، ١٩٨٤م ، ج ١ ، ص ٣٣٨

(٤) عصام الدين عبد الرؤف : مرجع سابق ص ٢٦٦

(٥) البيهقي : مصدر سابق ص ٩٩ ، أبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق محمد الهاشمي الفلاحي ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٢م ، ج ١ ، ص ١٢٣

المتوسط إلى وادي درعه ، وامتد شرقاً من المحيط الأطلسي إلى شريط من الأرض شرقي نهر المولوية^(١) .

وتعتبر فترة حكم عبد المؤمن بن علي التي دامت أربع وثلاثين سنة فاتحة عصور الازدهار في تاريخ المغرب . ولقد ورث عبد المؤمن عن محمد بن تومرت قوة عسكرية وسياسية ضخمة ، فعرف كيف يستخدمها في إنشاء اكبر دولة عرفها تاريخ المغرب في العصور الوسطى . فقد امتدت من خط الواديانة في الأندلس إلى وادي درعه في جنوب المغرب ، وترامت من المحيط (الأطلسي) إلى أحواز طرابلس . وقد أبدى الرجل نشاطا واسعا وذكاء كبيراً في إنشاء هذه الدولة^(٢) ، وهو يعتبر المؤسس الحقيقي بعد ابن تومرت في إنشاء دولة الموحدين ، وكان قد ولد بمدينة تاجررت في إقليم تلمسان في المغرب الأوسط ، وحكم بلاد المغرب والأندلس ٣٤ سنة من ٥٢٤-٥٥٨ هـ / ١١٣٠-١١٦٣ م^(٣) .

- خلفاء عبد المؤمن بن علي من أبنائه :

(١) أبو يعقوب يوسف ٥٥٨-٥٨٠ هـ / ١١٦٣-١١٨٤ م^(٤) .

وكانت سلطته تمتد على بلاد المغرب والأندلس ، حكم مدة اثنين وعشرون سنة .

(٢) أبو يوسف يعقوب المنصور ٥٨٠-٥٩٥ هـ / ١١٨٤-١١٩٩ م .

وكانت سلطته تمتد على بلاد المغرب والأندلس ، حكم مدة خمس عشرة

عاماً^(٥) ووصلت دولة الموحدين ذروتها في عهده الذي يعتبر العصر الذهبي^(٦) ،

ومن انتصاراته على الصليبيين في الأندلس موقعة الأراك ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م^(٧)

(٣) أبو محمد عبد الله الناصر ٥٩٥-٦١٠ هـ / ١١٩٩-١٢١٣ م .

حكم مدة خمسة عشر عاماً ، وقضى على ثورة بني غانية في أفريقية ٦٠٠ هـ /

١٢٠٣ م ، وقضى عليهم نهائياً قرب قابس ، وعلى أثر ذلك دخل الموحدون تونس

(١) البيهقي : المصدر السابق ص ١٠٢ - ١٠٤ ، حسين مؤنس : مرجع سابق ص ٢١٣-٢١٤

(٢) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ٢٢٠

(٣) خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، مطبعة كوستاستوماس ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٦ م ، ج ٤ ص ٣١٩

(٤) خير الدين الزركلي : المرجع السابق ج ٩ ص ٣١٨

(٥) نفس المرجع ج ٩ ص ٢٦٧ وما يليها

(٦) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ٢٢٣

(٧) حسين مؤنس : نفس المرجع ص ٢٢٦

والمهدية . وانهزم عبدالله الناصر في موقعة العقاب ضد النصاري في الأندلس سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م^(١). وتعتبر هذه الموقعة هي الحد الفاصل بين قوة دولة الموحدين وضعفها وبداية انهيارها . فقد أصاب دولة الموحدين بعد الهزيمة الوهن والضعف بسبب الصراعات العسكرية التي نشبت في سائر أرجائها وكان من نتائجها قيام عدد من الكيانات السياسية الجديدة على حساب الدولة الموحدية^(٢) .

(٤) يوسف بن محمد الناصر، يكنى بالمستنصر ٦١٠-٦٢٠هـ / ١٢١٣-١٢٢٤م.

وبداية عصر الضعف والانهيار ، دامت فترة حكمه نحو عشر سنوات (كان صبيّاً صغيراً وعندما مرض والده الناصر اختار من أشياخ الموحدين أوصياء علي المستنصر في الحكم) ولكن أشياخ الموحدين انفردوا بالحكم ، وتغلبوا عليه^(٣) .

(٥) أبو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن المخلوع ٦٢٠هـ / ١٢٢٤م، حكم لمدة شهرين ثم خلع وقتل^(٤) .

(٦) أبو عبد الله بن يعقوب المنصور العادل ٦٢١-٦٢٤هـ / ١٢٢٤-١٢٢٧م. وكان والي مرسية ، ودعا إلى مبايعته أشياخ الموحدين ؛ وخلعوا عمه عبد الواحد^(٥) .

(٧) يحيى بن الناصر ٦٢٤-٦٢٧هـ / ١٢٢٧-١٢٣٠م . وقد اختاره الموحدون في مراكش بعد مبايعتهم للمأمون والي أشبيلية وأخي العادل^(٦)

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ، ومحمد بن تاويت ، قسم الموحدين ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ٢٦٣ ، محمد عبد الله عنان : مرجع سابق ، ج ٢ ص ٣١٣

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٧٥

(٣) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المارينية ، دار المنصور للطباعة ، الرباط، ١٩٧٢م، ص ٥٤، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ١٩٦-١٩٨، عبد الواحد المراكشي:

المعجب ص ٢٦٦ ، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين ، ج ٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة ، ٢٠٠٣م ، ص ٣٢٨ - ٣٣٠

(٤) محمد عبد الله عنان: نفس المرجع ص ٣٥٠

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ص ٤٧ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ١٦٢ ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق

احسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص ١٢٩

(٦) ابن أبي زرع : الأنيس ص ١٦٦ وما يليها ، ابن الخطيب : الإحاطة ج ١ ص ٤١

(٨) المأمون بن المنصور ٦٢٤-٦٢٩هـ / ١٢٢٧-١٢٣١م . حيث أوعز إلى أشياخ الموحدين بعزل أخيه العادل^(١) . الذي خطب له بالفعل على منبر جامع المنصور وخوفاً من بطشه نكث أشياخ الموحدين بيعته وبايعوا يحيى بن الناصر ولهذا استعان بالفرنج القشتاليين لمحاربة الموحدين في المغرب الأقصى^(٢) .

ودخل المأمون مراكش وفر يحيى بن الناصر ، وبادر أشياخ الموحدين إلى بيعته واستقر في كرسى الخلافة^(٣) وأصدر مرسوماً إلى سائر البلاد بإزالة اسم المهدي (محمد بن تومرت) من الخطبة والسكة ، ومحو اسمه من المخاطبات ، وقطع النداء عند الصلاة بالنداءات البربرية^(٤) .

(٩) الرشيد بن المأمون بن المنصور ٦٣٠-٦٤٠هـ / ١٢٣٢-١٢٤٢م . حكم عشر سنوات كثرت فيها الاضطرابات والمجاعات^(٥) .

(١٠) السعيد على أبو الحسن ٦٤٠-٦٤٦هـ / ١٢٤٢-١٢٤٨م . حكم ست سنوات^(٦) .

(١١) أبو حفص عمر المرتضى ٦٤٦-٦٦٥هـ / ١٢٤٨-١٢٦٦م . حكم تسع عشرة سنة ، وكان في فترة حكمه أيام دعه وهناء لمدة خمسة عشر عاماً ، ولكن في أواخر حكمه حدثت اضطرابات وفتن وحروب أهلية ومجاعات^(٧) .

(١٢) أبو دبوس الواثق بالله ٦٦٥-٦٦٨هـ / ١٢٦٦-١٢٦٩م . حكم ثلاث سنوات كانت الدولة في نهايتها من اضطرابات وانهايار^(٨) .

(١) ابن أبي زرع : نفس المصدر السابق ص ١٦٦ وما يليها ، ابن الخطيب : نفس المصدر السابق ج ١ ص ٤١١

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان ص ٢٦٤ - ٢٦٥

(٣) ابن أبي زرع : الأتياس المطرب ص ١٦٧ ، أبي عذارى المراكشي : البيان المغرب ص ٢٦٥

(٤) ابن أبي زرع : نفس المصدر ص ١٦٧ وما يليها ، ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص

٢٦٧ وما يليها ، ابن الخطيب : الإحاطة ج ١ ص ٤١١ وما يليها

(٥) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص ٣١٥ وما يليها

(٦) محمد عبد الله عنان : نفس المرجع ص ٦٢٧

(٧) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص ٣٤٧ ، ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ٩٧ ،

ابن أبي دينار : المؤنس ص ١٤٩ ، ١٥٠

(٨) ابن أبي زرع : نفس المصدر ص ١٧٥ ، ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص ٤٤٦ ، ابن

أبي زرع : الذخيرة السنية ص ١٢٥ ، محمد عبد الله عنان : نفس المرجع ص ٥٥٨

• نهاية دولة الموحيدين :

شهدت البلاد تدهوراً واضحاً في سائر الأوجه ، فتلاحقت بؤابر الضعف الحكومي ، وانعدم الأمن في الطرقات وظهرت المنكرات ، بينما امتنع عامة الناس عن أداء الضرائب^(١). وازداد الأمر خطورة بأن انتابت السلطة المركزية قوضى بعد وفاة المستنصر (٦٢٠هـ / ١٢٢٤م)^(٢) وأصبح أشياخ الموحيدين يتلاعبون بملوكهم فخلعوا عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ثم قتلوه (٦٢١هـ / ١٢٢٤م) وبايعوا - بعده - العادل ثم خنقوه وبايعوا المأمون ، ثم نكثوا وبايعوا ابن أخيه يحيى. ورافق هذه غلاء ومجاعات اجتاحت المغرب والأندلس سنوات طويلة. وقد نشأ عن هذا كله انحلال الدولة الموحدية . وتوقفت الحراثة في بوادي المغرب الأقصى . وقد أدى ذلك إلى تفكك الدولة الموحدية وعم الخراب في المدن . ففي فاس اضمحلت كثير من المنشآت الصناعية والعمرانية^(٣) وكثر الخراب في مراكش^(٤) وظهرت دويلات مستقلة في المغرب عن دولة الموحيدين مثل الدولة المرينية التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية التي أصابها الوهن والضعف بعد هزيمتها في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م^(٥) . وتعتبر هذه الموقعة هي الحد الفاصل بين بداية انهيار الدولة الموحدية وبداية دولة بني مرين .

Ahmad Saeed Rizvi

- (١) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٣٥ ، ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٧٠
- (٢) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ٥٤ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ١٩٦-١٩٨ ، عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٦٦
- (٣) الجزنائي : جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب منصور ص ٣٤ ، المطبعة الملكية الرباط ١٩٦٧م ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٩
- (٤) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ص ٣٢٤-٣٢٥
- (٥) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، الذخيرة السنية ص ١٥ .

ولم يكن لهم مكان محدد يستقروا فيه فهم (المرينيين) قبيلة بدوية ينتقلون من ذات أفريقيا إلى سجماسة بحثاً عن الكلاً والماء وظل الوضع هكذا حتى قام الخلاف بينهم وبين بني عبد الواد فكان هذا إيذاناً لهم بالاستقرار بجلال وادي ملويه وهو الجبل الفاصل بين المغرب والصحراء ، ولقد كانت بني مرين من القبائل الكثيرة العدد القوية الشكيمة ، يعيشون حياة قبلية أقرب إلى حياة الصيد والصحارى ، وتعد الفروسية والغارات من دعائم حياتهم البدوية ، فكان لا بد لهم أن يستغلوا الظروف التي تعيشها الدولة الموحدية ليقيموا دولتهم أسوة بدولة المرابطين والموحدين من قبلهم . وقد كان المرينيون من القبائل التي دخلت في طاعة الموحيدين في بدايتها وفي عهد يعقوب المنصور ٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٩م ساهم المرينيون في معركة الارك وفي سنة

وكذلك قيام دولة بني عبد الواد بلمسان سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م^(١). والدولة الحفصية بتونس^(٢) سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م ، ومن جانب آخر فقد حفزت تلك الأوضاع المتردية الممالك الأسبانية في الأندلس فخرجت عن طاعة الموحيدين ، وهى التي أفضت إلى خراب الأندلس^(٣) وكانت السبب القوى في مهاجمة الروم للبلاد ونجاحها في الإستيلاء عليها . فأخذت مدن أندلسية تسقط بيد أسبانيا النصرانية دون أن يستطيع الموحدون الدفاع عنها^(٤) فلم يبق للمسلمين

٦١٠هـ / ١٢١٢م دخلت طائفة من بني مرين المغرب كعادتهم في البحث عن المراعى ومساقط المياه ، فوجدوا المغرب خاليا فدخلوا بلاد المغرب بقيادة عبد الحق بن محيو المريني أول من تزعم بني مرين ضد الموحيدين وأول من رسم الخطوط العريضة لدولة بني مرين ، وأرسل لهم المستنصر جيش لمحاربتهم وانهزم جيش الموحيدين وبذلك استتب الأمر لبني مرين . إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، دار الرشد الحديثة ، ط ١ ، الدار البيضاء ، ١٩٧٨م ، ج ٢ ص ١٢

(١) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٧٢-٨٦ ، محمد عبد الله التتسي : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق محمود بو عياد ، الجزائر ١٩٧٥م ص ١١٥

(٢) الحفصيون : تنسب إلى الشيخ أبى حفص يحيى بن عمرو الذي ينتمي إلى قبيلة هنتاتة أعظم قبائل المصامدة التي عاشت بالمغرب الأقصى ، وكان للشيخ أبى حفص مكانة سامية في دولة الموحيدين ، وكان لأولاد أبى حفص وأحفاده منزلة رفيعة في الدولة ، وتقلدوا في مناصب الإدارة في المغرب والأندلس ، وبعد أن تولى أمر الدولة الموحدية العادل بن يعقوب سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م عهد بولاية إفريقية إلى أبى محمد عبد الله بن عبد الواحد بن أبى حفص وكان في صحبته أخوه أبو زكريا . وما كادت الأمور تستقر في إفريقية حتى قفز على منصب الخلافة الموحدية أبو العلاء إدريس المأمون سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م بعد ثورة قادها ضد أخيه العادل ، فرفض أبو محمد عبد الله الحفصى بيعته والدخول في طاعته ، فما كان من الخليفة الجديد إلا أن كتب بولاية إفريقية إلى أبى زكريا يحيى ، فقبلها على الفور وسارع من تونس إلى القيروان وتغلب على أخيه أبى محمد وتولى أمر البلاد سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م . (ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ١٢٧ ، ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٨٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ١٩٧ ، عقيله مراجع : سقوط دولة الموحيدين ، منشورات جامعة بنغازي طبعة أولى بيروت ١٩٧٥م ص ٢٧٩ - ٢٨١

(٣) أبو عبد الله محمد بن أبى بكر القضاعي بن الآبار : التكملة لكتابة الصلة ، تحقيق عزت العطار الحسيني ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٦م ، ص ١٦٧

(٤) ابن أبى زرع : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ص ٥١ .

ففي سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م قام ابن هود بمرسية وشرق الأندلس وقضى على النفوذ الموحدى بالأندلس ، وتارة الحروب بينه وبين ابن هود ، وفى خلال هذه التقلبات التي مرت بالأندلس كانت القواعد والمدن والحصون تتساقط بيد أسبانيا النصرانية ، وقد انهارت مدن الأندلس الكبيرة فيما بين سنة ٦٣٣ - ٦٤١هـ / ١٢٣٦ - ١٢٤٣م فصخرة قرطبة وإشبيلية وجيان ومرسية...

غير غرناطة^(١) تحت لواء محمد بن نصر ابن الأحمر الذي اتخذها مقراً لمملكته سنة ٦٣٠هـ / ١٢٢٣م .

Ahmad Sàeed Rizq

وكان عدد من الجهات ينزل عنها ابن هود وابن الأحمر فيتملكها هؤلاء الأسبانيون بدون قتال ، وقد بلغت الجزية التي كان يؤديها ابن هود أربعمائة ألف دينار سنوية . ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٩٧ ، يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ط ٢ القاهرة ١٩٥٨م ص ٤٤٥ ، محمد المنوني : الإمبراطورية الموحدية في دور الانحلال ، مجلة دعوة الحق ، العدد (٢) السنة الثامنة ١٩٦٤م ص ٥٨ ، المنوني : عن حضارة المرينيين ، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة ، طبعة ثانية الدار البيضاء ١٩٩٦م ص ١٣ ، حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٣٤

(١) خرج الشيخ محمد بن يوسف المعروف بابن الأحمر ٦٧١هـ / ١٢٧٢م عن سلطة الموحدين فعلياً سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م بمدينة ارجونه وتتابعت المدن الأندلسية في الدخول في طاعته كجيانه وشرش حتى اخضع بقية المدن الأندلسية واتخذ غرناطة عاصمة له. (ابن عذارى : البيان ، قسم الموحدي ص ٢٩٦ ، ابن الخطيب : أعمال الأعمال في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار مكشوف ط (٢) القاهرة ١٩٥٨م ص ١٧-٢٢-٤٧٠ ، يوسف شكري فرحات : غرناطة في ظل بني الأحمر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط (١) بيروت ١٩٨٢م ، ص ١٩-٣٢)

الفصل الأول

- العوامل المؤثرة في مراكز التجارة الداخلية في المغرب
- الأقصى مراكش – فاس – سبتة – طنجة – سجلماسة –
أغمات وريكة

Ahmad Saeed Riza

- عوامل جغرافية
- عوامل سياسية
- عوامل اجتماعية
- وسائل النقل وأهم الطرق الداخلية (برية – نهرية –
بحرية)

العوامل المؤثرة في مراكز التجارة الداخلية

في المغرب الأقصى

• عوامل جغرافية :

قد تؤثر تأثيراً مباشراً في مراكز التجارة الداخلية والخارجية ، حيث يلعب الموقع الجغرافي للمدينة دوراً أساسياً في التجارة والحركة الاقتصادية، ويؤثر موقع المدينة على نشاطها التجاري.

• مدينة مراكش (١) :

كان اختيار موقع مدينة مراكش قاعدة لدولة المرابطين ثم من بعدهم لدولة الموحدين أثره في التجارة، فاخيارها عاصمة للدولة ساعدها عن موقعها الجغرافي، فقد ذكر عماد الدين إسماعيل أبو الفداء صاحب حماة في تقويم البلدان : " مراكش محدثة بناها يوسف بن تاشفين في صحراوية وجلب إليها الماء وأكثر الناس فيها البساتين فكثر وخمها ولا يكاد الغريب يسلم فيها من الحمى ، وجنوبي مراكش جبل درن وشمالها سلا وغربيها البحر المحيط وشرقيها الجهات التي بين سجلماسة وفاس، ودور مراكش (مساحة مراكش) سبعة أميال (١٢.٩٨٥ كم) ولها سبعة عشر باباً وحرها شديد وهي في شمال أغمات بميلة يسيرة إلى الغرب وبينهما نحو خمسة عشر ميلاً (٢٧.٨٢٥) (٢) ". وقد ذكرها صاحب (الاستبصار في عجائب الأمصار) وابن أبي زرع في روض القرطاس : " مدينة مراكش كلاًها الله هي اليوم حاضرة بلاد

(١) مراكش : معناها بالبربرية أسرع المشي . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٩٤/٥ . ومراكش بفتح الميم وتشديد الراء وفتحها وألف ساكنة ثم كاف ثم شين بعده ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٤ . وقد ضبط هذه الكلمة صاحب كشف الظنون : مراكش بضم الميم وفتح الراء المشددة بعدها ألف وبعد الألف كاف مكسورة ثم شين معجمه . العباس بن إبراهيم التعارجي السملالي قاضي مراكش: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، المطبعة الملكية، الرباط ، ١٩٧٤م ، ج ١ ص ٨٣ .

(٢) أبو الفداء : المصدر السابق ، ص ١٣٥ . الميل : ١.٨٥٥ كم عند الحنفية والمالكية (علي جمعة : كتاب المكايل والموازين الشرعية ص ٢٠ - ٧٠)

المغرب ودار مملكتها ، وهى مدينة عظيمة فى بسيط من الأرض وأسسها يوسف بن تاشفين سنة تسع وخمسين وأربعمائة^(١) . واستولى عليها الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على سنة ٥٤١ هـ . وعلى ثلاثة أميال (٥٠.٥٦٥ كم) منها وادى نهر تانسيفت منبعه من بلد أغمات هيلانة ، ويصب فى وادى أغمات وريكة ، ووادى نفيس . ومصب النهر فى ساحل رباط قوز على المحيط ... وبينها وبين جبل درن نحو العشرين ميلا (٣٧.١ كم) ، وهى كثيرة الزرع والضرع ، محراثها دكالة (تمدها بالزراعة) ، وجنتها نفيس (تمدها بالفاكهة) ، وحولها من البساتين والجنات التى يسمونها البحائر لعظمها مالا يحصى كثرة ، وإنما بناها واضعها ليملك منها جبل درن لكثرة من يعمره (من قبيلته)^(٢)

ومدينة مراكش اليوم (فى عصر دولة الموحدين) من أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالاً بما زاد فيها: الخليفة الإمام عبد المؤمن بن على وخليفته يوسف ابن عبد المؤمن وخليفتهما يعقوب^(٣) . وقد زاد الخليفة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن مدينة أخرى تقارب الأولى فى قبلتها وكانت بحائر عظيمة فبناها قصوراً وجامعاً وأسواقاً وفنادق وجلب التجار إلى قيسارية عظيمة لم يبنى فى مدن الإسلام أعظم منها ، وأمر بعمارته أول سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وفواكه وجميع الثمرات، وكانت قبل ذلك يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء ، وأكثر شجرها

(١) العباس بن إبراهيم : نفس المرجع ، ج ١ ص ٥٧ .

يذكر ابن أبي زرع : أن يوسف ابن تاشفين اشترى موضع تأسيس مدينة مراكش من كان يملكه من المصامدة سنة ٤٥٤ هـ فسكن الموضع وبني فيه مسجداً للصلاة وقصبة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه ولم يبنى على ذلك سور . ولم يكن بها ماء فحفر الناس بها آبار يخرج لهم الماء على قرب فاستوطنها الناس ولم تزل كذلك لأمور فلما ولي بعده ولده بني سورها فى ثمانية أشهر . ثم أصقل فى بنائها ومصانعها أمير المسلمين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى أيام ملكه بالمغرب ، ولم تزل مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم ... (ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ١٧٥) لقد اختلف فى تأسيس مدينة مراكش بين ٤٥٩ هـ ، ٤٧٠ هـ (ياقوت الحموي : معجم البلدان ح ٥ ص ٩٤ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج ١ ص ٢٣٣) وسنة ٤٥٢ هـ ، و ٤٦٣ هـ ، و ٤٧٥ هـ ، و ٤٨٠ هـ (العباس بن إبراهيم : نفس المصدر ، ج ١ ص ٦١)

(٢) العباس بن إبراهيم : المصدر السابق ، ص ٥٧ - ٥٨

(٣) العباس بن إبراهيم : المصدر السابق ص ٥٨ .

الزيتون وفي مراكش من الزيتون والزيت ما تستغني به عن غيرها من البلاد وتمير بلاداً كثيرة وكان زيتها قبل اليوم دهن من الهرجان^(١) . لأنه بتلك البلاد كثيراً جداً ، وزيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة ، وزيتها أرخص^(٢) .

• مدينة فاس :

تتمتع مدينة فاس بموقع هام حيث تقع عند النقطة التي يتقاطع عندها محوران ، رئيسيان أحدهما يمتد من الشمال إلى الجنوب يربط البحر المتوسط ومدن الجنوب ، والآخر هو المحور الذي يربط بين ساحل المحيط الأطلسي والمغرب الأوسط^(٣) فضلاً عن سيطرته على واد سبو .

ويصفها اليعقوبي بقوله : " انه يدخل إلى المدينة العظمى التي يقال لها افريقية علي النهر العظيم الذي يقال له فاس بها يحيي بن يحيي بن إدريس بن إدريس وهي مدينة جليلة كثيرة العمارة والمنازل ومن الجانب الغربي من نهر فاس وهو نهر يقال انه أعظم من جميع أنهار الأرض عليه ثلاثة آلاف رحي تطحن (الحبوب) " ^(٤).

(١) تعريب كلمة أركان البربرية ، وهو نوع من الزيتون البري الذي يوجد بكثرة في تلك الجهات : (العباس بن إبراهيم : نفس المصدر . ج ١ ص ٥٩)

(٢) العباس بن إبراهيم : نفس المصدر السابق ص ٥٩ .

(٣) عماد الدين إسماعيل صاحب حماة أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٣ ،

ويشير بعض المؤرخين أن موقع مدينة فاس كان مدينة قديمة أسست في العصر الروماني لتكون مركزاً تجارياً وأنها ليست مستحدثة

(Blacher(R):Fes chez les Geographes Arabs de Moyen Age, Peris , F.18

pp 41-49.)

ويذكر ابن أبي زرع قصة اليهودي الذي كان يحفر أساس داره بالمدينة فوجد تمثالاً من الرخام لجارية وقد نقش عليه عبارة " هنا موضع حمام عمرة ألف سنة ثم خرب فأقيم موضعه ببعه للعباد " (ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٣٨)

وقد اختلفت المصادر في ذكر سبب تسميتها بهذا الاسم ، فمرة يعزونه إلى فأس وتشير إلى أن الإمام حين كان يعمل مع الصناع صنع له فأساً من ذهب ، وآخرون يرون أنها ترجع لأن فأساً كبيراً وجدت عند حفر الأساس . (ابن أبي زرع : المصدر السابق ص ٤٥ ، الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص ٢٤ ، ابن الآبار : الحلة السيرة . جزءان ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، الطبعة (٢) ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٥٥)

(٤) أحمد بن يعقوب بن راضح الكاتب المعروف باليعقوبي : كتاب البلدان ، اعتناء دي خوية ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩٢ م ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

وكان لموقع فاس المتوسط أثره في أن تكون مركزاً لنشاط تجاري بين شرق المغرب وغربه وشماله وجنوبه ، وكانت من أهم المدن التجارية المغربية على الطريق إلى بلاد السودان^(١) .

• سبتة :

ساعد موقع سبتة الجغرافي على نشاطها التجاري ، فهي تقع في الشمال من المغرب الأقصى وتطل على البحر المتوسط ، والذي يعد أكثر نقاط المضيق قرباً من العدو الشمالية (الأندلس) وقد حوت المدينة ثلاثين مرسى من أهمها مرسى المدينة المعروف بحفرة مختار^(٢) . وقام هذا الميناء بدور في الحركة التجارية إذ كانت القوافل تصل إليه من جميع بلاد المغرب خاصة من مدينة فاس^(٣) . وبذلك أصبح أهم مراكز التجارة الدولية .

وميناء سبتة من أشهر الموانئ المغربية ومن المرافئ التي تخرج منها وترد إليها معظم التجارة الخارجية ... كما يعد هذا الميناء طريقاً هاماً للقوافل المتجهة إلى غانة والسودان الغربي^(٤) (تسير القوافل من سبتة الي فاس ثم الي سجلماسة ثم الي بلاد السودان لتجولة الذهب) .

Ahmad Saeed Rizq

• طنجة :

ترجع أهمية طنجة كمركز تجاري لوقوعها على طريق التجارة بين المغرب الأقصى والأندلس ، فهي ميناء بحري له أهمية كبرى في المغرب الأقصى يقول عنها ياقوت الحموي : " طنجة بلاد على ساحل المغرب مقابل الجزيرة الخضراء على ظهر جبل بينها وبين القيروان ألفا ميل (١٨٥٥ كم)"^(٥) . بينها وبين ميناء سبتة ثلاثون

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٤٦ ، البكري : المغرب ص ٨٨ .

(٢) البكري : المغرب ، ص ١١٤-١١٥ ، مارمول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ٢١٦ ، عيسى بن الذيب : التجارة في عصر المرابطين ٤٨٠-٥٨٠ هـ / ١٠٥٦-١١٤٥ م ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، ص ١١٨ .

(٣) محمد بن القاسم الانصاري السبتي : اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور ، ط ٢ ، الرباط ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م ، ص ١٥٦ .

(٤) أمين توفيق الطيبي : النشاط الاقتصادي والعلمي بمدينة سبتة المغربية في القرن ٨ هـ / ١٤ م ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبية ، العدد ٢ يوليو سنة ١٩٨٢ م ، ص ٢٩٢ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤/٤٣

ميلاً (٥٥.٦٥ كم) في البر وفي البحر نصف مجرى^(١) . وقد ساعد موقع طنجة عند المحيط على البحر المتوسط عند مضيق جبل طارق ان تكون ميناء هام.

وقد ذكرها عماد الدين إسماعيل أبو الفداء بقوله " مدينة طنجة على فم بحر الزقاق " واتساع البحر عندها ثلث مجرى فإذا شرق عنها اتسع عن ذلك^(٢) . ويذكرها الاصطخرى بقوله : " طنجة كورة عظيمة تحيط بمدن وقرى وبوادي ومدينتها (عاصمتها) فاس"^(٣).

• سجلماسة :

تعتبر مدينة سجلماسة مدينة تجارية هامة حيث تربط بين تجارة المغرب الأقصى وتجارة بلاد السودان ، وذلك لموقعها في جنوب مدن المغرب الأقصى ، وبداية الصحراء الفاصلة مع بلاد السودان فكانت مركزاً لنقل التجارات بين السودان وبلاد المغرب^(٤) . ويذكرها الإدريسي بقوله : مدينة سجلماسة مدينة كبيرة كثيرة العامر وهي مقصد للوارد والصادر ..."^(٥) فمن أراد الدخول إلى بلاد سلى وتكرور وغانة من بلاد السودان^(٦) فلا بد له من هذه المدينة^(٧).

Ahmad Saeed Rizq

(١) الحميري : الروض المعطار ص ٣٩٥ - ٣٩٦ ، البكري : المغرب ص ١٠٥ - ١١١

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٣ ، البحر الزقاق: البحر الضيق ، المعجم الوجيز ص ٤٨٤

(٣) الاصطخرى : مصدر سابق ، ص ٣٤

(٤) البكري : المغرب ص ١٧٢ - ١٧٤ - ١٧٥ ، أبو الفداء : مصدر سابق، ص ١٣٧ ، الحبيب

الجنحاني : المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، عالم المعرفة، الكويت،

رقم ٣١٩ لسنة ٢٠٠٥ م ، ص ١٥٩

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٢٥ .

(٦) سلى وتكرور : (في السنغال) على طريق قوافل من بلدان المغرب عبر الصحراء الكبرى ،

أولها الطريق الذي يحاذي ساحل المحيط وينتهي في السنغال (تكرور وسلى) .

(الحميري : الروض المعطار ص ١٢٦ ، مؤلف مجهول : الاستبصار ص ١٧٨)

غانة : من بلاد السودان بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين ، وهي مدينتان على ضفتي البحر

الحلو احدهما يسكنها الملك والأخرى يسكنها الرعية والتجار والسوقة ، وتعتبر من أكبر بلاد

السودان قطراً ، وأكثرها خلقاً وأوسعها متجراً ، واليها يقصد المياسير من جميع البلاد المحيطة

بها من سائر بلاد المغرب الأقصى ، وأهلها مسلمون .

(الحميري : مصدر سابق ص ٢٢٥ - ٢٢٦) .

(٧) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٥ .

• أغمات^(١) :

كان لموقع مدينة أغمات الجغرافي أثره في التجارة ، فمدينة اغمات قرب مراكش (العاصمة) بثلاث فراسخ (٩ أميال) (١٠.٤٤٨ كم) في سفح جبل ، وهى مدينتان متقابلتان كثيرة الخير ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل (١٧٨.٠٨ كم) ، ومن سجماسة ثمان مراحل (٣٥٦.١٦ كم) في بحر المغرب ، وليس بالمغرب ، فيما زعموا ، بلد أجمع لأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظاً ولا خصباً منها^(٢) .

ومدينة أغمات شمال جبل درن ، وهى كانت حاضرة البلاد قبل بنيان مراكش ، وهى من أقصى المغرب ، قال ابن سعيد أيضا كانت ملك أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين قبل أن يختط مراكش وبينها^(٣) .

• الوضع السياسي في مدينة مراكش :

الوضع السياسي من العوامل المؤثرة في الحركة التجارية ، وذلك له تأثير مباشر على مراكز التجارة . فإنشاء مدينة مراكش كان عامل سياسي ، حيث حرص يوسف بن تاشفين أن يتخذها لعسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها في جبل درن ، إذ لم يكن في قبائل المغرب اشد منهم قوة ولا أكثر جمعا ، ولما جاءت دولة الموحدين ، وكان منهم يعقوب المنصور الشهير الذكر ، اعتنى بمدينة مراكش واحتفل في تشييدها وبالغ في تنمية مساجدها^(٤) .

وظلت مراكش محل عناية الموحدين ولهذا ففي الوقت الذي كانوا يجهزون فيه على أثار المرابطين بها كانوا يعوضون ذلك بالبحيرات والبساتين والمباني^(٥) .

(١) أغمات : مدينتان سهليتان إحداهما تسمى أغمات ايلان والأخرى أغمات وريكة وبها سكن رئيسهم ، وبها ينزل التجار والغرباء ، وأغمات ايلان لا يسكنها غريب ، وبينهما ثمانية أميال . (البكري : المغرب ص ١٥٣ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٣١ - ٧٠)

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ١/ ٢٢٥ .

(٣) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٥ .

(٤) العباس بن إبراهيم : الإعلام بمن حل مراكش ... ج ١ ص ٨٣ .

(٥) عبد الملك محمد بن أحمد بن إبراهيم بن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة مع المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثاني (استخرجه من مخطوط أكسפור عبد الوهاب التازي ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ٢٦٦)

وفي العصر الأول لدولة الموحدين من ٥٤١ / ٦١٠ هـ وضع الأساس عبد المؤمن بن علي ثم ابنه يوسف بن عبد المؤمن حيث كانت تجبى الأموال من الخراج دون مغارم ولا جور فكثرت الأموال وأمنت الطرقات وكان يتفقد أحوال مملكته لا يعتمد على أحد من وزرائه^(١) .

ففي سنة ٥٧٩ هـ قام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمحاسبة عبد الرحمن بن يحيى المشرف على فاس ، لما علم بظلمه للرعية ، وعدم أمانته في حكمه على المدينة . وكذلك لخازن بيت المال الذهبي ، ولخازنه على الطعام الطرحوقي . وأيضاً محاسبة مشرف مكناسة وابن هود عاملها وابن عمر صاحب المدينة بها . وأيضاً المشرف برباط تازا . ومحاسبة صاحب ملوية على بن مرزبن ، وقاضي المعدن ، وغير هؤلاء . فاستأصل أموالهم ورد للمخزن (بيت المال) ضياعهم ورباعهم ، وترك لكل رجل منهم داراً واحدة ، وأن يردوا أربعمئة ألف دينار ، وستين ألفاً يقسطونها على أنفسهم وشد العدول بذلك عليهم فجعل عليهم الرقباء حتى دفعوا المال المذكور^(٢) .

وكانت أيام المنصور يعقوب بن يوسف، زينة الدهر والأمن في جميع عمله، حتى أن الظعينة^(٣) تخرج من برقة إلى آخر المغرب لا يتعرض لها أحد^(٤) . ويجلس الخليفة للمظالم وأغلب الدعاوى من السوق والتجار ، وهذا يتضح مع كثرة نشاط التجارة تزداد طلب حقوق أصحاب البضائع من التجار^(٥) .

= وينكر ابن خلدون : " إذا بنيت المدينة وكمل تشييدها بحسب نظر من شيدها ... فعمر الدولة حينئذ عمر لها . فان كان عمر الدولة قصيراً وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخربت ، وان كان أمد الدولة طويلاً ومدتها منفسحة ، فلا تزال المصانع فيها بشداد والمنازل الربحية تكثر وتتعدد ، ونطاق الأسواق يتباعد وينفسح " .

(ابن خلدون : المقدمة ، المجلد الأول ص ٦١٠ ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ١٩٨٣ م .)

(١) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص ١٤٠ - ١٤١ ، دار المسيرة .

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ، قسم الموحدين ص ١٥٨

(٣) الظعينة: الدابة يرتحل عليها. (ج) طعائن. (المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، ص ٤٠٠) .

(٤) ابن أبي دينار : المصدر السابق ص ١٤١ .

(٥) ابن عذارى المراكشي : البيان، قسم الموحدين ص ١٧٤

وفى عهد الناصر ، آخر ذلك الثبت من الخلفاء الموحدين الذين اقترنت بعصرهم بعض الأحداث الضخمة الحاسمة^(١) (انتصاره علي ابن غانية وهزيمة في موقعة العقاب من الأسبان النصاري) .

وفى عام ٦٠٧هـ - ١٢١٠م ، شب حريق كبير بقيسارية بمراكش ، والناس راقدون في مضاجعهم (ليلاً) ، وشبت النار أولاً في القيسارية ، وانتشرت بسرعة ، وأنت على الحي كله ، فهب الناس مذعورين من نومهم ، وكثر الصراخ والاستغاثة ، ونهض الخليفة الناصر على الضجيج وغادر قصره مسرعاً ، واعتلى صومعة الجامع ليشهد تغلغل النار .

واقتمح الغوغاء كثيرا من الدروب ، وسلبوا ما استطاعوا سلبه مما سلم من الحريق ، واستمر الحريق حتى صباح اليوم التالي ، وقد أتى على كثير من أحياء المدينة . وأمر الناصر في اليوم التالي بتتبع السفلة الناهبين ، واسترداد ما يمكن استرداده منهم ، فقبض على كثيرين من هؤلاء وأعدموا على الأثر وهلك في تلك النكبة كثير من الأموال والدور . وافترق كثير من ذوى اليسار ، وفقدوا دورهم وثرواتهم ، وأمر الناصر بأن يعاد تشييد الأحياء المحترقة بأحسن مما كانت عليه^(٢) .

وفى العصر الثاني من دولة الموحدين ٦٦٨/٦١٠ هـ في بداية حكم يوسف المستنصر بن الناصر ، وظهور طلائع بني مرين ٦١٣هـ / ١٢١٦ م . تولى أمير المؤمنين أبو محمد عبد الواحد (المخلوع) ٦٢٠هـ ، وبعد شهرين قام عليه أبو محمد العادل والى مرسية .. وانفتح باب الفتن بين الموحدين .

ثم تولى أمير المؤمنين المأمون (أخو العادل) وهو أول من أدخل جيش النصاري إلى مراكش مستنصرأ بهم ودخل معه اثني عشر ألف نصراني (لمحاربة أشياخ الموحدين لبيعتهم ليحيي بن الناصر في مراكش) .

ثم تولى أبنيه عبد الواحد الرشيد بن إدريس المأمون ٦٣٠هـ وفى زمانه وقع وباء وغلاء مفرط بحيث بلغ قفيز (٢٤٤٨ كيلوجرام) القمح ثمانين ديناراً .

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين ، ج ٥ ص ٣٢٥ ، مكتبة الأسرة .

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان ، قسم الموحدين ص ٢٥٧

وتولى المعتضد أبو الحسن علي بن إدريس ٦٤٠ هـ وفي أيامه كثر جمع بني مرين وقتله الخليفة الموحي السعيد علي أبو الحسن . ثم تولى المرتضى بعد موت السعيد وكانت أيامه دعه وهناك . ودخل عليه أبو دبوس فقتله^(١) . ثم تولى إدريس بن الرشيد (أبو دبوس) واتفق مع يعقوب بن عبد الحق المريني أن يعطيه النصف فيما يغلب عليه من البلاد ... وقتل في الحروب (أبو دبوس) ، وانقرضت دولة بني عبد المؤمن^(٢) .

وبعد انهيار دولة الموحدين لم يبق في مراكش مأهولا سوى قصر الحكم وقصر الرماة . ويسكن في القصر الأخير حجاب الملك وسائقو بغاله . أما البقية فقد تحولت إلى مأوى لأسراب الحمام البري والغريان واليوم وطيور أخرى من هذا القبيل . وخسرت مراكش شهرتها القديمة وظلت مهددة بغارات الأعراب في كل مرة يرفض السكان فيها إرضاء أي رغبة من رغباتهم^(٣) .

• الوضع الاجتماعي في مدينة مراكش :

وقد سكن مدينة مراكش عالية القوم ، فقد ذكر الإدريسي مدينة مراكش في عصر المرابطين بقوله : "... واتصلت بذلك عمارات مراكش وحسن قطرها منظرها ومدينة مراكش في هذا الوقت من أكبر مدن المغرب الأقصى لأنها كانت دار إمارة لمتونة (المرابطين) ومدار ملكهم وسلك جميعهم وكان بها أعداد قصور لكثير من الأمراء ، والقواد وخدام الدولة ، وأزقتها واسعة ورحابها فسيحة ومبانيها سامية وأسواقها مختلفة وسلعها نافقة"^(٤)

وعندما تولى المصامدة أي (الموحدون) يذكر الإدريسي أيضا أنهم أكملوا ما بدأه المرابطين من توصيل الماء ، فيقول : " وكان علي بن يوسف قد جلب إلى مراكش ماء من عين بينها وبين المدينة أميال ولم يستتم ذلك فلما تغلب المصامدة على الملك وصار لهم وبأيديهم تمموا بطلب ذلك الماء إلى داخل المدينة ..."^(٥) .

(١) ابن أبي دينار : المؤنس ص ١٤٩-١٥٠-١٥١-٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨-٢٤٩

(٢) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ١٤٦

(٣) الحسن الوزان : نفس المصدر ج ١ ص ١٤٧

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٣٤

(٥) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٣٤

فقد قام عبد المؤمن بن علي ببناء مسجداً جامعاً غير جامع المرابطين الذي هدمه وغرس البساتين حول مراكش ، وجلب لها الماء من أغمات وحفر الآبار والعيون ، وعظم إنتاج هذه البساتين من الفواكه^(١) . أما في عهد يوسف بن عبد المؤمن فقد أمر في سنة ٥٧٩هـ بتوسعة مدينة مراكش وهدم سورها الأول وإقامة سور آخر ، حيث تفاخروا في سكانها بحسب القدرة منهم والإمكان ، فصارت أوسع البلاد معاشاً وأكثرها خلقاً وأرباحها تجارة ، فضاقّت بالناس فلم يجدوا موضعاً للبناء ولا محلاً للسكنى ، حيث أمر أبو يعقوب يوسف قبائل هسكورة وصنهاجة أن يرتحلوا من بلادهم إلى سكانها بأهلهم وبنينهم فامتنلوا ، فاشتكوا من ضيق المدينة ، فنظر أمير المؤمنين ومعه شيوخ الموحدين وعرفاء البنائين كيف يتم اتساع المدينة ؟ فاتفق رأيهم على زيادة المدينة من جهة القبلة بجهة باب الشريعة^(٢) .

وقد انتشر الطاعون في المغرب والأندلس لمدة عام سنة ٥٧١هـ ، وقد قضى على الكثيرين من السكان وعلى بعض زعماء دولة الموحدين منهم أربعة من أبناء عبد المؤمن ، وقد أصيب الخليفة نفسه وأخوه السيد أبو حفص عمر ، ولكنهما شفيا من المرض . وقد قضى على الكثيرين من أهل مراكش وضاق المصلى بالموتى ، فأمر الخليفة بأن يصلى عليهم في عامة مساجد مراكش . ونتيجة لهذا الوباء الفاظف . . . خيم جو من الكآبة والحزن على مراكش الزاهر ، ولم يعد يخرج منها أحد أو يأتي وافد إليها . وكان لهذا الوباء الذي فتك بالكثير من أهل المغرب والأندلس أثره في أضعاف المعنويات ، وفي قلة الأيدي العاملة ، وتعطل التجارة ، وتوقف الحياة الزراعية والصناعية ، وقد ترتب على ذلك أزمة اقتصادية حادة كانت ذات أثر مادي ومعنوي سيئ على الرعية^(٣) .

وفي عهد المنصور " عظمت المملكة، وضاقّت مراكش بسكانها فأخنط الصالحة، وحشد لها العرفاء والصناع وكل من شهر بالإتقان ، وحدقت مساكنها بالنكسير وأرضى بالتعويض من كان له بها شيء صغير أو كبير... وأوعز إليهم وأكد عليهم ألا ينشئوا شيئاً من البنين إلا فوق الغاية من الوثاقة والإتقان ، فأقبلوا على العمل من

(١) عصام الدين عبد الرؤف الفقى : تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٦٩

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان ، قسم الموحدين ص ١٥٣-١٥٤

(٣) على محمد الصلابي : إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين ص ١١٨-١١٩ ،

مراجع عقيلة : سقوط الموحدين ص ١٢٩

غير ملل ولا كلل مواصلين مساءهم بصباحهم ... حتى كملت على أحسن الهيئات
فصارت مراکش مصر الأمصار و غاية الفخامة وارتفاع المقدار (١) .

وقد أمر المنصور بقطع لباس الغالي من الحرير، والاحتزاء منه، بالرسم الرقيق
الصغير، ومنع النساء من الطرز الحفيل، وأمر بالاكفاء منه بالساذج القليل، وأمر
بإخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت منه
نخائر لا تحصى بأثمان لم توف ولم تستقص - ثم أمر أصحاب الشرطة بقطع الملهين
والقبض على من شهر من المغنين فتقف من وجد منهم بكل مكان - فغيروا هيئاتهم
وتفرقوا على الأوطان - وبارت سوق القيان، وزهد كل الزهد في هذا الشأن (٢).

وصارت مراکش تضاهي بغداد في العظم بكثرة الرؤساء والعلماء والأدباء (٣).
وكل قصر من قصور مراکش مستقل بالديار والبساتين والحمامات والاصطبلات
والمياه وغير ذلك حتى أن الرئيس منهم كان يغلق بابيه على جميع خوله وأقاربه وما
يحتاج إليه ولا يخرج من بابه إلى خارج حارة لحاجة يحتاجها (٤). وكانت مراکش في
مستوى اجتماعي مرتفع لسكنى عليه القوم، فيها أربعة وعشرون حماماً، وأفرانها
سنة وستون فرناً، وأسواقها كثيرة منظمة مجموعة في وسط المدينة بحيث تغلق
عليها أبوابها وتبقى وحدها منفردة مشتملة على الحرف المهمة والسلع التي تجبى إليها
من كل قطر، وفيها ما يشد عن الحصر مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مع رخص
أسعارها (٥).

• الوضع السياسي في مدينة فاس :

لقد جاء تمام تخطيط فاس على يد الإمام إدريس الثاني جاء على مرحلتين (٦).

(١) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص ١٧٤

(٢) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص ١٧٤

(٣) العباس بن إبراهيم : الإعلام بمن حل مراکش ... ج ١ - ص ٩٣

(٤) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، طبعة المطبعة
الأميرية، القاهرة، ١٩١٥م، ج ٥ ص ١٦١، العباس بن إبراهيم : المرجع السابق ج ١ ص
(٩٩)

(٥) العباس بن إبراهيم : نفس المرجع ج ١ ص ٩٨

(٦) مؤلف مجهول : رسالة في ذكر من أسس فاس، ورقة ٤٥-٥٠، الجزائى : جني زهرة
الأس في بناء مدينة فاس ص ٣٤-٣٥، البكري : المغرب ص ١٢٣، ابن أبي زرع :
روض القرطاس ص ٣٨

المرحلة الأولى : يطلق عليها عدوة الأندلسيين التي شرع الإمام في بنائها في غرة ربيع الأول ١٩٢ هـ . أما المرحلة الثانية : بدأت في مستهل ربيع الثاني سنة ١٩٣ هـ ويطلق عليها عدوة القرويين^(١). وكان اختطاط مدينة فاس كغيره من اختطاط المدن الإسلامية يسير وفق منهج إسلامي يكون المسجد فيه هو مركز المدينة ومحورها وأول ما يختط بها^(٢) . ولما كان السوق من متطلبات الجماعة الإسلامية فقد خصص الإمام إدريس الأرض المجاورة لكل مسجد من العدوتين لتكون سوقاً لكل منها^(٣) .

وقد قرر كل من اليعقوبي والمقدسي وجود مدينتين منفصلتين إلا أنهما لم يقدمتا معلومات وافية عن نشأة هاتين المدينتين . وكذلك فإن الإدريسي الذي ألف كتابه في القرن السادس الهجري وإن كان تحدث عن مدينتين منفصلتين رغم أن المدينتين اتحدتا في مدينة واحدة قبل ذلك بعشرات السنين . وقدم المؤرخ المغربي ابن أبي زرع مؤلف روض القرطاس أدق رواية عن هذا الموضوع ، فقد اعتمد عليه كل من الجزنائي في زهرة الآس ، وابن القاضي في جذوة الاقتباس .

ولقد ظلت مدينة فاس مزدهرة ، ذات شأن حتى أنها وصلت في عهد المرابطين والموحدين إلى درجة كبيرة من الازدهار لم تصل إليه مدينة مغربية من الرفاهية والرخاء والأمن^(٤) .

فأصبحت فاس في عصر المرابطين تسمى لدى شيوخ هذه الدولة (ببغداد المغرب) غير أن المرابطين أثروا عليها مراكش لقربها من بلاد المصامدة ، وصحراء لمتونة فلهذا السبب كانت مراكش كرسي المملكة ، وإلا فمدينة فاس أحق

(١) قام إدريس الثاني بتنظيم خطط المدينة فأنزل العرب القيسية بإزاء الأسوار الجنوبية من عدوة القرويين . أما قبائل البربر من زناتة ولوانة ومغيلة وصنهاجة فقد نزلت كل منها بحيزها ولم تحدد المصادر مواضعها وإن كان جماعة من الفرس من أهل العراق قد قدموا على إدريس الثاني فضلاً عن اليهود الذين نزلوا المدينة في ناحية أغلان إلى باب حصن مسعدون حيث بنو الحوانيت . وحين قدمت قبائل الأندلس على الإمام إدريس الثاني بعد أن أوقع بهم الحكم بن هشام وأجلاهم إلى المغرب سعدوا إلى مدينة فاس فأنزلهم العدو التي نسبت إليهم (عدوة الأندلسيين) . (ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٤٦ ، مجهول : رسالة في ذكر من أسس فاس . ورقة ٧ .)

(٢) الجزنائي : جني زهرة الآس ص ٣٣ .

(٣) مجهول : رسالة في ذكر أسس فاس ص ٢١

(٤) الجزنائي : نفس المصدر السابق ص ٣٨ .

بذلك منها^(١) . فكان من التطورات التي حدثت للمدينة في عصر المرابطين هو توحيدها إداريا ، فأصبح جامع القرويين هو الجامع الرئيسي بفاس . كما شهدت فاس في العصر المرابطي حركة عمرانية واسعة في عدوة القرويين بصفة خاصة ، نظرا لانتظامها بالسكان " وضاق جامع القرويين بالمصلين حتى كان الناس يصلون في الأسواق والشوارع المحيطة بالجامع"^(٢) .

وظلت فاس العاصمة الثانية لدولة المرابطين حتى تصدعت دولتهم وتغلب عليهم الموحدون . وسقطت فاس في أيدي الموحدين سنة ٥٤٠هـ^(٣) .

ولقد اهتم الموحدون بفاس في عهد حكمهم اهتماما خاصا ، لا سيما زمن الناصر الذي أقام بفاس سنة ٥٩٥هـ الي سنة ٥٩٨هـ ، وبني قصبتها وأسوارها التي كان ضرب جده عبدالمؤمن حين دخلها^(٤) ، وراجت صناعتها وحرفها وانتشرت الأسواق بالمدينة وارتبطت بالطرق التجارية . فعن طريق فاس كان يتجهز التجار إلى بلاد السودان وإلى المشرق وكان يحمل منها النحاس الأصفر إلى جميع الأفاق^(٥) .

- الوضع الاجتماعي في مدينة فاس :

تميزت كل من عدوتي فاس بطابع خاص يعكس سمات سكانها ، فعدوة الأندلسيين التي أنزل فيها جميع أجنادة وقواده ، وجعل بها جميع كسبه من الخيل والابل والبقر والغنم بأيدي ثقاته . ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير مواليه وحشمه وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقة^(٦) . وقد وصفها الإدريسي : "فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى ، ويسكن حولها قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون العربية ، وفاس هذه حضرته الكبرى ويقصدها الأشهر ، وعليها تشد الركائب واليها تقصد القوافل ويجلب إلى حضرته كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة

(١) المراكشي : المعجب ص ١١٩ - ١٢٠

(٢) الجزنائي : جني زهرة الأس ص ٣٨

(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ١٨٩ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، القسم الموحدى ، ص ٢٦٥ ، ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٢٤٢ ،

الناصري : الاستقصا ج ١ ص ١٩١ ، مصطفى أبو ضيف أحمد : اثر القبائل العربية في تاريخ

المغرب خلال عصر الموحدين والمرينيين ، رسالة ماجستير ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٥م ،

ص ٩٩ - ١٠٠

(٥) مجهول : الاستبصار ص ١٨١

(٦) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٥٥

وأهلها مياسير ولها من كل شئ حسن اكبر نصيب وأوفر حظ"^(١). وقد قدم صاحب الاستبصار شهادة مؤرخة سنة ٥٨٧هـ في بداية عهد المنصور ذكر فيها: "وقاعدة بلاد المغرب مدينة فاس .. هي أعظم مدينة من مصر إلى آخر بلاد المغرب . ومدينة فاس مدينتان كبيرتان يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس يدور عليها سور كبير، ومدينة فاس اليوم في نهاية العمارة والصلاح"^(٢). وتميزت فاس برونقها ونظافتها وقد وصف ابن حوقل شوارعها في القرن الرابع الهجري بقوله: "في كل يوم يرسل في أسواقها ، وشوارعها من نهرها الماء فتغسل " كما يشير إلى رصف شوارعها^(٣). وكانت هناك القناطر العديدة التي تربط بين عدوتى القرويين والأندلسيين^(٤).

ومع اكتفاء سكان فاس بالسلع الأساسية المتوفرة في مدينتهم ، فإن الأسواق كانت تمتلئ بأنواع المتاجر التي تأتي بها القوافل القادمة من مدن المغرب المختلفة، وفي ذلك يقول الجزنائي: " انه انتقل إليها جملة من أصناف الناس، وأهل الأمصار من جميع البلدان القاصية والدانية فليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومنصرف ، واجتمع فيها ما ليس في مدينة من مدن الدنيا ، وأنتها التجارات ، وأهل الصناعات من كل صقيع حتى تكامل بها كل متجر"^(٥). فصارت المدينة تعج بالتجار من مدن المغرب المختلفة الذين اتخذوا في أسواقها متاجر يصرفون فيها بضائعهم وسلعهم ". ووصفها ابن سعيد بأنها: " دار مملكة يقصدها الناس من جميع الأقطار ، واليها يجلب من جميع الأقاليم كل شيء حسن من المتاع والسلع الغالية الأثمان من اليمن والسودان والشام والأندلس"^(٦).

(١) الإدريسي : نزعة المشتاق ج ١ ص ٢٤٦

(٢) مجهول : الاستبصار ص ١٨٠

(٣) أبو القاسم محمد بن علي البغدادي بن حوقل: صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٨٩، ١١٥.

(٤) البكري : المغرب ص ١١٥ - ١١٦

ويذكر ابن خلدون: " فأما أن يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبساتين بادية يمدّها العمران دائماً ، فيكون ذلك حافظاً لوجودها ، ويستمر عمرها بعد الدولة كما تراه بفاس وبجاية من المغرب ". (ابن خلدون : المقدمة ج ١ ص ٦١٠)

(٥) الجزنائي : جني زهرة الأس ص ٣٩ ، جمال أحمد طه : فاس في عصري المرابطين والموحدين ، دراسة سياسية حضارية ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، ٢٠٠١م ، ص ٢٣٥

(٦) علي بن سعيد بن موسي (ابن سعيد) : كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، بيروت ، ١٩٧٠م، ج ١ ص ١١٤

• الوضع السياسي والاجتماعي على مدن سبتة وطنجة :

فمدينة سبتة وطنجة تقعان في شمال المغرب الأقصى وهي مدن حدودية بحرية هما ميناءين على البحر المتوسط ، يربط المغرب الأقصى بالأندلس وأوروبا والمشرق الإسلامي . فميناء سبتة من أشهر الموانئ المغربية ومن المرافئ التي تخرج منها وترد إليها معظم التجارة الخارجية ، فكان يقصده تجار المدن الإيطالية خاصة تجار مدينة جنوة ، حيث كان يوجد لهم في سبتة سبع فنادق ، كما يعد هذا الميناء طريقاً هاماً للقوافل المتجهة إلى غانة والسودان^(١) .

ونظراً لكل هذه المميزات ، فإن تجار سبتة كانوا من أغنى تجار المغرب — ويظهر ذلك في وصف ابن سعيد للمدينة فيقول : " بين بحرين وهي ركاب البرين ، شبه الإسكندرية في كثرة الحط والإقلاع ، وفيها التجار الأغنياء الذين يتعاضون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها صفقة واحدة لا يحوجون صاحبها للتقاضي^(٢) " .

فقد تميز المغرب الأقصى بساحلين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، وقد ساعدت هذه الموانئ على الاتصال بالعالم الخارجي وفي زيادة النشاط التجاري ، فكان التجار يحملون الذهب والصبغ من السودان إلى أسواق الأندلس ، ومنها إلى أوروبا وحوض البحر المتوسط^(٣) .

وكانت السفن التجارية على اختلاف أحجامها تتردد بين موانئ المغرب الأقصى وبين المرية^(٤) . ووضعت بعض الأسس لتأمين طرق التجارة حتى لا يقع اعتداء على التجار أو أموالهم^(٥) .

(١) أمين توفيق الطيبي : مرجع سابق ، ص ٢٩٢

(٢) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٣٩ ، أحمد بن يحيى بن فضل الله (العمرى): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٢م ، ص ١٣٧

(٣) البكري : المغرب ص ١٥٨

(٤) المرية : مدينة أندلسية محدثة البناء أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م ، وقدر لهذه المدينة الأندلسية أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ الأندلس ، فقد كانت المركز الأول للتجارة البحرية مع أقطار البحر المتوسط . فيقول عنها ابن عذاري : " قد أمن التجار بأموالهم وقصد إليها الناس من أقطارهم . (ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب ج ١ ص ١٢٤ ، الحميري : الروض المطار ص ٥٣٨)

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ١٧٢-١٧٣

• الوضع السياسي والاجتماعي لمدن سبلماسة وأغمات :

أما مدينة سبلماسة : فهي ميناء صحراوي فهي مقصد للصادر والوارد ، في جنوب المغرب الأقصى في طرف بلاد السودان .. وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب ولأهلها جراحة على دخولها^(١) .

أما مدينة أغمات : فهي مدينة تجارية مع بلاد السودان ، فأهلها أملياء (أغنياء) تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال ... وفي عصر المرابطين لم يكن أحد أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقاديرهم وذلك أن الرجل منهم إذا ملك أربعة آلاف دينار يمسكها مع نفسه وأربعة آلاف يصرفها في تجارته أقام على يمين يابه وعن يساره عرصتين من الأرض إلى السقف . وبنيتهم بالأجر الطوب والطين أكثر ، فإذا مر الخاطر بدار ونظر إلى تلك العرص مع الأبواب قائمة عدها فيعلم من عددها كم مبلغ مال صاحب الدار .. وفي عصر الموحدين تجار أملياء مياسير أغنياء لهم نخوة واعتزاز لا يتحولون عنه...^(٢)

وكانت هناك علاقات تجارية بين المغاربة وأهل السودان فقد سكنت أسر مغربية في مدن السودان مؤقتا ، أو بصفة دائمة . فقد كانت الجالية المغربية تشمل إلى جانب التجار ، فقهاء وقضاة ومدرسين ومقرئين وطلبة وخطباء ، وحتى رجال الأدب والشعراء والمهندسين^(٣) . كانا يمثلان شركتهما العائلية بولاته^(٤) .

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٢٥ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٩٢/٣

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٣٢-٢٣٣

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٤٠٦ ، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي : تاريخ السودان ، نشر هوداس ، باريس ، ١٩٦٤م ، ص ٢٠-٢١ ، محمد الشريف : الجالية المغربية ببلاد السودان الغربي (ق ٨هـ / ١٤م) مجلة التاريخ العربي ، عدد ١٤ ، ربيع سنة ٢٠٠٠م ص ٢٠٤

(٤) هم أولاد يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن القرشي المقرئ ، وكانوا خمسة رجال ، فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال ، فكان أبو بكر ومحمد بتلمسان ، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسبلماسة ، عبد الواحد وعلى وهما الشقيقان الصغيران بإيوالاتن فاتخذوا بهذه الأقطار المزارع والديار ، وتزوجوا النساء ، واستولدوا الإماء ، وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد

وكانت هناك علاقات وصدقات بين السكان المحليين و التجار المغاربة، حيث تزوج البعض منهم ، بينما اتخذ البعض الآخر - الذي كان كثير الانتقال بين المغرب وبلاد السودان - الجواري -. ولقد تعلم المغاربة اللسان السوداني : يذكر الحسر الوزان أنه مع انتشار الإسلام بالسودان ،" بدأ تجار بلاد البربر حينئذ يذهبون إلى هذه البلاد ليتاجروا فيها حتى تعلموا لغاتهم "(١) . وكان مما شجع على إقبال التجار المغاربة على هذه التجارة وجود أعداد كبيرة منهم في المغرب الأقصى (٢) . كما صارت البلاد ممراً آمناً لتجار الصحراء (٣) .

وكانت التجارة بين المغرب والسودان قائمة على نطاق واسع ، فيذكر ابن حوقل : " ولقد رأيت بأودغست (٤) صكاً في ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أودغست ، وهو من سجل ماسة باثنين وأربعين ألف دينار ، وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبيهاً ولقد حكيتها بالعراق وفاس وخراسان فاستطرفت "(٥) .

وكانت المراكز التجارية تتأثر بعلاقة الدولة الموحدية مع جيرانها وبقوة الدولة الموحدية وضعفها في الحركة التجارية فقد تأثرت بظروف الدولة السياسية ، وما تتعرض له من أحوال سياسية تؤثر تأثيراً مباشراً على هذه المراكز التجارية .

والعاج والجوز والتبر ، والسجل ماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان ، حتى اتسعت أحوالهم وزادت أموالهم . (المقري : نفح الطيب ج ٥ ص ٢٠٥)

(١) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ٢ ص ١٦٢

(٢) العمري : مسالك الأبحار ص ١٣٤-١٣٥

(٣) مؤلف مجهول : الاستبصار ص ١٨١

(٤) أودغست : تقع منحرفة محاذة عن السوس الأقصى كأنها مع سجل ماسة مثلث طويل الساقين أقصر أضلاعه من السوس إلى أودغست . وتفصل عن سجل ماسة مسيرة شهرين . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٧٧/١)

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٦ ، الأمين عوض الله : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي ص ١٦٩

وسائل النقل وأهم الطرق الداخلية

(برية - نهريّة - بحرية)

كان لاستقرار الأحوال السياسية والاقتصادية في الدولة الموحدية عاملاً مشجعاً للتجارة ولتنقل التجار ، فقد قام خلفاء دولة الموحدين بإجراءات لتأمين المسالك والطرق ، وبإقامة مراكز للحراسة وتموين المسافرين والتجار ، وانتشر الأمن في جميع الأعمال ، حتى أن الطعينة تخرج من برقة إلى آخر المغرب ولا يتعرض لها أحد^(١) .

• النقل البري :

توفرت وسائل النقل التي تناسب حجم المبادلات التجارية ، سواء داخل المدن أو لنقل البضائع لعموم بلاد المغرب والبلاد المحيطة . وقد استعمل المغاربة الدواب لنقل البضائع ، وهو ما نجد صداه في أدب النوازل والحسبة^(٢) . فيما ورد بها من استغلال البهائم في نقل السلع كمن يبيع جزءاً من دابته لما يحفظها ويشاركه فيها^(٣) . أو من يدفع دابته إلى أجير بنصف ما يكتسبه بها من الأجرة والربح . والشراكة في البهائم وكراء الدواب واستعمالها في غير الوجوه المتفق عليه^(٤) . ويتضح من هذه النوازل أن الدواب كانت من أدوات النقل الأساسية في نقل التجارة .

وقد تأثرت وسائل النقل المستخدمة بتخطيط المدن حتى تناسب الطرق والممرات عند استعمالها . فكانت شوارع مراكز واسعة^(٥) . ويحدثنا روجية لوطورنو عن فاس بقوله : " كان التنقل داخل مدينة فاس ذات الشوارع المنتظمة ، إلا أنها لم تكن

(١) ابن أبي دينار : المؤنس ص ١٤١ ،

(٢) محمد فتحة : النوازل الفقيية والمجتمع ، أبحاث في تاريخ المغرب الإسلامي من القرن ٦ - ١٢/١٥م ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ١٩٩٩م ص ٣٠٩

(٣) أحمد بن يحيى الونشريسي : المعيار العربي والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والاندلس والمغرب ، إشراف محمد حجي وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٨١م ، ج ٥ ص ٢٠٣

(٤) الونشريسي : المعيار العربي ، ج ٥ ص ٩٣-٢٤٤-٢٧٢ ، ج ٨ ص ١٨١-١٨٢-١٩٥-٢٧٩-٢٨٣

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٣٤

الزقاق : الطريق الضيق دون السكة ، أما الشارع : فهو الطريق الأعظم الذي يشرع فيه الناس عامة أي يفتح فيه الناس أبوابهم وشرع الباب الي الطريق اي أنفذه اليه وشرع الباب والدار شروعا أفضي الي الطريق (ابن منظور : لسان العرب)

تشبه الشوارع العريضة المستقيمة التي عرفتھا المدن الرومانية .. وكان الرجال يحملون المتاجر أو تنقل على دواب من الحمير أو البغال أو الخيول. ومن ثم فلم تكن هناك ثمة حاجة إلى شرايين المرور الواسعة فكان يكفي أن يتسع الشارع لمرور دابتين محملتين^(١).

• الطرق البرية في المغرب الأقصى :

ارتبطت مدن المغرب الأقصى بشبكة طرق برية كانت مراكز مركزاً لهذه الطرق حيث أنها قاعدت دولة الموحدین ، وربطت هذه الطرق مدن المغرب الأقصى بالعاصمة . ولهذا مهد الموحدون الطرق^(٢) وذلك لخدمة التجار والجيش منذ بداية قيام دولة الموحدین^(٣).

— الطرق من مدينة مراكش إلى مدن المغرب الأقصى الشمالية :

(١) طريق رئيسي من مدينة مراكش إلى مدينة فاس يقدر بمسيرة عشرة أيام (٤٤٥.٢ كم)^(٤). ثم يستمر حتى مدينة سبتة على البحر المتوسط ويقدر طوله بمسيرة ستة أيام (٢٦٧.١٢ كم)^(٥).

وقد استخدم الخليفة الموحدى يوسف بن عبد المؤمن أبو يعقوب (٥٥٨-٥٨٠ هـ / ١١٦٣-١١٨٤ م) هذا الطريق ، حيث خرج من مراكش من باب دكالة إلى

(١) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نيقولا زيادة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٦٧ م ، ص ٤٦ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٣٨٩ وما يليها .

(٣) البيهقي : أخبار المهدي ص ١١٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٥٩ ، مقلد الغنيمي : موسوعة تاريخ المغرب العربي ، دراسة في التاريخ الاسلامي ، مكتبة المدبولي ، ج ٣ ص ٢٦٧ ، عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشروق ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٢٧٢

(٤) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٣

(٥) وقد قدرت المسافة بين فاس وسبتة بمسيرة عشرة أيام وثمانية أيام و ست أيام .

(أبو الفداء : المصدر السابق ص ١٢٣ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ج ٢ ص ٥٣١-٥٣٢ ، البكري : المغرب ص ١١٥ ، قدرها بستة أيام .)

مدينة سلا ، ثم لمدينة مكناس ، ثم لمدينة فاس ، ثم لمدينة سبتة ، عندما اتجه للأندلس سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م^(١) .

(٢) طريق من مدينة مراكش لمدينة سلا يقدر بعشرة أيام (٤٥٠.٢ كم)^(٢) .

(٣) طريق من أغمات إلى الشمال الشرقي إلى مدينتي (داي وتادلة) أربعة أيام (تقدر ١٧٨.٠٨ كم) وبين داي وتادلة مرحلة (تقدر ٤٤.٥٢٠ كم)^(٣) .

(٤) طريق من مدينة مراكش إلى (ميناء) مرسى فضالة على ساحل المحيط الأطلس شمال غرب مدينة مراكش تقدر مسافته بثلاث مراحل (تقدر ١٣٣.٥٦ كم) يمر على قرية أم الربيع^(٤) .

(٥) طريق من مدينة مراكش إلى جهة الغرب لمدينة اسفى على ساحل المحيط الأطلسي تقدر مسافته بأربعة أيام (تقدر ١٧٨.٠٨ كم)^(٥) .

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٢١٣ . ويذكر الإدريسي عن هذا الطريق يبدأ الخروج من مراكش إلى قرية نونين تقدر بمرحلتين ثم لقرية تيقطين بمرحلة ، ثم لقرية غفسيق بمرحلة ، ثم لقرية أم الربيع بمرحلة ، ثم لقرية ايغيسل بمرحلة ، ثم لقرية أنفال بمرحلة ، ومنها لقرية مقول مرحلة ، ثم لقرية اكسيس مرحلة صغيرة ، ثم لمدينة سلا مرحلة " (الإدريسي : مصدر سابق ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٩) والمرحلة : تقدر بـ ٤٤.٥٢٠ كم تقطع في يوم عند الحنفية والمالكية ، (علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٩

(٣) داي : شمال شرق مدينة أغمات أسفل جبل خارج من جبل درن ، ومدينة داي مدينة صغيرة لكنها عامرة والقوافل عليها صادرة وواردة .

تادلة : إقليم شاسع يبتدى من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع كما ينتهي جنوباً بين جبال الأطلس شمالاً في المكان الذي يلتقي فيه واد العبيد ونهر أم الربيع وتمثل هذه الناحية تقريباً شكل مثلث "... وهى مدينة قديمة أزلية فيها آثار للأول ، بني الملتمون (المرابطين) وفيها حصناً منيعاً هو الآن معمور وفيه الأسواق والجامع ، والبلد كله كثير الخيرات الأرزاق أحاطت به القبائل من جميع الجهات، وهى بلد أحمد بن عبد السلام الجراوى الشاعر ، يقال انه مدح عبد المؤمن بن علي وولده يوسف وولده يعقوب وولده محمداً الناصر ومات عام العقاب ، وهو عام تسعة وستمائة .

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٤١ ، الحميري: الروض المعطار ص ١٢٧ ، الإدريسي: نفس المصدر ج ١ ص ٢٣٧ ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ١٧٦

(٥) أبو الفداء : نفس المصدر السابق ص ١٣٠

٦) طريق يربط مدينة سبتة بمدينة طنجة يقدر بمرحلتين (تقدر ٨٩.٠٠٤ كم) ، حيث يبدأ من سبتة إلى مدينة قصر عبد الكريم بمرحلة (٤٤.٥٢٠ كم) ، ومن قصر عبد الكريم إلى مدينة طنجة مرحلة^(١) (٤٤.٥٢٠ كم) .

٧) طريق من مكناس إلى قصر عبد الكريم الواقعة في شمال نهر اولكس ، وبين قصر عبد الكريم والبحر المتوسط ثلاثة أميال (٥.٥٦٥ كم) ، تقدر مسافة هذا الطريق بثلاثة مراحل^(٢) (١٣٣.٥٦ كم) .

٨) طريق من مكناس إلى مدينة سلا على المحيط الأطلسي يقدر بأربعة مراحل (١٧٨.٠٨ كم)^(٣) .

٩) طريق من مدينة فاس إلى مدينة مكناس يقدر بأربعين ميلاً (٧٤.٢ كم)^(٤) .

١٠) طريق من مدينة فاس إلى الشرق لمدينة تلمسان في المغرب الأوسط يقدر بعشرة أيام^(٥) (٤٤٥.٢ كم) .

١١) طريق من مدينة فاس إلى مدينة سجلماسة في جنوب المغرب الأقصى مباشرة وتقدر مسافة هذا الطريق بين عشرة مراحل (٤٤٥.٢ كم) (البكري)^(٦) ، وثلاثة عشر مرحلة (٥٧٨.٧٦ كم) (الإدريسي)^(٧) .

- طرق من مدينة مراكش إلى مدن المغرب الأقصى الجنوبية :

١) طريق من مدينة مراكش إلى مدينة أغمات يقدر بساكني عشر ميلاً (٢٢.٢٦ كم)^(٨) . ثم يتجه إلى مدينة سجلماسة بمسافة تقدر بثمان

(١) البكري : المغرب ص ١٥٤

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٤٦

(٣) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٤٢

(٤) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٤٤ ، محمد صبحي حلاق : الايضاحات العصرية للمقاييس والمكايل والاوزان الشرعية

(٥) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٤٦ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٣

وتقدر مسافة أربعة أيام بـ ١٧٨.٠٨ كم (علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٦) البكري : المغرب ص ١٤٧

وقد قدر البكري المرحلة في هذا الطريق بستين ميلاً . (البكري : نفس المصدر ص ١٤٦) .

(٧) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٤٣ .

(٨) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٣٣ . ويقدر الإدريسي المسافة بين أغمات وريكة وأغمات

إعلان بستة أميال (٨.٦٨٨ كم) قدرها الفقهاء ١١.١٣ كم. (الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٣٥ .

علي جمعة : المكايل والموازين الشرعية)

مراحل^(١) (٣٥٨.٨ كم) . ثم إلى مدينة درعة في جنوب المغرب الأقصى بمسافة تقدر بثلاث مراحل (٣٣.٥٦ كم)^(٢).

ثم إلى منطقة السوس الأقصى في الجنوب الغربي للمغرب الأقصى على ساحل المحيط الأطلسي بمسافة تقدر بأربعة أيام (١٧٨.٠٨)^(٣). ويعتبر هذا الطريق من الطرق الهامة في مدن المغرب الأقصى الجنوبية ويقدر طول هذا الطريق من مدينة مراكش إلى نهايته في المغرب الأقصى بإحدى عشر مرحلة وأربعة أيام (٦٦٧.٨ كم).

٢) طريق من مدينة مراكش إلى مدينة نفيس^(٤) في اتجاه الغرب ، يبدأ من مدينة مراكش إلى مدينة أغمات ثم إلى مدينة نفيس ومسافة هذا الطريق تقدر بنحو مرحلة (٤٤.٥٢ كم)^(٥).

٣) طريق من مدينة نفيس يتجه للجنوب إلى منطقة بلاد السوس الأقصى بمسافة تقدر بخمسة مراحل (٢٢٢.٦ كم)^(٦).

٤) طريق من مدينة سجلماسة إلى مدينة نول لمطة^(٧) في أقصى الجنوب الغربي للمغرب الأقصى بمسافة تقدر بثلاثة عشر مرحلة (٥٧٨.٧٦ كم) ويستمر الطريق لبلاد السودان عبر الصحراء^(٨).

(١) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٢٦ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٩
ويقدر ياقوت الحموي : المسافة بين سجلماسة ودرعة بأربعة فراسخ (الفرسخ= ثلاث أميال = ١٧٨.٣٧٦ كم) قدرت بـ ٢٢.٢٦ كم. (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٥١/٢ ، علي جمعة : المرجع سابق ص ٧٠)

(٢) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٢٦

(٣) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٢٩ .

(٤) مدينة نفيس : مدينة صغيرة في اتجاه الغرب لأغمات ثم بلاد السوس الأقصى في الجنوب .

(الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٩ .)

(٥) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٣٣ ، مجهول : الاستبصار ص ٢٣٣ .

(٦) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٢٩

(٧) نول لمطة : بينها وبين ساحل المحيط الأطلسي ثلاثة أيام (٣٣.٥٦ كم) وهي في أقصى جنوب

المغرب الأقصى بمنطقة السوس الأقصى (الإدريسي : نفس المصدر السابق ج ١ ص ٢٢١ -

٢٢٤ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٨) الإدريسي : نفس المصدر السابق والصفحات .

٥) طريق من مدينة سجماسة إلى مدينة أزكى^(١) بمسافة تقدر بثلاثة عشر مرحلة (٥٧٨.٧٦ كم)^(٢).

٦) طريق من مدينة سجماسة إلى بلاد السودان مباشرة ، حيث من سجماسة إلى مدينة اودغست^(٣) من براري السودان ، بمسافة تقدر بأربعين مرحلة (١٧٨٠.٨ كم) وقد وصفه البكري بأنه طريق طويل يتعرض من يسير فيه للعطش والرياح وحرارة الشمس^(٤) .

تلك هي الطرق البرية إلى ربطت مدن المغرب الأقصى وسلكتها قوافل التجارة والتي كان لها دور في الحركة التجارية بين مدن المغرب الأقصى^(٥).

• الطرق النهرية بين مدن المغرب الأقصى :

استخدمت بعض الأنهار في المغرب الأقصى للنقل بين المدن وبعضها البعض أو بين المدن والبحر المتوسط أو المحيط الأطلسي ، واستخدمت في نقل التجارة .

وقد أهتم الموحدون بأنهار المغرب الأقصى وذلك بإقامة القناطر والجسور الدائمة أحياناً أو المتحركة (عن طريق المراكب لتسهيل العبور عليها) لاختصار الطرق بين المدن الواقعة على الأنهار . فقد أقام الخليفة عبد المؤمن بن علي (٥٤١ - ٥٥٨ هـ / ١١٤٥ - ١١٦٣ م) جسراً بين مدينة سلا والمهدية^(٦) على نهر أبو الرقراق^(٧)، ولكن هذا الجسر تهدم ثم قام بينائه الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ -

(١) أزكى : آخر مدن المغرب الأقصى في الجنوب بعدها الصحراء الكبرى الفاصلة بين المغرب الأقصى وبلاد السودان ، وتقدر المسافة بين نول لمطة وأزكى بسبع مراحل (٣١١.٦٤ كم) .

(الإدريسي : نفس المصدر ج ١ ص ٢٢٥ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٢) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٢٥ .

(٣) سبق أن عرفت مدينة اودغست في البحث ص ٤٥ من نفس الفصل .

(٤) البكري : المغرب ص ١٥٦ - ١٥٩ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠ .

(٥) الإدريسي : مصدر سابق ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٦) المهدية: اختطها عبد المؤمن بن علي أمام مدينة سلا على الشط الجنوبي للنهر وساحل المحيط.

(عماد الدين إسماعيل : تقويم البلدان ص ١٣١)

(٧) نهر أبو الرقراق : يتجه للغرب ، ويصب في المحيط الأطلسي بين مدينة سلا والمهدية .

(الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٢٠٧ - ٢٠٩) .

٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٩م) لم تؤثر فيه أمواج البحر المحيط^(١) .

— أنهار مدن المغرب الأقصى الشمالية :

١- نهر الخليج يقع شرقي مدينة طنجة ويصب في البحر المتوسط وهو نهر تدخله المراكب التجارية^(٢) .

٢- وفي شرق مدينة سبتة عند مدينة تطوان^(٣) وادي مكسة يصب في البحر المتوسط ، تدخله المراكب اللطاف ، وتقدر المسافة من البحر إلى النهر بعشرة أميال (٨.٥٥ كم) عند مدينة تطوان^(٤) .

٣- وشرقي مدينة مليلة على ساحل البحر المتوسط ، وادي ملوية الذي يعتبر الحد الشرقي للمغرب الأقصى^(٥) .

٤- وفي جنوب مدينة قصر عبد الكريم ، نهر لوكس يستخدم في نقل البضائع، ويصب في البحر وتقدر مسافته بثلاثة أميال (٥.٥٦٥ كم)^(٦) .

٥- وفي شمال غرب مدينة البصرة^(٧) نهر سفد يصب في المحيط الأطلسي ويستخدم في النقل حيث تدخله المراكب الأندلسية التي تحمل الغلات إلى الأندلس^(٨)

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٤٩ وما يليها ، مجهول : الاستبصار ص ١٤١
وقد بني الخليفة أبو يوسف المنصور جسراً على وادي أم الربيع جعل له قنطرة من القوارب المصنعة من الأخشاب- مثبتة بالآلات في الماء " . (ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر ص ٤٤٣)
(٢) البكري : المغرب ص ١٠٨ ، الحميري : الروض المعطار ص ٣٩٦ ، مجهول : الاستبصار ص ١٧٩)

(٣) تطوان : مدينة صغيرة بناها الأفارقة قديماً على مسافة ثمانية عشر ميلاً تقريباً (٣٣.٣٩ كم) من البحر المتوسط . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ٣٢٠).

(٤) البكري : نفس المصدر السابق ص ١٠٧

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤٧ ، الحسن الوزان : نفس المصدر السابق ص ٣١٣

(٦) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٤٦ . علي جمعة: مرجع سابق ص ٧٠

(٧) البصرة : مدينة صغيرة، وقد بنيت في سهل على يد محمد ابن إدريس الثاني سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣ م على مسافة ثمانين ميلاً (١٤٨.٤ كم) من فاس وجنوب القصر بعشرين ميلاً (٣٧.١٠٠ كم) وقد سميت البصرة تخليداً للبصرة في العراق .

(الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ٢ ص ٣١٠ . علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٨) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ٢ ص ٥٣٠ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨١

٦- وفي مدينة فاس نهر سبو وهو نهر كبير يحاذي المدينة من شرقها ويصب في المحيط^(١). وقد أقام عبد المؤمن بن علي الموحدى دار لصناعة المراكب على النهر^(٢).

٧- ومن مدينة أصيلة^(٣) يخرج نهر كبير يصب في المحيط الأطلسي ، تدخله المراكب من المحيط إلى المدينة بالرياح الغربية ، وتخرج من المدينة للمحيط بالرياح الشرقية^(٤).

٨- وعند مدينة سلا والمهدية يصب نهر أبو الرقراق في المحيط الأطلسي^(٥).

- أنهار مدن المغرب الجنوبية :

١- عند مدينة أزمو يصب وادي أم الربيع في المحيط الأطلسي^(٦).

٢- وشمال مدينة مراكش يجرى نهر تانسيفت على مسافة ثلاثة أميال (٥٠.٥٦٥ كم) وهو نهر صغير دائم الجريان^(٧).

• الطرق البحرية في المغرب الأقصى :

وكان ابن ميمون قائد الأسطول الموحدى يبعث بالأسارى والعلوج إلى الخليفة أبي يعقوب الموحدى^(٨).

ومن المميزات التي تمتع بها المغرب الأقصى انه يطل على ساحلين هما :

ساحل البحر المتوسط ، وساحل المحيط الأطلسي . ولذلك كان لموقع المغرب الأقصى أثره في نشأة العديد من الموانئ التي ساهمت بدورها في تسهيل الاتصال بالعالم الخارجى ، وفى زيادة النشاط التجارى .

(١) الإدريسي : نفس المصدر ج ١ ص ٢٤٧ ، الحسن الوزان : نفس المصدر ص ١١٣

(٢) الحسن الوزان : نفس المصدر ص ٢١٠

(٣) أصيلة: مدينة تقع غرب مدينة طنجة، على ساحل المحيط الأطلسي (البكري: المغرب ص ١١٣)

(٤) البكري : نفس المصدر ص ١١٣

(٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٤٩ وما يليها ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص

٢٠٧- ٢٠٩

(٦) الحسن الوزان : نفس المصدر ص ١٦٦ .

(٧) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٥ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠

(٨) ابن خلدون : العبر ، الجزء السادس ، صفحة ٢٤٣ .

فكان التجار يحملون الذهب والصمغ من السودان إلى أسواق الأندلس ومنها إلى أوربا وحوض البحر المتوسط^(١) . فكانت السفن تنقل سلع المغرب إلى الأندلس والعكس ، على مدار العام في الصيف والشتاء^(٢) .

فبرزت موانئ على البحر المتوسط مثل باديس^(٣) ومليلة وسبّة وطنجة وكان لها دور في الحركة التجارية و لعبت دوراً في الصادر والوارد من السلع على المغرب الأقصى^(٤) .

ونشطت موانئ على المحيط الأطلسي مثل سلا^(٥) واسفي^(٦) ورباط قوز^(٧) وازمور^(٨) وأغادير^(٩) وماسة^(١٠) ونول لمطة^(١١) .

(١) البكري : المغرب ص ١٥٨

(٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ص ٢٦٤ - ٢٦٥

(٣) باديس : مدينة على ساحل البحر المتوسط من منطقة أريف شمال المغرب الأقصى .

(الحسن الوزان : نفس المصدر ص ٣٢٧)

(٤) الحميري : الروض المعطار ص ٧٥ ، ٥٤٥ ، ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ١٣٩ - ١٤٠ ،

العمرى : مسالك الأبصار ص ١٣٧

(٥) سلا : ميناء على المحيط الأطلسي . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ٣٠٨ ، مارمول

كرفجال : أفريقيا ج ١ ص ٤٨٩ ج ٢ ص ١٣٥)

(٦) اسفي : مدينة على ساحل المحيط الأطلسي قديمة من منطقة دكالة . (الحسن الوزان : مصدر

سابق ص ١٥٧)

(٧) رباط قوز : ميناء على المحيط الأطلسي ، ويعتبر ساحل لأغامت تنزل السفن إليه من جميع

البلاد . (البكري : المغرب ص ١٥٣)

(٨) أزموور : على ساحل المحيط الأطلسي في منطقة دكالة عند مصب نهر أم الربيع . (الحسن

الوزان : مصدر سابق ص ١٦٦)

(٩) أغادير : قلعة واقعة عند النهاية القصوى لجبال أطلس التي تتقدم على المحيط قرب المكان الذي

يصب فيه نهر السوس في المحيط الأطلسي (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ١٣٠)

(١٠) ماسة : مدينة أسسها الأفارقة على شاطئ المحيط ، وتتكون من ثلاثة مدن صغيرة تبعد كل

منها عن الأخرى بنحو ميل . وتقع هذه المدن الصغيرة وسط غابة من النخيل هي من الموارد

الرئيسية للمدينة ويمر بالمدينة نهر السوس الكبير ، ولذلك فاغلب أهل المدينة من الفلاحين .

(الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ١١٥)

(١١) نول لمطة : تقع في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط (المحيط

الأطلسي) بينها وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل (١٣٣.٥٦ كم) ، منها إلى البحر المحيط

ثلاثة أيام (١٣٣.٥٦ كم) وبينها وبين سبلماسة ثلاث عشرة مرحلة (٥٧٨.٧٦ كم) ، وبينها وبين

درعة نحو ثلاثة مراحل (١٣٣.٥٦ كم) ، وهي آخر بلاد السوس . (الحميري : الروض المعطار

ص ٥٨٤ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

وكانت هناك بعض النظم المتبعة في الموانئ التجارية لتوفير أقصى قدر من الحماية والأمان للتجار القادمين للموانئ المغربية ، ولتسهيل عمليات التبادل التجاري. ولذلك كان يجب أن تتوافر بعض الإجراءات الإدارية منها وجود رئيس إدارة النحر ، وكانت له سلطات هامة يساعده في ذلك أعوان مختصون فكان هو المسئول عن جمع الضرائب والمكوس بالموانئ ، ومعه أجهزة الشرطة والقضاة لحفظ النظام ، ومواجهة الإشكالات التي تنشأ مع التجار ، والحمالين لشحن السلع أو إنزالها من السفن . وعلى الرغم من أن الفنادق هي المخازن الرئيسية للسلع الواردة إلا أن جزءاً منها كان يخزن في المخازن الموجودة بالموانئ^(١) .

وكانت عمليات البيع والشراء تتم في الغالب داخل الموانئ وإن كانت في بعض الأوقات تتم في الفنادق ، ويكون البيع عن طريق المزاد العلني ، وكانت إدارة الميناء تقوم بتوفير المترجمين في حالة وجود تجار أجانب لمساعدة البائع والمشتري . وكان المسئول عن الميناء يتولى الإشراف على سداد رسوم البيع ، كما يوجد كاتب خاص بتوثيق عمليات البيع والشراء ، ويوثق الأموال المفروضة على الواردات والصادرات^(٢) .

وفي حالة وجود أي خلاف بعد إتمام العقد ، كان بإمكان التاجر الأجنبي أن يلجأ إلى قاضي المدينة لاسترداد حقه ، وإذا كانت هناك مشكلة بين التجار الأجانب فقد كان قناصلهم مكلفين بالنظر فيها^(٣) .

ولذلك كان يجب أن يتم البيع والشراء للتجارة الواردة في الموانئ ، ولكن فسي حالة تعذر ذلك فإن عملية البيع والشراء تتم أمام شاهدين ، وكان الشهود يحصلون على نسخ من شهادتهم^(٤). وقد ذكر (ماس لاتري) أن المسئول عن الميناء هو من

(١) عيسى بن الذيب : مرجع سابق ، ص ١٣٢

(٢) De Mas Latria ,(L.): Relations et commerce de L'Afrique septentrionale avec les nations chretiennes au moyen age librairie de firmin di dot Paris 1886.p.185-186.

(٣) مارمول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ١٤٣ ، عاشور بوشامة : علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٩١م ، ص (٣٤١)

(٤) طاهر احمد مكي : معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر الهجري بين سلطان مصر وملك أرغون . مجلة المجلة ، عدد ٤٩ يونيو ويوليو سنة ١٩٦٠ ، ص ٩٤

يحدد ساعة إغلاق الميناء والساعات التي يمكن للتجار الصعود أو النزول من مراكبهم إلى أرصفة الميناء^(١) .

وكانت مكاتب جباية "المكوس" موجودة في جميع الموانئ التي يسمح للتجار النصارى بالنزول إليها، فكان على التجار دفع المكوس على السلع التي يتاجرون بها. فكان إيراد ميناء سبتة من المكوس في اليوم يتراوح بين خمسمائة إلى سبعمائة دينار وفي بعض الأحيان كان يصل إلى ألفي دينار في اليوم^(٢). وكان من أبرز الضرائب المفروضة على التجار في الموانئ ضريبة "الإعشار" التي كانت القاعدة المتبعة فيها تقضى بأن يدفع التاجر المسلم ربع العشر والذمي نصف العشر ويدفع القادم من بلاد الحرب عشراً كاملاً^(٣) .

وكان من بين أوجه دعم التجارة ، إصدار قرارات تقضى برفع الضرائب المفروضة على بعض السلع لتشجيع التجار على توفير تلك السلع لاسيما في أوقات القحط التي تتعرض لها البلاد^(٤) .

وهكذا كانت الطرق من العوامل الهامة في التجارة ، حيث عن طريقها يتم نقل البضائع والسلع والتجار إلى الأسواق الداخلية أو الأسواق الخارجية.

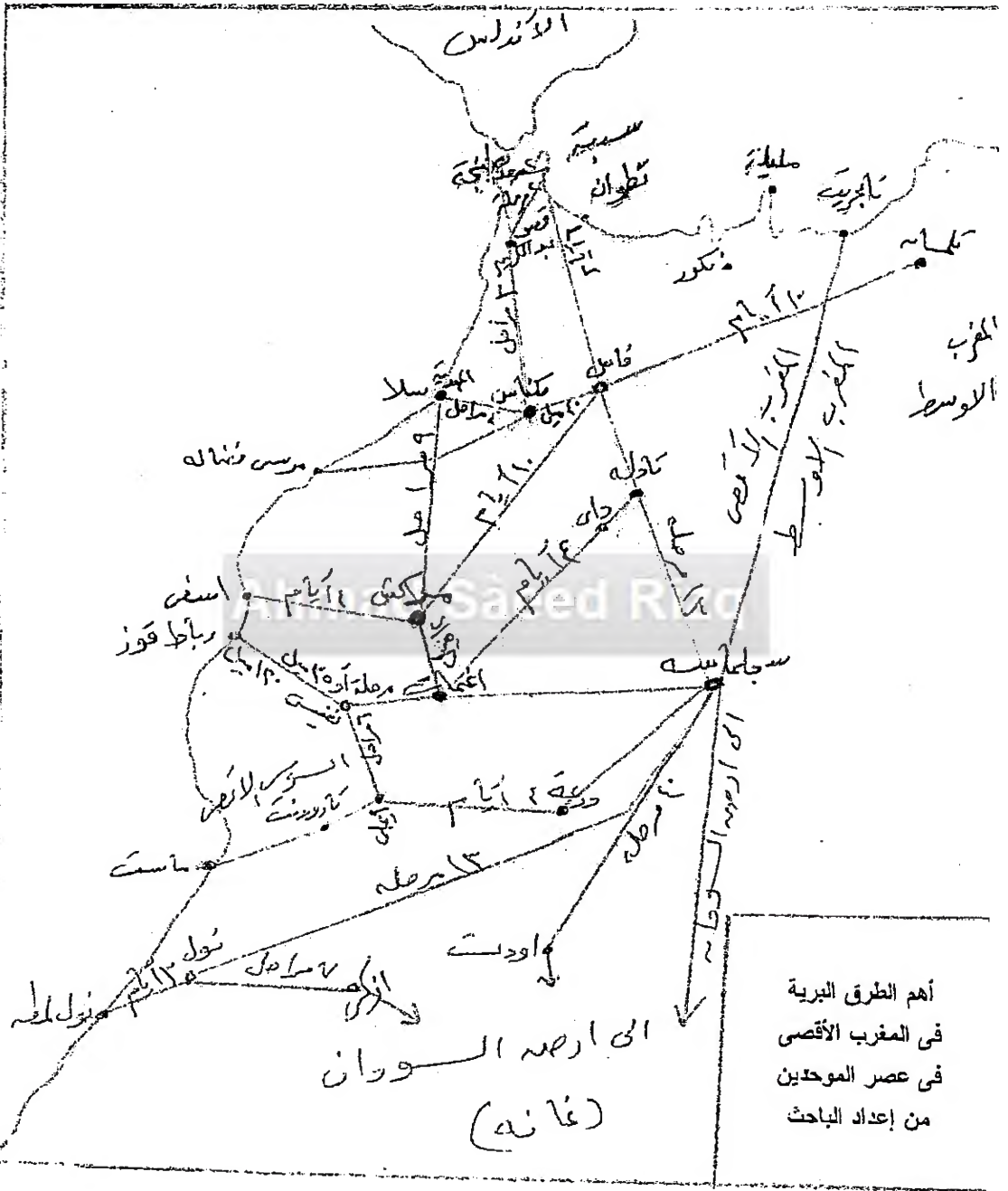
(١) Mas latrie : Relation et commerce.p.195.

(٢) المقري : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج ٣ ، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٤٠م ، ص ٤٢ - ٤٤

(٣) يعقوب بن ابراهيم (أبو يوسف) : كتاب الخراج ، تحقيق محمود الباجي ، دار سلامة للطباعة والنشر ، تونس ، ١٩٤٨م ، ص ١٣٥ - ١٤٠

(٤) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٣٧٥ ،

الطرق البرية في المغرب الأقصى



الفصل الثاني

- الأسواق في مدو المغرب الأقصى
- تعريف الأسواق
- موقع الأسواق ونظمها في مدو المغرب الأقصى
- الحاملون في الأسواق

الأسواق في مدني المغرب الأقصى

• تعريف السوق :

السوق بضم السين وهو موضع البياعات التي يتعامل فيها .

وهي تذكر وتؤنث والجمع أسواق . وأصل اشتقاق السوق من سوق . الناس بضائعهم إليها^(١) .

وقال سبحانه وتعالى " وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا^(٢) " .

وتطلق كلمة السوق على كل مكان يتم فيه البيع والشراء بين الناس^(٣) . في الأماكن التي تتجمع فيها الحوانيت والمتاجر ويكثر فيها الباعة والتجار وأصحاب الحرف^(٤) . وتمثل الأسواق مراكز النشاط التجاري والصناعي^(٥) وترجع نشأتها إلى القدم (منذ أن استقر الإنسان في مجتمعات) . وتمثل أهمية دراسة الأسواق ، إلى أنها هي المدخل الحقيقي لمعرفة الأوضاع السياسية والاجتماعية والعمرانية في المجتمعات بصفة عامة .

Ahmad Saeed Rizq

ففي العصر الأول من دولة الموحدين انعكست حالة الأمن والاستقرار على النشاط التجاري فقد حرص حكام دولة الموحدين على توفير الأمن وكان ذلك هدفاً رئيسياً لهم منذ استلامهم زمام الأمور في المغرب الأقصى .

(١) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ابن منظور) : لسان العرب ، طبعة مصورة عن مطبعة بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبناء والنشر ، المجلد ١٢ ص ٣٢ وما بعدها مادة السوق ، أحمد بن يوسف الدرويش : أحكام السوق في الإسلام وأثرها في الاقتصاد الإسلامي ، ط ١ عالم الكتب الرياض سنة ١٩٨٩م ص ٢١

(٢) الفرقان ٢٠ .

(٣) يوسف الدرويش : نفس المرجع ص ٢٢ - ٢٥

(٤) كمال عناني إسماعيل : عمران سبتة كما شاهده ووصفه السبتي ، مجلة المؤرخ العربي اتحاد المؤرخين العرب القاهرة - العدد السابع سنة ١٩٩٩م مج ١ ص ٣٧٢

(٥) محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٨ الكويت سنة ١٩٨٨م ، ص ٢٥٢ ، ادم متر : الحضارة الإسلامية ، ترجمة عبد الهادي أبو ريذة مطبعة لجنة التأليف القاهرة سنة ١٩٤١ ج ٢ ص ٣٢٥ .

ولذلك اهتم الموحدون منذ عهد عبد المؤمن بن علي (٥٤١-٥٥٨هـ / ١١٤٥-١١٦٣م) حتى عهد أبو محمد عبد الله الناصر رابع خلفاء الموحدين (٥٩٥-٦١٠هـ / ١١٩٩-١٢١٣م) بتأمين البلاد وحراسة سواحلها وراقبوا الأسواق حتى انتظمت جبايتها وازدهرت الأسواق وشهدت المدن انتعاشاً في التجارة واطمأن الناس على تجارتهم^(١).

وقد اهتم الموحدون بتأمين الطرق التي تربط بين مدن المغرب الأقصى والمغرب في حدود دولتهم ، فقد عمل عبد المؤمن بن علي على حماية التجار وتأمين الطرق متوعداً بقتل من يخالف هذا الأمر^(٢) . وسميت هذه التنظيمات بالرتب . وهي عبارة عن خيام تقام على مسافات متقاربة يسكنها أهل المنطقة التي تقام بها ويمنحون أقطاعاً من الأرض ، وذلك لمساعدة المسافرين على حراسة أمتعتهم ، فإن ضاع شيء منها كانوا هم الضامين لها . كما كانت هناك أيضاً فرقاً يطلق عليها الغرباء ، ومهمتهم حراسة الطرق وخدمتها^(٣).

وقد وصل الأمن مداه في عهد أبي يوسف يعقوب (٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٩م) ثالث خلفاء الموحدين ، حيث ساد الأمن البلاد في ذلك العهد وأن القوافل كانت تخرج من بلاد نول لمطه (في جنوب المغرب الأقصى) حتى تصل برقة (حدود دولة الموحدين مع مصر) وحدها لا ترى من يتصدى لها^(٤).

• موقع الأسواق ونظمها في مدن المغرب الأقصى :

وقد نقل العرب معهم صورة الأسواق العربية التي عرفوها إلى الأمصار الجديدة التي فتحوها . فلم تكن لتلك الأسواق في البداية أسوار تحدها وإنما تركوها دون بناء .

وقد ذكر عن عمر بن الخطاب " أن الأسواق على سنة المساجد من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقوم منه إلى بيته ويفرغ من بيعه . وكانت بهذه الأسواق خيام تقي الناس والبضائع (حرارة الشمس) في الصيف ، (والمطر والبرد) في الشتاء ، ثم

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٣٤٧

(٢) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٦٧ ، عز الدين احمد موسى : النشاط الاقتصادي ص ٢٧٠

(٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ص ٢٨٦-٢٨٧

(٤) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٢١٧

عقدت بعد ذلك بالحجارة وسقفت^(١) . وكانت الأسواق تقام في المدن حول الميادين والمساجد ، ثم أنشئت الدكاكين على جانبي الشوارع المختلفة.

وجعل لكل صنف من أصناف التجارة موضع خاص^(٢) . وجعل لكل سوق مكاناً خاصاً مستقلاً ، وكان لكل صنف من أصناف الصناعات عريفاً (رئيساً لكل صناعة)^(٣) . وكانت أكثر الأسواق ازدهاراً هي الأسواق القريبة من المسجد الجامع حيث يكثر الناس وتكثر حركة البيع والشراء^(٤) .

وقد سميت الأسواق التي حول المساجد^(٥) . مثل (سوق الشماعين) وذلك لوجوب الإضاءة بالشموع في المساجد في الصلاة الليلية ، وكذلك (سوق العطارين) لوجود تعطير وتبخير الجوامع ، (وسوق القباقيب) لوجوب الوضوء ، (وسوق الكتبيين) لسد احتياج المساجد والمدارس^(٦) . ويظهر في أسواق فاس هذا الارتباط

(١) حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية ، (رسالة دكتوراه سنة ١٩٧٥م) ، ص ١٦٦

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٩٣ وما يليها ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٣ ، ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب ج ١ ص ٧٨ ، النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق حسين نصار ، ج ٢٤ ص ٨٥ وما يليها ،
العبد الرحمن بن نصر الشيزري : كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق الباز العرينسي ، دار الثقافة ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ١١ حاشية (١) .

(٣) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٤م ، ج ١ ص ٥٨ ،

موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، ١٩٧١م ، ص ٣٩ ، عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ص ١٤ وما يليها .

(٤) حسن حسنى عبد الوهاب : مرجع سابق ص ٥٨ ، عفيفي محمود إبراهيم عبد الله : الحضارة في بلاد المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر حتى منتصف القرن السادس الهجري ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ١٧١ .

(٥) عثمان الكعاك : الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة سنة ١٩٦٥م ص ٦٦ ،

محمد عيسى الحريري : تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، الكويت ، ١٩٨٧م ، ص ٢٩٣ .

(٦) الجزنائي : جني زهرة الاس ص ٦٦ ،

" القباقيب التي ينتعلها الأعيان عندما تكون الأزقة موحلة ، تصنع هذه القباقيب عادة من خشب التوت الأسود أو الأبيض ، وقد تصنع من خشب الجوز والليمون والعناب . والقباقيب المصنوعة من هذين النوعين الأخيرين من الخشب أكثر جمالاً وأناقة . ولكن التي تصنع من التوت تدوم مدة أطول " (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٢٤٣-٢٤٤)

القوى بين المساجد والأسواق التجارية حتى أن أبواب المساجد سميت بأسماء تحمل دلالات تجارية فمسجد القرويين له أبواب مثل باب الكتبيين حيث يجلس الموثقون للقيام بأعمالهم في كتابة العقود وتحريرها^(١) .

أما الأسواق التي لا يصلح أن تقام داخل المدينة ، لما لبعضها من رائحة كريهة أو أدخنة أو أخطار حريق أو أصوات دوى مزعجة كانت تقام عند أسوار المدينة ، ومن هذه الأسواق (الأسواق الصناعية) مثل سوق الدباغين والصباغين والسراجين والحدادين والنجارين ...^(٢) .

• أنواع الأسواق :

عرفت مدن المغرب الأقصى أنواع مختلفة من الأسواق منها : الأسواق الدورية أو الأسبوعية ، والأسواق المتخصصة (القيسارية) والأسواق الدائمة ، وأسواق الجملة وغيرها من الأسواق .

- الأسواق داخل المدن :

كانت الأسواق الدائمة تختص بمكان معين تبعاً لأنواع البضائع ، وكان تنظيماً يخضع لشروط كثيرة ، وعلى هذا الأساس يجد المرء بعض الأسواق داخل المدينة والبعض الآخر خارجها لاحتياج بعض الأسواق الصناعية (الحرف) إلى المياه لتصريف بقايا العمل فيها^(٣) . وعلاوة على ذلك فإن بعض تلك الأسواق قد تخصص في سلعة محدودة .

■ أسواق مدينة مراكش :

تتوزعت أسواق مدينة مراكش ، فهي من أكبر مدن المغرب الأقصى وعاصمة دولة الموحدين ووصفها الإدريسي : " شوارعها واسعة ورحابها فسيحة وسلعها رائجة " ^(٤) وكان بمدينة مراكش أسواق دائمة متخصصة لأنواع الصناعة المختلفة ، مثل مصانع السكر ومعامل لتنظيف القطن (محالج القطن)^(٥) . وأسواق لبيع الماشية

(١) الجزنائي : نفس المصدر السابق ص ٧٠

(٢) الجزنائي : نفس المصدر ص ٤٤ ، الحسن الوزان : نفس المصدر السابق ص ٢٤٩ ،

عثمان الكعك : الحضارة العربية ص ٦٦ .

(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٤٨ - ٤٩ .

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٤

(٥) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ص ٢١٠

من أبقار وأغنام وإبل وبيع منتجات الألبان^(١) . فضلاً عن أسواق الحبوب وأسواق الخضر والفواكه والمحاصيل الزراعية المختلفة حيث تأتيها المحاصيل الزراعية والفواكه من مدينة نفيس^(٢) وبلاد دكالة^(٣) الواقعة شمال غرب مدينة مراكش^(٤) .

أما الأسواق الصناعية التي تباع فيها الآلات والمواد الصناعية (الأولى) اللازمة للصناعة فإنها تحتاج إلى مكان واسع ، وهي أسواق صناعية تقع بالقرب من أبواب المدينة وذلك لما قد ينتج عنها من ضوضاء أو روائح كريهة تؤذي أهل المدينة^(٥) . فقد كان سوق الدباغين مخصص لتجارة ودباغة الجلود ، وتصنيعها يوجد بجوار احد أبواب مدينة مراكش ويطلق عليه باب الدباغين^(٦) . حيث تأتيها التجارات من كل مكان ، وقد أدى وقوعها على طرق القوافل التجارية الموصلة بين مدن المغرب الأقصى الرئيسية إلى تنوع المعروض في أسواقها من بضائع^(٧) وإلى رخص الأسعار بها^(٨) .

■ أسواق مدينة فاس :

تعتبر مدينة فاس العاصمة الثانية بعد مراكش ، فقد ظلت فاس مدينة تجارية في عصر الموحدين ، فيحدثنا الإدريسي عنها بقوله " ومدينة فاس قطب وممدار لمدن المغرب الأقصى ... وعليها تشد الركائب واليها تقصد القوافل ويجلب إلى حضرته كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة وأهلها مياسير ، ولها من كل شيء حسن اكبر نصيب وأوفر حظ " ^(٩)

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٧٥ - ١٧٦

(٢) مدينة نفيس: مدينة صغيرة تقع غرب مدينة أغمات في الطريق إلى السوس الأقصى وبها جبل نفيس ويطلق على قبائلها نفس الاسم (الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٢٩)

(٣) بلاد دكالة : منطقة تقع غرب نهر تانسيفت وتنتهي شمالاً على المحيط . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ١٠٦ - ١٥٧)

(٤) نفيس جناتها وبلاد دكالة فدائها (مجهول: الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، حققه دسهييل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة ، ط١ ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩م ، ص ١٥-١٦ ، عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٦١)

(٥) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ص ٢١٠

(٦) محمد بن محمد بن عبد الله بن المؤقت : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضارة المراكشية ، طبع حجر ، مراكش ، ١٣٣٥هـ ، ج ١ ص ١٢

(٧) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٤٤٦ وما يليها

(٨) ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب ج ٥ ص ١٢٣ ، ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج ٢ ص ١٢٢ ، الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٣٤ وما يليها.

(٩) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤٦

فيوجد في فاس أسواق قد تخصصت في سلعة واحدة أمثال سوق الشماعين -
العطارين ... كما نسبت بعض الأسواق إلى الأشخاص كسوق (ابن فذة) في فاس^(١).
ولقد أعطى لنا (الحسن الوزان) وصفاً دقيقاً عن حالة الأسواق في فاس وأهم
الوظائف ، وسوف نفرّد لهؤلاء التجار وأسواقهم الحديث كالتّالي :

كانت حوانيت التجار قديماً تعلو على الأرض بما يقارب المتر حتّى يكون البائع
أو الصانع جالساً في مستوى الزبائن إلا أن حوانيت الصّناع كالحدادين والصباغين
والنجارين كانت دائماً موازية ومتساوية مع قارعة الطريق^(٢) .

كتاب العدل : ويشغل هؤلاء حوالي (ثمانين دكاناً)^(٣) . ويقع مكانهم بالقرب
من جدار جامع القرويين والبعض الآخر في الجهة المقابلة لهم ويوجد في كل دكان
كاتب عدل (عدلان للشهادة ، أما الكاتب العدل فهو الموثق) . ويوجد بالقرب منهم (
دكاكين المكتبات) التي تصل لثلاثين دكاناً .

تجار الأحذية^(٤) : وقد برع أهل فاس في الصناعات الجلدية فكان الاسكافيون
يصنعون الأحذية المطرزة ، إلى جانب الخفاف والنعال المزخرفة بالجلد والحرير^(٥) .
وكان يوجد منهم باعة الجملة وآخرون باعة تجزئة (بالمقسط) . أما باعة التجزئة
فكان لهم أكثر من (مائة وخمسين) دكاناً ، يشترون الأحذية والخفاف بالجملة من
الخرازين ثم يعاودون بيعها بالتجزئة .

ويقع بالقرب منهم (الخرازين) الذين يصنعون أحذية الأطفال ويصل عدد
دكاكينهم إلى (خمسين دكاناً) .

تجار الفواكه : وهم يشغلون حوالي (خمسين) دكاناً ، ويقومون ببيع
ثمارهم فيها .

(١) أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن محمد (إسماعيل بن الأحمر) : بيوتات فاس الكبرى ، دار
المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٢م ص ٨

(٢) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، دار السلمي ، ط ١ ، المغرب ، ١٩٥٧ -
١٩٥٨م ، ص ٢٥

(٣) الوزان : وصف إفريقيا ج ١ ص ٢٣٣ ، الجزائى : جني زهرة الاس ص ٦٦ .

(٤) الوزان : نفس المصدر ص ٢٤٣-٢٤٤ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٣

(٥) العمري : وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني ، مقتبس من مسالك الابصار فى
ممالك الامصار ، نشر محمد المنوني ، الرباط ، مجلة البحث العلمي ، جامعة محمد الخامس ،

العدد الاول ، السنة الاولى ، ١٩٦٤م ، ص ١٣٩ ، مارمول : إفريقيا ج ٢ ص ١٥٠ ، ١٥٩

تجار الفواكه : وهم يشغلون حوالي (خمسين) دكاناً ، ويقومون ببيع ثمارهم فيها .

باعة الأزهار : اشتهرت فاس بأنواع من الأزهار لا توجد في غيرها من البلاد، منها الياسمين والرنند وهو نوع من أنواع الزهور . والأزهار العطرية والرياحين وأنواع كثيرة من الورود . وكان هؤلاء الباعة يبيعون الزهور في دكاكين خاصة وتوجد بهذه الدكاكين مختلف الأنواع من الزهور، ويبيعون الحامض والليمون أيضاً ، ويبلغ عدد دكاكينهم حوالي (عشرين) دكاناً^(١) .

تجار الحليب : كان تجار الحليب يشتهرون بمتاجرهم المزدانة بأنية من المايورقي (وعاء من الخشب)^(٢) . وهم يشترون الحليب من البقارين (أصحاب البقر) الذين يعلفون أبقارهم لهذا الغرض ويرسلون اللبن كل صباح في أنية خشبية إلى دكاكينهم ليتم بيعها ، وما يتبقى منها يتم بيعه لتجار السمن ، أو يصنعوا منه لبناً حامضاً أو رائباً . ويقدر الحسن الوزان ما يباع من الحليب في فاس يومياً ما يصل إلى (خمسة وعشرين) بطة (٩٣٨ لتر)^(٣) من اللبن البقري الحامض .

تجار القطن : ويصل عدد دكاكينهم إلى (ثلاثين) دكاناً^(٤) .

تجار الأواني الخزفية : وهم تجار الفخاريات ذات الصنعة المتقنة والألوان الزاهية ، التي كانت إما موحدة في اللون أو ممتزجة الألوان ، ويصل عدد دكاكينهم إلى (مائة) دكاناً^(٥) .

تجار السروج وطقوم الخيل (السراجين) : وهم تجار الشكم واللجم للخيل والأحزمة والسروج المطرزة والركابات ويصل عدد الدكاكين إلى (ثمانين) دكاناً .

ويأتي بالقرب منهم تجار النطق الجلدية (أحزمة لربط وسط الانسان) والخفاف والأزمة والسروج الجلدية المطرزة بالحريز والذهب للخيل^(٦) أيضاً . فقد كان

(١) الوزان : نفس المصدر ص ٢٣٤

(٢) المايورقي : هي أوعية من الخشب المطوق بالحديد ، ضيقة جداً في فمها عريضة في قعرها . (الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٤)

(٣) البطة (Botta) : كيل إيطالي قدره ٩٣٨ لتر تقريباً . (الوزان : نفس المصدر ص ٢٣٤)

(٤) الوزان : نفس المصدر ص ٢٣٤ ، مارمول : إفريقيا ج ٢ ص ١٥١ ، ١٥٣

(٥) الجزائى : جنى زهرة الاس ص ٥١ ، الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ،

عبد القادر زمامة : فاس وصناعاتها التقليدية ، مجلة كلية الآداب بفاس ، العدد الرابع والخامس،

فاس ، ١٩٨٠-١٩٨١م ص ٤٧٢

(٦) الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٩ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٥٣

المسلمون يحرمون تطريز السروج بالذهب والعمل فيه ، بينما كان اليهود يقومون بهذا العمل ولذلك سمح لهم بالقيام بتطريز السروج بالذهب^(١) . وكان لهؤلاء الصانع في فاس مائة وخمسون دكاناً . وبالقرب منهم تجار المصنوعات كالحبال وأزمة الخيل والخيوط والشرائط الرفيعة .

سوق الدخان : يقع بجوار سوق الخضر ، وهو سوق تباع فيه الأطعمة الجاهزة من فطائر مقلية في الزيت (الإسفنج)^(٢) . وكذلك اللحم والأسماك المقلية ، وأنواع من الخبز الخفيف^(٣) . وتباع الاكارع المطبوخة .

ويشغل هذا السوق خمسة عشر دكاناً ، وأغلب رواده من الفلاحين الذين يتناولون هذه الأطعمة في الصباح الباكر قبل ذهابهم إلى عملهم .

دكاكين الجزارين : ويصل عددهم إلى نحو (أربعين) دكاناً ، ويقومون في الدكاكين بتقطيع اللحم ووزنه . ولم يكن من المسموح ذبح الحيوانات في دكاكين الجزارة ، بل كان يتم سلخها في مسلخ يقع بجوار النهر^(٤) . ثم تحمل إلى الدكاكين بواسطة الحمالين ، وقبل أن تنقل كانت تعرض على (المحتسب أو صاحب السوق أو الأمين) الذي يجب أن يفحصها ويحدد سعرها بوضع بطاقة عليها السعر ويلتزم البائع بعرضها حتى يراها الجميع^(٥) . هذا وقد وجدت إلى جانب هذه الحوانيت الموجودة بالسوق حوانيت أخرى للجزارين في بقية الأحياء .

(١) النوشريسي : المعيار المغرب ج٦ ص ٣٤١

(٢) وهى حرفة صناعة وبيع الإسفنج أو السفنج ، كما يسميه المغاربة ، وتقصد هنا بالإسفنج تلك الفطائر المقلية اللذيذة ، والتي لا يربطها بباقي مسميات الإسفنج - من الإسفنج النباتي والحيواني والصناعي - إلا أوجه الشبه من حيث كثرة الثقوب والانتفاخ.

(الجزنائي : جني زهرة الاس ص ٥٥ ، الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٧)

(٣) هذا النوع من الخبز مصنوع من أشرطة ومعجون بالسمن ، وتؤكل كذلك بالزبد والعسل .

(الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٢٣٧)

(٤) محمد بن الكريم المغيلي التلمساني (المغيلي) : مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تقديم

وتحقيق رابح نونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر سنة ١٩٦٨م ص ٤٣ ،

الونشريسي : المعيار ج ٢ ص ٢٦ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٥١ - ١٥٢ ،

مجهول : ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين ، مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد

المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزائن العامة بالرباط (رقم ١٦٣٧ تاريخ) ورقة ٤ .

(٥) ابن عبدون : رسالة في القضاء والحمية ، تحقيق ليفي بروفسال ، مطبعة المعهد الفرنسي

للآثار الشرقية ، القاهرة سنة ١٩٥٥م ص ٤٨ ، الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٧ .

سوق الأقمشة : أي سوق المنسوجات ، وهو سوق لتجارة الأقمشة الصوفية الغليظة المحلية ، وكذلك القطنية ويتألف هذا السوق من (مائة) دكاناً ، وكان تجار الأقمشة يجنون أرباحاً طيبة^(١).

سوق الخضار : وهو سوق يباع فيه (الكرنب ونوع من اللفت وبعض أنواع الخضار الأخرى التي تطبخ مع اللحم) ويضم هذا السوق (أربعين) دكاناً وبالقرب منها يباع الجزر واللفت وهي الخضار إلى يستحسنها أهل فاس^(٢) .

بائعو الحوت : ونجد في هذا المكان صيادي السمك ، الذين يأتون بأسماكهم من نهر فاس ومن نهر سبو ، وكان يباع في السوق أسماكاً كبيرة طازجة وكذلك ذات جودة عالية وبثمن قليل ومنها سمك " الشابل " الكبير وفي بعض الأحيان يتم صيد الكثير من سمك البوري^(٣) ويصل إلى المدينة الحوت الكبير ويتم حمله على الحمير . وكذلك وجد بفاس نوع من الحوت يطلق عليه الشولى^(٤) . وكان سمك الشبوط يدخل في طعام السكان ، فقد كان يتم صيده من نهر سبو طول الشتاء من شهر أكتوبر إلى شهر أبريل^(٥) .

سوق الصابون : أدت كمية الإنتاج الوفيرة من الزيت إلى ازدهار صناعة الصابون بفاس^(٦) . وكان لدى باعة الصابون عدد قليل من الدكاكين المتجمعة ، إذ نجد لهم دكاكين متفرقة في كل الأحياء ، وكانوا يبيعون صابوناً سائلاً . وكان الصابون يصنع خارج المدينة في منطقة الجبال المجاورة ثم يتم نقله عن طريق الحمالين إلى الدكاكين^(٧) .

-
- (١) مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٥٢
 - (٢) لم يكن من السهل شراء هذا النوع من الخضار مباشرة من الزراع وتقدر الكميات المباعة بخمسمائة حمل وأحياناً أكثر ، ولم يكن سعرها باهظ فكان العشرون أو الثلاثون رطلاً بـ (بيوتشو) واحد . (الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٥ - ٢٣٦)
 - (٣) ويطلق على صاحب هذه الحرفة " حوات " وهو لا يصيد غير الحوت النهري . (مجهول : الاستبصار ص ١٨٤ - ١٨٥) عبد السلام بن سودة : حول أسماء الحرف والصناعات في مدينة فاس ، مجلة دعوة الحق عدد (١ ، ٢) الرباط سنة ١٩٧١م ص ١١٢
 - (٤) الشولى : هو نوع من الأسماك كبير الحجم ، ويعد من ألذ أنواع السمك ، وتصنع منه العديد من الأكلات باستخدام البقل ، ولا يوجد له رائحة السمك المنفرة . (مجهول : الاستبصار ص ١٨٥)
 - (٥) روجية لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ٩٧
 - (٦) وكان يوجد بفاس في عهد الموحدين ٤٧ داراً لصناعة الصابون . (ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٤٨ ، الجزنائي : جني زهرة الاس ص ٤٤)
 - (٧) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٤٣

سوق الدقيق : كانت أسواق فاس تضم حوانيت لبيع الدقيق حيث كان يجلب القمح إلى فاس من القرى التي في أحواضها^(١). ولكن عدد تلك الدكاكين كانت قليلة ، لأن أغلب هذه الدكاكين كانت متفرقة في أسواق الأحياء . بالقرب منهم باعة الحبوب، وكانت الكميات المباعة قليلة ، إذ ليس من العادة أن يبيع أهل المدينة حبوبهم^(٢). فأغلب تجار الحبوب تجاراً للجملة ومركزهم بجوار أبواب المدينة^(٣) .

سوق التبن : وهم باعة التبن المتمركز نشاطهم بالقرب من رحبة التبن في عشر دكاكين .

سوق الكتان : ويقع هذا السوق في بناء كبير ويتكون من أربعة أروقة ، وفي أحدها يباع الخيوط الكتانية بعد تمشيطها، والآخر يباع فيه الأقمشة الكتانية المنسوجة، ويوجد مكان يتم فيه وزن الخيوط^(٤) .

سوق الشماعين : هو سوق مخصص لبائعي الشمع ، ولقد أبدعوا في صناعة الشمع فهناك الشموع الغليظة والرفيعة التي كان لها زبائن كثيرة بين أهل الريف . فيقول عنهم الوزان : " الشماعون الذين يصنعون من الشمع أجمل أشكال رأيتها في حياتي " . ومن الواضح أن أغلب إنتاج الشمع كان يباع للقبائل المقيمة على أطراف المدينة^(٥) .

سوق العطارين : يقع إلى جانب القيسارية إلى الشمال ، ويصل عدد الدكاكين إلى مائة وخمسين دكاناً ، وكان يباع في هذا السوق منتجات العطارة والتوابل وكذلك الأعشاب الطبية^(٦) . فلم يكن مسموح للتجار بإعداد المواد الطبية ، فكان الأمر يترك للأطباء ليعدون الوصفات الطبية المختلفة ثم تنقل للدكاكين وكانت معظم دكاكين الأطباء بجوار دكاكين العطارين .

(١) البكري : المغرب ص ١٥١

(٢) مارمول : إفريقيا ج ٢ ص ١٥٢ ، الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٨

(٣) روجية لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ٤١

(٤) غير أن مارمول يصفه على أنه سوق للملابس الداخلية فيقول " هناك ساحة الملابس الداخلية على شكل رواق كبير ذي أربعة أبواب ، تباع فيها المشافة . والخيط والقماش . ويقام فيها يومياً سوق يستمر من الزوال إلى الساعة الثانية يزدحم فيها جمهور من النساء اللائي يأتين لبيع أو شراء القماش ... وغالباً ما يتضاربين... " (مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٢٥)

(٥) الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٣٤ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٥٠ .

(٦) الوزان : نفس المصدر ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، الجزنائي : جني زهرة الاس ص ٧٠ .

سوق الصاغة^(١) : ويقع سوق الصاغة بقرب دار السكة^(٢) ، وأمينهم هو السدي يحتفظ بقالب المعادن وأختام النقود ، فلا يمكن أن يصنع بفاس خاتم أو أي شيء من ذهب إلا ويكون مختوماً ، ومن حاول بيع شيء غير مختوم تعرض للحسارة والعقاب من المحتسب .

وقد قام على معدني الذهب والفضة حرفة الصاغة ، وهي عبارة عن ثلاث حرف متداخلة يقوم بها (دكاك وصانغ وسكاك)^(٣) . ومعظم تجار الصاغة من اليهود الذين ينجزون أعمالهم بفاس الجديدة ، ثم يحملونها للبيع في السوق المخصص لهم قرب سوق العطارين ، ولا يمارس هذه المهنة أحد من المسلمين ، لأنهم يروا أن بيع المصوغات سواء كانت ذهبية أو فضية بأكثر من ثمنها يعد ربا ، ولذلك سمح لليهود بممارسة هذا العمل^(٤) .

ولا يوجد بفاس القديمة غير عدد قليل من دكاكين الصاغة تباع الحلي للأهالي .

سوق السلاح : بالإضافة إلى هذه الأسواق كان هناك عدة محلات مخصصة لبيع السلاح في مدينة فاس الجديدة^(٥) . وكان عدد هذه الدكاكين اثنا عشر دكانا ، وكان أصحابها من مسلمي الأندلس (غرناطة وبلنسية) وكانوا متخصصين في صناعة الأسلحة النارية^(٦) .

وعلى مقربة من الأبواب الرئيسية للمدينة (باب الجيسة و باب الفتوح و باب المحروق) كانت توجد بضع من أسواق الجملة وخاصة أسواق الحبوب ، وذلك لتجنب نقلها عبر شوارع المدينة الضيقة^(٧) .

(١) كان يطلق على الصانغ أو من يشتغلون بالذهب اسم (صوفريم) بالعبرية ، وكذلك كان يطلق على المشتغلين بالفضة اسم (السكاكين أو الصياغين) .

(حاييم زعفراني : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب . ترجمة أحمد شملان ، عبد الغني أبو العزم ، دار الثقافة ، الدار البيضاء سنة ١٩٨٧م ، ص ١٥٢)

(٢) الحسن الوزان : نفس المصدر ص ٢٤٣

(٣) عبد السلام بن سودة : حول أسماء الحرف والصناعات في مدينة فاس ص ١١٣ .

(٤) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٤٣ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٥٧ ، روجية لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ١٥٣ .

(٥) روجية لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ١٣٧

أمر السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م ببناء عاصمة جديدة سماها فاس الجديدة (المدينة البيضاء) وغلب عليها الطابع العسكري والإداري ، ولقد أرجع البعض سبب تسميتها بالدار البيضاء إلى انه يعد خلافا لفاس القديمة التي كان الدهر قد غير لون مبانيتها . (ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٢١٠ - ٢١١ - ٣٧٣ . والذخيرة السنية ص ٧٩)

(٦) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٤٤ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٥٤ .

(٧) روجية لوطورنو : المرجع السابق ص ٤١

وقد أشار الونشريسي إلى أن بعض التجار من مسلمين ويهود كانوا يقومون ببيع السلع للنساء في الدور وليس في الأسواق ويذكر أنه عند اشتداد الحر كان بعض النساء يخرجن إليهم سافرات الوجه^(١).

■ القيسارية^(٢) :

هو مكان يوجد في وسط المدينة ، وهي في حجم مدينة صغيرة ، يوجد حولها سور يضم أبواب وعلى الأبواب حواجز (سلاسل) لمنع دخول المارة وهم ركوب ، وكذلك منع كل أنواع الدواب^(٣).

وكانت القيسارية تحوي شتي منتجات الأسواق مجتمعة معاً ، وهي مقصد للتجار من الطبقة الأولى ، ولم تكن القيسارية تتكون من حوانيت فحسب ، إذ كانت تقوم إلى جانبها مخازن ، حيث كان تجار الجملة يخزنون بضائعهم قبل بيعها إلى تجار التجزئة^(٤). وهي سوق للأشياء الواردة من الخارج عالية القيمة ، وكذلك أجود منتجات الصناعات المحلية ، وكانت بها التجارة الفردية عن طريق البيع والشراء بين الأفراد ، أو جماعية عن طريق المزادات . وكان في مراكش قيسارية كبيرة في عهد الخليفة الموحدى أبى يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٩م)^(٥).

(١) الونشريسي : المعيار المغرب ج ٦ ص ١٩٧
(٢) القيسارية : كلمة من أصل يوناني معناها السوق الإمبراطوري ، ويقصد بها البناء الملكي ، وهي أسواق مملوكة للدولة . وتكون خاضعة لإدارتها بخلاف الفندق الذي يقيمه الأفراد وتؤول ملكيته إليهم ، في حين يفسرها بعض الدارسين بأنها سوق التجار ، ويرى بعض الباحثين أنها اشتقاق من كلمة القصر العربية . والقيسارية مؤسسة تجارية عامة متمعة النطاق ، تختلف نوعا ما من مدينة إلى أخرى ، وتتكون في بعض الأحيان من فناء مركزي فسيح تحيط به أروقة مسقوفة تقام فيها الحوانيت والمصانع الصغيرة ، والمخازن ومنازل الغرباء من التجار ، وأحيانا تتخذ شكل شارع مسقوف بقبوات من الأجر أو بمعروشات العنب أو بأسقف الخشب أو بترك مكشوفة ، وتتوزع على جانبيه حوانيت الباعة ... وقد تكون ساحة في وسط المدينة تتوزع حولها المنشآت التجارية .

(أحمد محمد الطوخى : القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس ص ٦٧-٦٩)
(٣) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٤٥ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ٤٨ ، الجزائى : جنى زهرة الاس ص ٣٤ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٥٠ .
(٤) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ج ١ ص ٢٤٠-٢٤١ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٤٨ .
(٥) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ص ٢١٠ ، السيد عبد العزيز سالم : الحضارة الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية ، ١٩٨٦م ، ص ٢٦ ، محمد أحمد زيود : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم الإسلامي ، منشورات جامعة دمشق ، ١٩٩٤م ، ص ٢٢٠ .

وكان في فاس قيساريان^(١). وكانت القيسارية تضم في داخلها خمسة عشر سوقاً^(٢) هي :

سوق الخرازين : كان لهم حيان يضم الدكاكين^(٣) الخاصة بهم ، وهم صناع الأحذية الفاخرة والتي لم يكن يستخدمها سوى الأعيان ووجهاء القوم .

سوق الأقمشة الحريرية : كان لتجار الأقمشة الحريرية حيان آخران مخصصان لهما . فكان بعضهم مخصص للطرز الخاصة بالخيل ، وكان عددهم يقدر بخمسين دكاناً وآخرون يبيعون الحرير الملون المستخدم في أعمال التطريز المختلفة ويقدر عددهم بمثل سابقهم ، ويأتي بعدهم صانعو النطاقيات للنساء منها الحريرية ، وإلى جانب هذا يوجد بعض الدكاكين التي تقوم بصنع ما يزين به " البرانس " ^(٤) المديونية من حواش حريرية .

سوق الأقمشة الصوفية : كان لتجار هذا السوق حيان مخصصان لهم ، وهذه الأقمشة أغلبها ترد من الأندلس ، كذلك فإن أغلب تجار هذا المجال كانوا من مسلمي الأندلس^(٥) ، وكانت هذه الدكاكين تباع الحرير الخام والقلنسوات وبعض الطنافس^(٦) والوسائد من قماش الحرير والكتان^(٧) .

Ahmad Saeed Rizq

- (١) عبد الأحد السبتي - وحليمة فرحات : كتاب المدينة في العصر الوسيط ، قضايا ووثائق من تاريخ المغرب الاسلامي ، الناشر الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ص ٣٧٣
- (٢) الوزان : نفس المصدر السابق ص ٢٤٠-٢٤١ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٤٨ .
- (٣) الدكاكين : جمع دكان وهي الحانوت . وقد بلغت دكاكين فاس في عهد الموحدين (٩٠٨٢) (الجزنائي : جني زهرة الأس ص ٨٢)
- (٤) البرنس : هو رداء ذو كمين مشبوك به قلنسوة طويلة ، وكانت البرانس المديونية تصنع من نسيج لا ينقذ منه المطر . والبرانس المديونية نسبة إلى جبل مديون الواقع شرق مدينة فاس .
- (٥) ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ١٤١ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٣ ، المعجم الوجيز ص ٤٧

- (٥) مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٤٩
- (٦) الطنافس : والمفرد الطنفسة وهي كساء له أهداب وذي أهداب كأهداب القطيفة ، يستخدم أيضاً كبساط فوق الرحل . (المعجم الوسيط ، ج ٢ ص ٥٦٨ ، ٧٤٧ ، المعجم الوجيز ص ٣٩٦)

- (٧) كما وجدت زرابي من الجلد المزركش بالذهب والحرير ، تستعمل هناك كسماطات تفرش على الأرض لتناول الطعام ، وللجلوس عليها في الصيف . (مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٤٩)

سوق الخياطين : يوجد للخياطين والقصّارين^(١) ثلاثة أحياء خاصة بهم^(٢) .

سوق الحواشي : يوجد لتجارة حي خاص بهم ، وكان اختصاصهم صناعة حواش العمام للروّوس .

تجار الكتان^(٣) : يوجد لهم حيّان ، وهم يتاجرون في الكتان والأقمشة النسائية وهم أغنى تجار في فاس ، لما يعود عليهم من أرباح طائلة لكثرة الطلب على هذا الصنف من الأقمشة .

سوق الملابس المستعملة : يوجد لتجارة هذه الفئة حي خاص بهم ، وهم تجار يبيعون الملابس المستعملة ، وكان البعض يطلق عليهم تجار (الأقمشة الأوربية) وكانت تباع بالمزاد العلني^(٤) ويطلق عليه سوق المركطين^(٥) .

سوق القمصان القديمة : وهم باعة القمصان القديمة المصنوعة من الكتان وهي ملابس مستعملة إلى جانب ذلك كانت تباع الأغطية والقوط^(٦) .

ويوجد بالقيسارية مكتب (محصلي الضرائب)^(٧) لأن أغلب الأقمشة التي تباع يتم بيعها عن طريق المزاد العلني ، فيحملها الباعة إلى مستخدمي الضريبة لختمها ، ويصل عدد الدالين نحو (ستين) (دكاناً) ومقدار الضريبة هو (بابوتشو)^(٨) عن كل قطعة قماش .

وفي أغلب الظن أن إنشاء القيسارية لا يتم إلا في المدن الكبرى مثل مراكش وفاس في المغرب الأقصى ، أما بقية المدن فلا يذكر فيها هذا النوع من الأسواق .

(١) القصار : هو المببض للثياب وكان يبيعاً النسيج بعد نسجه ببله ودقه بالقصرة .

(المعجم الوسيط ج ٢ ص ٧٣٩ ، المعجم الوجيز ص ٥٠٤)

(٢) الجزنائي : جني زهرة الأس ص ٣٤ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٤٩ ، مارمول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ١٤٩ .

(٣) الوزان : نفس المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، مارمول كرفجال : نفس المصدر السابق ص ١٤٩ .

(٤) عبد القادر زمامة : مرجع سابق ، ص ٧١ ، مارمول كرفجال : نفس المصدر ص ١٤٩ .

(٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٣٩٦

(٦) مارمول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ١٤٩

(٧) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٢٤١

(٨) البابوتشو : هي عملة إيطالية قيمتها نحو ٧ سنتيم ذهب . (الحسن الوزان : نفس المصدر ص

■ الأسواق الأسبوعية :

يعقد السوق يومين في الأسبوع هما (الاثنين ، والخميس) ولكن الخميس هو اليوم التقليدي^(١) . وتركز التجارة في هذا السوق في تجارة الماشية من (الأبقار ، والأغنام ، والماعز ، والدواب ، والخيول ...)

وكان يجتمع بها تجار الماشية باختلاف أنواعها إلى جانب تجار بعض المنتجات المنزلية البسيطة مثل (أنية الفخار) وأنواع أولية من الأقمشة المنسوجة يدوياً - والبيض - وبعض الطيور المنزلية .

ولم يكن يقصد هذا السوق التجار الصغار والمشترون من الأفراد فقط ، وإنما كان يقصده أيضاً كبار التجار ، بإعادة بيعها داخل أسواق المدينة ، وكذلك كانوا يأخذون معهم بعض منتجات المدينة لبيعها للريفيين من أحذية وأقمشة وأدوات زراعية^(٢) .

ويوجد أيضاً إلى جانب هؤلاء عدد من الأطباء البيطريين للاستشارة وإجراء العمليات الصغيرة للماشية ، وكذلك الحلاقين والدالين وكتاب العدول وجامعي المكوس ، وقد شهد السوق بعض الحواة والموسيقيين وباعة الأطعمة الجاهزة ...^(٣) .

وكانت الأسواق الأسبوعية تقام في مدن المغرب الأقصى ففي مدينة فاس سوق يوم الخميس^(٤) ينعقد خارج الأسوار الشمالية الشرقية لمدينة فاس ، وعلى امتداد الطريق إلى باب المحروق^(٥) وسوق الجمعة وهو سوق للطيور وكان يقام كل يوم جمعة بعد انتهاء ساعات العمل ويبيع في هذا السوق طيور الزينة ، ويقام خارج باب عجيبة^(٦) .

(١) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ص ٥٦٢ ، وفاس في عصر بني مرين ص ٥٥

(٢) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ص ٥٦٤

(٣) الحسن الوزان : مصدر سابق ج ١ ص ٢٧٩

(٤) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ص ٥٦٢ ، وفاس في عصر بني مرين ص ٥٥

(٥) بنى الباب من طرف الخليفة الموحدي محمد الناصر سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م ، وأطلق عليه اسم باب الشريعة قبل ان يشتهر باسم باب المحروق لتزامن بنائه مع انتهاء ثورة العبيدي الذي سبق إلى فاس وقتل ثم علق رأسه على الباب ، وأحرق جسده في وسط الباب ، فسمى الباب من ذلك التاريخ باب المحروق .. (ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين ص ٢٤٩ ، وابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٢٧١)

(٦) كان في عصر الوزان دكاكين لتجار الطيور ، بلغ عددها حسب (مارمول) ستة عشر دكاناً بجوار باعة القطن في القرب من باب البراطيين . (روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ص ٥٦١)

وقد اهتم الموحدون بفاس اهتماماً خاصاً ، واعتنوا بأمرها حتى بلغت درجة عالية من الانتعاش العمراني والاقتصادي ، لاسيما في زمن المنصور الموحدي وولده الناصر ، حيث شيدت الأسوار بالمدينة^(١)، وراجت صناعاتها وحرفها وانتشرت الأسواق بالمدينة وارتبطت بالطرق التجارية. فعن طريق فاس كان يتجهز التجار إلى بلاد السودان وإلى المشرق وكان يحمل منها النحاس الأصفر إلى جميع الأفاق^(٢) .

وهكذا تميزت مدينة فاس برونقها ونظافتها وقد وصف ابن حوقل شوارعها في القرن الرابع الهجري بقول " في كل يوم يرسل في أسواقها وشوارعها من نهرها الماء فتغسل " ^(٣) . كما تميز كل من العدوتين بطابع خاص يعكس سمات سكانها ، فعدة الأندلسيين^(٤) التي نزلها البربر وأهل الأندلس ، هم عناصر تكاد تكون ذات طابع متقارب من حيث المستوى الاجتماعي والاقتصادي وقد اتسم ببساطة العيش^(٥) . بينما عدوة القرويين^(٦) التي نزلها العرب والفرس اتسمت بالطابع التجاري ، وكثرة البناء وقد وصفها الإدريسي^(٧) بأنها " جليلة كثيرة العمارة والمنازل، تشد إليها ركائب القوافل ويجلب إلى حضرته كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة " . وقد قدم صاحب الاستبصار شهادة مؤرخة لسنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م ، في بداية عهد المنصور ذكر فيها " وقاعدة بلاد المغرب مدينة فاس ... هي أعظم مدينة من مصر إلى آخر بلاد المغرب ومدينة فاس مدينتان كبيرتان يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس يدور عليها سور كبير، ومدينة فاس اليوم في نهاية العمارة والصلاح"^(٨).

(١) ابن عذاري : البيان ، القسم الموحدي ص ٢٦٦، ابن أبي زرع : نفس المصدر السابق ص ٢٤٢ ، السلاوي : الاستبصار ج ١ ص ١٩١ ، مصطفى أبو ضيف : اثر القبائل العربية في تاريخ المغرب خلال عصر الموحدين والمرينيين ص ٩٩-١٠٠

(٢) مؤلف مجهول : الاستبصار ص ١٨١

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٠ - ١١٥ .

(٤) والعدوة هي الموضع المرتفع الذي يبنى بجانب النهر من اجل نصب الرحي

(المقدس) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط ٢ ، لندن ١٩٠٦م ، ص ٢٢٩)

تأسست عدوة الأندلسيين في غرة ربيع الأول سنة ١٩٢ هـ وقد اختطت على يد الإمام إدريس الثاني . (الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء فاس ص ٣٣ ، مجهول : رسالة في ذكر من أسس فاس ورقة ٧)

(٥) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٤٦ .

(٦) تأسست عدوة القرويين في مستهل ربيع الثاني سنة ١٩٣ هـ وقد اختطت على يد الإمام إدريس

الثاني . (الجزنائي : نفس المصدر السابق ص ٣٣)

(٧) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٤٦

(٨) مؤلف مجهول : الاستبصار ص ١٨٠

— أما عن أسواق مدن المغرب الأقصى فنبدأ من المدن الشمالية :

اشتهرت أسواق سبتة بأسواق المرجان^(١) . حيث أنها ميناء هام لبلاد المغرب الأقصى ويقع الميناء بشرقيها ، والبحر عندها ضيق وإذا كان الصحو (عدم وجود غيوم) أبصرت منها الجزيرة الخضراء من بر الأندلس^(٢) . وبها أسواق لصناعة النحاس مثل الشمعدانات والصحاف والمحابر وأشياء أخرى^(٣) .

وكانت أسواق المدن القريبة من سبتة مثل سوق قرية نصر ابن جرو جنوب سبتة وطنجة ينعقد يوم الجمعة^(٤) فمدينة سبتة ميناء رئيسي لمدن المغرب الأقصى فهي مدينة تجارية من الطراز الأول ، فهي ميناء للتصدير والاستيراد ، وقد بلغ عدد الأسواق في مدينة سبتة وما جاورها (مائة وأربعة وسبعون سوقاً) منها مائة واثنان وأربعين سوقاً في داخل المدينة نفسها ، وقد امتازت بكثرة المعروض من السلع^(٥) .

وتشتهر أسواق مدينة طنجة^(٦) بتنوع تجارتها منها أسواق الفاكهة ، وأسواق الحبوب^(٧) وبها أسواق عامرة من الخضر والفاكهة والأسماك والملابس^(٨) . ويذكر الأصطخرى أن فاس عاصمة إقليم طنجة الذي يصفه بقوله : (طنجة كورة عظيمة تحيط بمدن وقرى وبوادي ومدينتها فاس)^(٩) .

Ahmad Saeed Rizq

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٩

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٣

(٣) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٣١٨ — ٣١٩

(٤) البكري : المصدر السابق ص ١٠٨

(٥) الأنصاري السبتي : اختصار الأخبار عما بسبتة من سنى الآثار ص ٣٩ — ٤٠

(٦) مدينة طنجة هي مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر ، طنجة آخر حدود إفريقية من المغرب ومسافة ما بين طنجة والقيروان ألفا ميل وفي الاستبصار ألف ، وهي طنجة البيضاء المذكورة في التواريخ ، وقيل أن عمل طنجة مسيرة شهر في مثله وأن ملوك المغرب من الروم وغيرها من الأمم كانت دار مملكتهم مدينة طنجة... وبين طنجة وسبتة ثلاثون ميلاً (٤٣.٤٤ كم) في البر ، وفي البحر نصف مجرى ، وتعرف طنجة بالبربرية " وليلى " .

(الحميري : الروض المعطار ص ٣٩٥ — ٣٩٦ ، البكري : المغرب ص ١٠٨ — ١١١)

طنجة على المضيق واتساع البحر عندها ثلث مجرى فإذا شرق عنها اتسع وبينها وبين سبتة مرحلتين وهي على ساحل البحر مقابل الجزيرة الخضراء لبلاد الأندلس .

(أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٣ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ١٤٣ الهامش)

(٧) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٣١٥

(٨) البكري : المغرب ص ١٠٩

(٩) الاصطخرى : مصدر سابق ، ص ٣٤

أما أسواق مدينة سلا^(١) الواقعة في الشمال الغربي ، عامرة تقصدها المراكب لتحصل منها على كافة أنواع السلع من اللحوم والخضر والفاكهة والأسماك^(٢) . وبين مدينة سلا ومراكش على ساحل البحر تسع مراحل ، وهى مدينة لها أسواق نافقة وتجارات ودخل وخرج ، ولأهلها سعة أموال ، والطعام بها كثير رخيص جداً ، وبها كروم وغللات وبساتين ، وهى مدينة لها ميناء تقصده مراكب أهل اشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقلعون عنها ويحطون بها بدروب من البضائع ، ويقصدها أهل اشبيلية بالزيت الكثير ، ويتجهز منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية ، وهذه التجارة مع النصارى تحقق لأهل المدينة أرباح ضخمة ، ولهؤلاء التجار مخازن سواء في فاس أو سلا^(٣) .

وأسواق مدينة أصيلة تقع إلى جنوب مدينة طنجة وقد وصفها البكري بقوله: " مدينة أصيلة أول مدن المغرب من جهة الغرب والمحيط بغربها وإذا هاج البحر المحيط بلغ الموج إلى حائط الجامع ، وسوقها حافلة تنعقد يوم الجمعة^(٤) . ويقام في مدينة أصيلة أسواق ثلاث مرات في السنة وقت اجتماعهم في شهر رمضان وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء ، ويقصدها أهل الأمصار والأندلس في هذه الأوقات بمختلف السلع والبضائع^(٥) .

وسوق مرسى فضالة^(٦) على المحيط به أسواق للطعام والحبوب والمواشي ، حيث ترده المراكب من بلاد الأندلس^(٧) .

(١) سلا : مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور إلا مدينة صغيرة ثم يأخذ البحر ذات الشمال وذات الجنوب وهو البحر المحيط . مدينة موضوعة على زاوية من الأرض قد حاذاها البحر المحيط والنهر . وقد بنيت سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م وهى مدينة سهلية أرضها سبخة وهى محاطة بسور بناه اليسع أبو منصور ابن أبى القاسم من ماله الخاص سنة ١٩٩ هـ / ٨١٤ م .
(ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٣١/٣ ، أبو الفداء : المصدر السابق ص ١٣١ ، الحميرى : الروض المعطار ص ٣١٩)

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٩ .

(٣) الحميرى : نفس المصدر السابق ص ٣١٩ ، الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٢٥ ، مجهول : الاستبصار ص ١٤٠ ، الحسن الوزان : وصف إفريقيا ج ١ ص ٢١٤ .

(٤) البكري : المغرب ص ١١١

(٥) البكري : نفس المصدر ص ١١٢

(٦) كلمة مرسى : هي مكان وقوف السفن إلى الساحل جمعها مراسي .

(جبران مسعود : معجم رائد الطلاب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٧ م ، ص ٣٣٠)
ومرسى فضالة : يقع جنوب مدينة سلا باثني عشر ميلاً (١٧.٣٧٦ كم) على ساحل المحيط الأطلسي وتعتبر محمل الطعام في البحر للجنوب (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٩ وما يليها)

(٧) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٣٩ وما يليها .

وفي مدينة مكناس^(١) سوق ينعقد خارج المدينة بالقرب من أسوارها يوم الاثنين^(٢).

وسوق القصر الكبير في إقليم أزغار^(٣) شمال فاس ينعقد يوم الاثنين أيضا^(٤).
وسوق خميس متغارة الواقع على الطريق بين مراكش وفاس ينعقد يوم الخميس ولهذا عرف بهذا الاسم^(٥).

أما سوق داي^(٦) حيث يجتمع التجار من فاس وسجلماسه وغيرها^(٧).
ويوجد في مدينة داي سوق للقطن^(٨)، أما مدينة تادلة^(٩) فسوقها ينعقد يوم الأحد^(١٠) وبها سوق للقطن^(١١)، وفي شمال تادلة سوق قلعة مهدي الذي تخصص في بيع الخضر والفاكهة كما كان بها أسواق الماشية (البقر والغنم)^(١٢) وغيرها.

— أما أسواق مدن المغرب الأقصى الجنوبية :

أشهرها أسواق مدينة أغمات^(١٣) الذي تمر بها طرق القوافل التجارية القادمة من

(١) مكناس : مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البحر الأعظم بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة (٦٢٣.٢٨ كم) نحو المشرق وهي مدينتان صغيرتان اختط احدهما يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ، والأخرى قديمة أكثر شجرها الزيتون ، وقيل مكناسة حصن الأندلس من أعمال ماردة ، في طريق المار من فاس الى سلا على شاطئ البحر .
(ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ١٨١)

(٢) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ٢٢٠ .

(٣) ازغار : شمال فاس على المحيط وتنتهي غربا عند نهر سبو وشرقا عند جبال غمارة وعند الزرهون وجبل زلاغ وجنوبا عند وادي مكس (الحسن الوزان : نفس المصدر ص ٣٠١)

(٤) الحسن الوزان : نفس المصدر ص ٣٠٥

(٥) الحسن الوزان : نفس المصدر ص ٢٢٣ الحاشية (٤)

(٦) داي : مدينة تقع شمال شرق مدينة أغمات بينهما أربعة أيام (١٧٨.٠٨ كم) وهي في أسفل جبل خارج من جبل درن . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤١)

(٧) البكري : المغرب ص ١٥٤

(٨) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤١

(٩) تادلة : تقع شمال مدينة داي بمسافة مرحلة (٤٤٠.٥٢٠ كم) ، وبين تادلة وأغمات في اتجاه الشمال الشرقي أربعة أيام . (الإدريسي : المصدر السابق ص ٢٤١ — ٢٤٢)

(١٠) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٢٢ في الهامش .

(١١) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٤١

(١٢) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٤٣

(١٣) أغمات : ناحية في بلاد البربر من ارض المغرب قرب مراكش وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير ومن ورائها الى جهة البحر المحيط السوس الاقصى بأربع مراحل (١٧٨.٠٨ كم) ومن سجلماسة ثمان مراحل (٣٥٦.١٦ كم) نحو المغرب ، وليس بالمغرب فيما زعموا بلد أجمع

الجنوب وبلاد السودان ، محملة بالبضائع المختلفة ، كذلك كانت تمر عليها قوافل التجارة القادمة من ساحل رباط قوز^(١) .

وقد وصف الإدريسي تجار مدينة اغمات بقوله : " وهم أملياء تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف السنظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب من الأقاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم مائة جمل والسبعون والثمانون جملاً كلها موقرة "^(٢)

وبمدينة اغمات ضروب من الفواكه وأنواع من النعم وكل شيء من المأكول بها رخيص ممكن^(٣) وينعقد سوق اغمات يوم الأحد من كل أسبوع وتجتمع فيه السلع المختلفة ويأتي لهذا السوق من التجار والمشتريين أعداد كبيرة ، فقد ذكر البكري أنه : " يذبح في هذا السوق مائة ثور وألف شاة وينفذ في ذلك اليوم "^(٤) (يدل على كثرة المترددين على هذا السوق) .

وبين اغمات وساحل رباط قوز ، توجد مدينة صغيرة هي نفيس بها أسواق للخضر والفواكه والحبوب واللحوم وسوقها رائع وبها سوق لأنواع الزبيب ، مشهور في بلاد المغرب الأقصى^(٥) .

الأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظاً ولا خصباً منها تجمع فواكة الصرود والجروم .

(الصرود : صرد وهو الشتاء / أما الجروم : جرم وهو الحار . (أي الفاكهة الشتوية والصيفية) . (ابن منظور : لسان العرب ج ٤ ص ٢٣٥ وما بعدها ، و ج ١٤ ص ٣٥٧) .
وبين مدينة اغمات ومراكش ثلاثة فراسخ (١٣٠.٣٢ كم) هي في سفح جبل هناك وهي للمصامدة، يذبح بها جلود تفوق جودة على جميع جلود الدنيا وتحمل منها إلى سائر بلاد المغرب ويتنافسون فيها . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ١/٢٩٥)

(١) رباط قوز : ميناء ساحلي على المحيط يقع غرب مدينة اغمات وتعتبر ميناء لأغمات .
(البكري : المغرب ص ١٥٣)

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٢ وما يليها ، البكري : نفس المصدر السابق ص ١٥٣-١٥٤

(٣) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٣٢-٢٣٣

(٤) البكري : المغرب ص ١٥٣

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٩

- أسواق مدينة سجلماسة^(١) :

مدينة تجارية عامرة حيث أنها مقصد لتجارة المغرب الواردة والصادرة ، وترجع شهرة أسواقها إلى موقعها في بداية طرق القوافل القادمة من بلاد المغرب قاصدة بلاد السودان والقادمة منها .

ويحدثنا ابن حوقل عن تجار سجلماسة : " لقد رأيت بأودغست^(٢) صكا فيه ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أودغست وهو من أهل سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار " ^(٣) .

ويوجد بها أسواق للخضر والفواكه والتمور^(٤) ، وكذلك سوق للقطن والكمون والكرارويا والحناء يتجهز منها إلى سائر بلاد المغرب^(٥) ويذكر ابن الوردي عن أسواق سجلماسة أنه : " يسير فيها الراكب نصف يوم فلا يقطعها " ^(٦) مما يدل على كثرة ما يعرض في أسواقها من بضائع وسلع .

(١) سجلماسة : مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام (٤٤٥.٢ كم) تلقاء الجنوب ، وهي في منقطع جبل درن ، وهي في وسط رمال . يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونحلا مد البصر . فهي في صحراء المغرب بينها وبين البحر المحيط خمس عشرة مرحلة (٦٦٧.٨ كم) . ويقال على نهرا (زيز) ، وليس بها عين ولا بئر ، وزرعتهن الدخن والذرة ولهم النخل الكثير ، وسجلماسة من أعظم مدن المغرب ، وهي على طرف الصحراء لا يعرف في قبليها ولا في غربيها عمران ، وبينها وبين غانة في الصحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال غير عامرة ، قليلة الماء يسكنها قوم من مسوفة رحالون لا يستقر بهم مكان ، ليس لهم مدن ولا عمارة يأوون إليها إلا وادي درعة ، وبينه وبين سجلماسة مسيرة خمسة أيام (٢٢٢.٦ كم) . وهي مقصد للوارد وللصادر .

(ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٩٢ / ٣ ، الحميري : الروض المعطار ص ٣٠٥)

(٢) أودغست : " مدينة بين جبلين في قلب البر جنوبي مدينة سجلماسة ، بينها نيف وأربعون مرحلة في رمال ومفاوز على مياه معروفة وفي بعضها بيوت البربر " (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٧٧/١ وما يليها) ويذكر البكري عن أودغست أنها منزل ملك السودان المسمى بغانة قبل أن تدخل العرب غانة. (البكري : المغرب ص ١٦٨)

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٩

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٥ وما يليها ، المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢٣١

(٥) الإدريسي : المصدر السابق ص ٢٤٠

(٦) سراج الدين أبو حفص زين الدين عمر المظفر (ابن الوردي) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، الناشر مصطفى البابي الحلبي ، ط ٢ ، ١٩٩٨ م ، مخطوط ص ٨

وفي جنوب سـجلماسة تقع مدينة درعة^(١) ، وقد وصفها الإدريسي بأن بها أسواق لبيع الغلات ، مثل الحناء ، والكمون ، والكراويا ، والنيلج^(٢) وفي درعة سوق رئيسي ينعقد كل يوم جمعة ، كما ينعقد في مدينة درعة سوق يومي في مكانين مختلفين لبعـد المسافة وكثرة الناس عليه لطول عمارته المتصلة^(٣) وأسواقها جامعة^(٤) . وفي منطقة جزولة^(٥) سوق يقام لمدة شهرين وتقع جزولة في جنوب المغرب الأقصى ، وهي مدينة أهله بالسكان^(٦) .

أما في مدينة نول لمطة^(٧) آخر مدن جنوب المغرب الأقصى ، سوق يصنع فيه الدرة للمطية الشهيرة^(٨) ، وسوق لصناعة السروج ، واللجم ، والأقناب المعدة لخدمة الإبل على طول طريق القوافل ، وسوق الأكسية المسماة بالسفسارية والبرانس .

وسوق لبيع الماشية (البقر والغنم) ومنتجات الألبان^(٩) وبها سوق لبيع الرقيق ينعقد في يوم واحد في السنة يقصده التجار من الآفاق^(١٠) .

(١) مدينة درعة : مدينة صغيرة بينها وبين سـجلماسة أربعة فراسخ(٢٧.٨٢٥ كم) ، ودرعة غربيها . (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤٥١/٢ الهامش)

ويصفها البعض بقوله " درعة مدينة بالمغرب في جهة سـجلماسة تبعد عنها بثلاث مراحل . وتعرف باسم واديا وادي درعة ، وهي غير محاطة بسور وإنما هي قرى متصلة ، وعمارات متقاربة وسكانها خليط من البربر . أما أشهر مزروعاتها فهي الحناء .

(الحميري : الروض المعطار ص٢٣٥-٢٣٦ ، ابن سعيد : الجغرافيا ج ١ ص٢٦)

(٢) النيلج : صباغ أزرق يستخرج من ورق نبات النيل . (المعجم الوجيز ص٦٤٢)

(٣) البكري : المغرب ص١٥٢ ، مجهول : الاستبصار ص٢٠٦

(٤) البكري : نفس المصدر ص١٥٥

(٥) جزولة : إقليم مأهول بكثير من السكان جنوب المغرب الأقصى فمن الغرب جبل هلاله وجبل السوس ، ومن الشمال جبال الأطلس ومن الشرق منطقة درعة .

(الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص١٥٥-١٥٦)

(٦) الحسن الوزان : المصدر السابق والصفحة

(٧) نول لمطة : مدينة تقع جنوب غرب سـجلماسة بثلاث عشرة مرحلة(٥٧٨.٧٦ كم) ، وهي قريبة من المحيط بمسافة ثلاثة أيام(١٣٣.٥٦ كم) ، ولها نهر كبير ينبع من جبل لمطة في شرقها إلى غربها الشمالي حتى يصب في المحيط . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٤ ، أبو الفداء : مصدر سابق ص١٣١)

(٨) الدرة : الترس من الجلد (لباس للقتال) ، وتسمى بـ (اللطية) نسبة لمدينة نول لمطة .

(المعجم الوجيز : ص٢٢٦)

(٩) الإدريسي : مصدر سابق ص٢٢٤ وما يليها

(١٠) ابن خلدون : العبر ج٦ ص٥٧٦

أما في منطقة السوس الأقصى^(١) في أقصى غرب مدن المغرب الأقصى ، وعاصمة السوس الأقصى مدينة تارودانت^(٢) ، ويوجد في مدينة تارودانت أسواق للفاكهة ، وللحوم ، ولبيع السكر وللأكسية الرقاق والثياب الرقيقة ، وللحبوب بأيسر قيمة وأسعارها رخيصة^(٣) .

وفي مدينة تدسى^(٤) الواقعة إلى شرق تارودانت وهي تبعد عن المحيط الأطلسي ستين ميلا . وبها سوق أسبوعي ينعقد كل يوم سبت^(٥) .

وفي منطقة السوس الأقصى ينعقد السوق مرتين في الأسبوع^(٦) .

وإلى جانب تلك الأسواق كانت هناك أسواق متنقلة تقام في ظل الحملات العسكرية^(٧)

ولا تختلف عن الأسواق الأخرى لاجتماع أصحاب التجارات وكل الأصناف فيها حتى أرباب الغزل وبيع الكتان باستثناء الحياكة والنساجين ، الذين يحتاجون في العادة أنوالا ثابتة لعملهم يصعب حملها وتحضيرها والإنتاج بها مع الحركة المتوقعة للجيش في كل وقت .

وتقام تلك الأسواق بالقرب من المعسكرات وتضم من السلع الغذائية الدقيق والشعير واللحم ، والأعلاف^(٨) (الحيوانات للذبح ، ولخيول الجيش) .

(١) السوس الأقصى : تقع على ساحل البحر المحيط بالدنيا ، فمن السوس الأقصى إلى القيروان ثلاثة آلاف فرسخ يقطعها السالك في ثلاث سنين .

ويطلق السوس على ما وراء جبل درن من جهة الجنوب إلى الصحراء ومن مدن السوس إلى بلاد درعة بلاد جليلة قد تضاف إلى السوس وقد تضاف إلى سجلماسة

(ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣ / ٢٨٢ ، أبو الفداء : مصدر سابق ص ١٣١)

(٢) تارودانت : مدينة السوس الأقصى وهي على طرف من البر داخل في البحر أربعين ميلا (٧٤٠.٢ كم) ... يحضره المراكب وهي مدينة على نهر في جانبه الشمالي ونهرها يأتي من الشرق من جبل لمطة . (أبو الفداء : مصدر سابق ص ١٣١)

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٧ وما يليها

(٤) تدسى : يمر نهر السوس بالقرب من المدينة على مسافة ثلاثة أميال (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ١٣٠ وما يليها)

(٥) الحسن الوزان : نفس المصدر ص ١٣١

(٦) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ص ١٣٢

(٧) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٣٥٢

(٨) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٢٤٢-٢٤٦ (ابن عذارى المراكشي : البيان ، قسم الموحدى ، ص ٣٥-٣٩)

كما وجدت في المدن أسواق صغيرة تشتمل على بضع دكاكين ستة أو سبعة على الأكثر ، توجد مجتمعة حول ساحة صغيرة أو في ملتقى طرق أو على طول زقاق مطروق ، وتشتمل على السلع المختلفة الضرورية للحياة اليومية^(١) .

• العاملون في الأسواق :

كان يعمل في الأسواق عاملين يساعدوا التجار والصناع في تيسير الحركة التجارية ، ولهم دور كبير في تلبية حاجات الناس في السوق ، ومتطلبات الحياة اليومية للسكان ، ويشكلون هؤلاء العاملين جماعات صغيرة بمدن المغرب الأقصى^(٢) وهم كالآتي :

أ- السماسرة^(٣) والدلالون^(٤) :

هم الفريق الذي ينظم العلاقة بين البائع والمشتري وكانت لهم أماكن تتواجد بالقرب من حلقات المزاد العلني، وكان عددهم يتوقف على نوعية البضائع المباعة^(٥).

والسمسار هو الوسيط بين التاجر والمشتري فيما يباع ، وبعض السماسرة يكون لهم دكاكين لتصريف أعمالهم^(٦). وكان ينزل عنده التجار الغرباء وعن طريقه يصرفون تجارتهم^(٧) . وقد أشار الونشريسي بعدم جواز شهادة السمسار للتجار الذين

Ahmad Saïed Rizq

(١) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ص ٥٦

(٢) حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية في المغرب الأقصى ، رسالة دكتوراه - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة سنة ١٩٧٢م ص ٣٩٥ ، عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ص ٢٥

(٣) السمسار : هو متولي العقد بين البائع والمشتري بأجر .

(٤) الشرباصي : المعجم الاقتصادي ، دار الجبل ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٢٢٧)

(٥) الدلال : هو الذي يصف البضاعة وجودتها . ويعتبر وسيطاً بين البائع والمشتري .

(٦) شمس الدين بن عبد الله الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق البشري الشوريجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الاسكندرية ، ١٩٧٧م ، ص ٤٤ ، الونشريسي : المعيار المعرب ج ٥ ص ١٩٧ ، الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ٦٤)

(٧) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ١٥٥ - ١٥٦

(٨) أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي عرف بإبن الزيات : التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي ، تحقيق أحمد توفيق ، المملكة المغربية ، جامعة محمد الخامس ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، دراسات رقم ٢٢ ، ص ١٣١ وما يليها

(٩) أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي (السقطي) : آداب الحسبة ، تحقيق ج. س. كولان ،

ليفى بروفنسال ، دار إير نيست لرو ، باريس ، ١٩٣١ ، ص ٦٠

يتعامل معهم^(١). والسماسة أصناف منهم الطوافون^(٢) وهم في الغالب غير مرتبطين بسوق معين ، لأنهم يعرضون سلعهم في كل مكان يحتمل بيعها فيه، ومنهم المفوضون ومنهم النساء الدلالات^(٣) .

ينادي الدلال على السلعة ليتم بيعها ، وكان المشترون يرون في السلعة التي يروج إليها الدلال أقل ثمنا من التي في الحوانيت (الدكاكين) وأرخص سعرا فيميل إلى الشراء من الدلال^(٤) ، وبعض التجار من يتعرضون للإفلاس يعملون كدلالين ، وقد عمل في سوق مراکش دلال كان تاجرا في فاس وعند تعرضه للإفلاس عمل كدلال^(٥). وكان يوجد بفاس زقاق للدلالين ، وقد وصل عددهم لسبعين دلالا ، وكانوا يأخذون فلسا واحدا تقريبا عن كل درهم من مبيعاتهم^(٦). وكان دلالوا الأقمشة والمنتجات الجلدية هم الأكثر عددا عن الباقيين^(٧). وكان عليهم حمل السلع من دكان إلى آخر ، وعرض البضائع المعهودة إليهم بها والعمل على بيعها ، وكانوا لا يسلمونها إلا للتاجر الذي أعطى أعلى سعرا^(٨) .

وكان التاجر هو من يختار الدلال على أساس أن يكون شخصية تقتض فيه الأمانة ، وكان من المألوف أن يكون للتجار دلالون دائمون يتقنون بهم^(٩) .

ويبدأ العمل بأن يدفع التاجر إلى الدلال بالبضاعة بقصد المزاد ، وكان المشترون يأتون إلى الأسواق ويجلسون في أماكن تتيح للدلالين المرور عليهم والتحرك بسهولة بالبضائع خاصة مع ضيق الأماكن المقام بها المزاد ، وكانت

(١) الونشريسي : المعيار ج ١٠ ص ٤٦٣ وما يليها

(٢) الونشريسي : نفس المصدر ج ٨ ص ٣١٩

(٣) لا يبدو أن اختصاص بعض النساء بهذه المهنة كان يعنى إضطلاعن بمهام مخالفة لما يقوم به الرجال ، كأن يقمن بحمل البضائع إلى المنازل ومباشرة البيع للنساء فقط لأن النزلة المذكورة بينت أن هؤلاء الدلالات كن يعاملن الرجال أيضا .

(الونشريسي : نفس المصدر ج ٥ ص ٢٣٨)

(٤) الونشريسي : المصدر السابق ج ٥ ص ١٩٧

(٥) القادلي : التشوف ص ٤٠٢ وما يليها

(٦) مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٤٩

(٧) الحسن الوزان : مصدر سابق ج ١ ص ٢٣٧ ، روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين

ص ١٥٦

(٨) مارمول كرفجال : المصدر السابق ص ١٥٦

(٩) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ١٥٦

البضائع تقسم إلى مجموعات ليتم بيعها مثل (الجلود الخام التي كانت تباع كل ستة أو اثني عشر معا ، باستثناء جلود الثيران التي تباع بالواحدة^(١) .

وكان على الدلال أن ينادى على أسعار البضائع بصوت مرتفع ، فإذا أبدى المشتري رغبة في الشراء كان على الدلال الذهاب إليه والتأكد من رغبته في الشراء بالسعر المعروض والدفع نقدا ، وعلى المشتري دفع الثمن مضاف إليه أجرة الدلال أو حسب الاتفاق^(٢) . أما إذا أراد المشتري دفع ثمن البضاعة بالأجل فإنه في هذه الحالة يفقد الفرصة من الاستفادة من الخصم الموجود في الدفع الفوري^(٣) وكان هذا هو التقليد المتبع .

أما المزاد فكان يقام في فترات معينة كل يوم لسلع منها (الأقمشة والصوف الخام والمنتجات اللازمة للاستهلاك الدائم) أما البضاعة الأخرى فكان المزاد يعقد مرة أو مرتين أسبوعيا ، وكانت العادة أن يعقد المزاد بعد صلاة العصر^(٤) . على أنه كانت هناك بعض الطوائف التي كانت تتجنب البيع بالمزاد العلني ويلجأون لنظام التعاقد المباشر ، وكان أغلب هؤلاء من العاملين في صناعة البناء .

وهناك الكثير من أساليب الغش التي اتبعتها بعض السماسرة والدلالين ، والتي اختلف فيها الفقهاء منها :

Ahmad Saeed Riz

ما يتعلق بضمان السلع بعد ادعائهم ضياع السلع، أو بضمان ثمنها بعد القبض^(٥) ومما طلة بعضهم عن أداء مغارم السوق^(٦) بقصد اقتسامها مع التاجر وبائع السلعة^(٧) .

أو الاستمرار في المزايدة حتى وإن قبل البائع بثمن أدنى ، وغالب الظن أن الدلال كان يختص هنا بفارق الزيادة أو الاستحواذ على نصف أجرة السلعة التي

(١) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ١٥٦

(٢) الونشريسي : المعيار ج ٥ ص ٢٠٢-٢٢٠ ، ج ٨ ص ٣٥٦-٣٦٣ ، ج ٩ ص ١٢٢

(٣) روجيه لوطورنو : المرجع السابق ص ١٥٧

(٤) الحسن الوزان : مصدر سابق ج ١ ص ٢٣٧-٢٤١ ، روجيه لوطورنو : المرجع السابق ص ١٥٥

(٥) الونشريسي : المعيار ج ٨ ص ٣٦٠-٣٦١ ، أبو عبد الله محمد بن محمد الفاسي (ابن الحاج

الزميري) : المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعيوائد التي

انتقلت وبيان شاعتها وقبحها ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د. ت. ، ج ٤ ص ٤٢

(٦) هي الضرائب المختلفة التي تفرض على تجار بالسوق (عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر

الحضارة المغربية ص ٧٩)

(٧) الونشريسي : المصدر السابق ج ٥ ص ٣٢

تسبب في بيعها ، إذا علم أنها وضعت لدى التاجر أو صاحب حانوت اعتباراً لأعرافهم . في حين أنهم يكتفون من التاجر بإجارة المثل فقط^(١) .

وكان الدلال اليهودي يتواطأ إما على البائع أو المشتري مما جعل الفقيه المغيلي والفقهاء يشنوا حرباً شعواء عليهم ، كما لعب اليهود دور الوسيط أو السمسار^(٢) بين التاجر الوافد وأهل البلاد من المغاربة ، وهذا راجع لمعرفتهم بلغات الشرق والغرب ، ويتحدث ابن الحاج : " عن أن السماسرة أكثر غشاً بالقول من أصحاب السلع وذلك لأنهم يزينون البضاعة في عين المشتري مع درايتهم بعيوبها^(٣) .

ولم تكن فئة الدالين تحظى بالاحترام الكافي لدى الجمهور ، فعدالتهم مشكوك فيها ، ويشتهر في استغراق ذممهم مثلهم في ذلك مثل " الصيارفة والموتقنين والمخزنين "^(٤) والمقصود هنا الموتقون الذين يخرجون في صحبة الجبابة . ولكن الفقيه أحمد القباب دعا إلى تفضي التعميم واعتبر السماسرة مثلهم مثل سائر الحرفيين ، مع الابتعاد عن علم عنه فساد ذمته^(٥) .

ب- الجلاسون :

وهم أصحاب محلات داخل السوق يتم البيع فيها بالمزاد لحساب التجار وخاصة النصارى ، وكان التاجر ينزل عند الجلاس فيتولى ضبط ما جلب وينظر في جميع ما يوظف عليه المخزن - بيت المال - ويأخذ به سلعا ، فيبيعها ويدفع ثمنها للوالي ، وكان الجلاس يتقاضى راتبه من الوالي (جلاس : يطلق على المرتفع والطويل من كل شيء)^(٦) .

وأغلب الظن أن الموحدية أوقفوا هؤلاء الجلاس من العمل في التجارة إذ لا يرد لهم ذكر في العصر الموحد ثم ظهوراً مجدداً في العصر المريني^(٧) ، وليس

(١) الونشريسي : نفس المصدر ج ٥ ص ٢٢٠ ، ج ٨ ص ٣٣٠

(٢) الونشريسي : نفس المصدر ج ٦ ص ١٥٧ ، المغيلي : مصباح الأرواح ص ٢٤

(٣) ابن الحاج : المدخل ج ٣ ص ٧٥

(٤) الونشريسي : المعيار ج ١٢ ص ٦٣

(٥) هو الفقيه أحمد بن عبد الرحمن الجذامي ويعرف بالقباب ، إمام وفقيه تولى الفتيا بمدينة فاس ، وله نوازل مشهورة وكان له مجلس في الحديث والفقه وأصول الدين . توفي بفاس سنة ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م ، أحمد بن محمد المكناسي (ابن القاضي) : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس ، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٣ م ، ج ١ ص ١٢٣-١٢٤

(٦) الونشريسي : المعيار ج ١٢ ص ٦٣ ، الوجيز : ص ١١١

(٧) الونشريسي : المعيار ج ١٢ ص ٤٤ ، عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي ص ٢٨٥

عدم ذكر خبر لهم في عصر الموحدين أن هؤلاء الجلاسين غير موجودين بل موجودين لأن البيع بطريقة المزاد كانت مستمرة في عصر الموحدين.

وقد يتواطأ اليهود مع الدالين على حساب التجار وخاصة الغرباء منهم^(١). وكان الأسوأ سلوكا بين الجلاسين هم باعة (القرق) وهو نوع من الأحذية^(٢). كما وجد المقوم أو "القشاش" وهو متخصص ببيع وشراء الدور وتقدير أسعارها^(٣). وهو من ذوى المعرفة بأمور البيوع بأثمان الوقت، ويحتكم إلى خبرته لتحديد السعر في عقار أو عروض وغيرها^(٤).

ج- الحمالون :

هم مجموعة من الأجراء كانوا يقومون بنقل البضائع من مكان إلى آخر فوق أكثافهم أو على دابة تحمل البضائع^(٥). واستخدمت الأكياس لحماية ثيابهم والحبال لربط البضائع^(٦). وقد فرق البعض بين الحمال أو "الزرزاي" وبين "النقال"، فذكر أن النقل يطلق على حامل الزيت والسمن والعسل والمائعات فقط^(٧).

وكان الحمال يمشى أمام دابته ويده في رسنها (زمام الدابة من أنفها) لينذر الناس، ويحذر العميان، وذوى الحاجة والأعداء ويجب أن يكون للحمالين في كل صناعة موقف معروف لا يتعداه^(٨).

(١) الونشريسي : نفس المصدر ج ١٢ ص ٦٣

(٢) غوستاف لوبون : حضارة العرب، ترجمة محمد عادل زعيتير ، دار أحياء الكتب ، القاهرة، ١٩٥٦م ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦

(٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح ص ٣١١

وقد ظن عبد القادر زمامة أن القشاش هو الوسيط بين البقال والطار فهو يبيع الدقيق والفاكهة وربما أطلقت التسمية أيضا على بائع الأدوات المعدنية والزجاجية . (للمزيد انظر : أسماء الحرف بفاس ، مجلة اللسان العرب ، الرباط سنة ١٩٧٠ م ، ج ١ ، ص ٣١٤)

(٤) الونشريسي : المعيار ج ٩ ص ٦٠١

(٥) الونشريسي : نفس المصدر ج ٨ ص ١٨٤ ، محمد بن احمد التحبيبي (ابن عبدون) : رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥م ، ص ٤١ ، ويذكر الوزان : " أن هذه الفئة قد حصلت من الملوك على امتياز إعفائهم من أي ضريبة أو تكاليف ، كما أنهم لا يؤدون شيئا لأصحاب الأفران مقابل خبز عجينهم . " (الحسن الوزان : وصف إفريقيا ج ١ ص ٢٣٥ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ، ص ١٥١)

(٦) الونشريسي : مصدر سابق ج ٨ ص ١٨٤ .

(٧) عبد القادر زمامة : أسماء الحرف بفاس ص ٣١١

(٨) ابن عبدون : في القضاء والحسبة ص ٤١ ، حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ١٤٦ ، عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ص ٢٦ ، المعجم الوجيز : ص ٢٦٤

د- السقاعون :

كان بالأسواق سقاة يحملون الماء ويسيرونها في الأماكن العامة^(١) على ظهورهم في قرب مصنوعة من الجلد ، وكان السقاة يصبون الماء للزبائن في أكواب لإرواء عطشهم^(٢). وكان على المحتسب أن يحرص على مراقبة نظافة المياه التي يتناولها الناس فوضع السقاة تحت رقابة شديدة^(٣) وكان للسقاة دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية، حيث كانوا وسيلة لنقل الأخبار ونشرها بين الناس^(٤).

د- الموثقون :

كانت مهمة كاتب الوثائق تحرير وثائق التجار والعقود إلى جانب كونهم أعواناً للقاضي ، فكانوا مكلفين بالإشراف على سير الدعاوى^(٥) ويشترط فيهم حسن الخط ، وترتيب اللفظ ، ودراية واسعة في العلم^(٦). وكان بعضهم يعمل متنقلاً ، أي أنهم ينتقلون إلى مختلف الأماكن لصياغة العقود ، إلا أنه كانت لأغليبتهم حوانيت^(٧). وكان للموثقين حوانيت بالقرب من جامع القرويين في فاس مثلاً^(٨).

و- الوكلاء :

أخذ بعض التجار وكلاء للقيام بأعمالهم وخاصة إذا كان هؤلاء التجار فقهاء أو يعملون في مهن أخرى ولا يرغبون في التنقل (من مدينة إلى أخرى)^(٩). وكان

-
- (١) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ٧٤ ، حسن على حسن : المرجع السابق ص ١٤٦ ، عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ، ص ٢٦
 - (٢) روجيه لوطورنو : نفس المرجع السابق ص ٧٤
 - (٣) ابن عبدون : في القضاء والحسبة ص ٣٢
 - (٤) محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، رقم ٢٨ ، الكويت ، ١٩٨٨م ص ٢٠١ ، عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ص ٢٦
 - (٥) ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة ص ١٣
 - (٦) الوثنريسي : المعيار ج ٥ ص ٢٢٠ ، كمال السيد أبو مصطفى : مرجع سابق ص ٨٤ ، عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ص ٢٥
 - (٧) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ٧٤
 - (٨) روجيه لوطورنو : نفس المرجع ص ٧٤
 - (٩) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ، تحقيق احسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت ، ١٩٦٥م ، ج ٤ ص ١٧٩ وما يليها

التعامل بين (التاجر و الوكيل) يقوم على الثقة و اتفاق مكتوب في عقد بينهما^(١) . و يقيم الوكيل في السوق لإتمام العملية التجارية من بيع و شراء لصالح موكلهم^(٢) نظير نسبة محددة من أثمان السلع التي يبيعها الوكيل أو يشتريها^(٣).

ز - الصيارفة :

هم من يقومون باستبدال العملة ، وكان لهم سوق خاص بهم ، وغالباً ما يكون الصيارفة من أهل الذمة خاصة اليهود ، و يقومون باستبدال العملة و عقد الصفقات^(٤) .

Ahmad Saeed Rizq

-
- (١) الوثنريسي :المصدر السابق ج ١٠ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٢ - ٣٣٤ - ٣٣٧ ، عز الدين احمد موسى : النشاط الاقتصادي ص ٢٨١ ، عبد الحميد حمودة : مرجع سابق ص ٢٨
- (٢) مالك بن انس : المدونة الكبرى برواية الإمام سحنون بن سعيد ، ج ١٣ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٣هـ ، ص ٩٣ ، حسين سيد عبد الله مراد : قبائل المصامدة منذ الفتح الاسلامي حتى قيام دولة الموحدين في المغرب ، رسالة دكتوراه ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ص ٣٢٦
- (٣) توفيق سلطان اليوزيكي : النظم العربية الإسلامية ، ط ٣ ، بغداد ، ١٩٨٨م ، ص ٢٥٦ ، صبحي الصالح : النظم الإسلامية ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص ٣٧٩ ، عبد الحميد حمودة : مرجع سابق ص ٢٨
- (٤) أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف : في آداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٤م ، ج ٨ ص ٨٤ وما يليها ، عيسى بن الذيب : مرجع سابق ص ٩٨ ، عيلة محمد سلطان لطيف : مرجع سابق ص ١٢١

الفصل الثالث

الرقابة على الأسواق وإداراتها

- وظيفة المحتسب (الحامل على السوق)
- الحسبة (الحامل علي السوق)
- النظم التجارية
- أنواع السلع (الزراعية- الحيوانية- الصناعية)
- الأسعار (في دولة الموحدين في المغرب الأقصى)
- التسخير والإحتكار
- المكاييل والموازين
- المقاييس
- طرق البيع والشراء
- المنشآت التجارية (الفنادق)

الرقابة على الأسواق وإدارتها

تحت الشريعة الإسلامية على العدل وعدم الغش في كل أمور الحياة ، وخاصة في أمور التجارة من البيع والشراء .

فكثير من آيات القرآن الكريم تحت المسلمين على ذلك ، يقول المولى عز وجل ﴿ وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

وتوجد أحاديث للرسول ﷺ تأمرنا بعدم الغش ، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " من غشنا فليس منا " (٢)

ولهذا حثت الشريعة الإسلامية على أهمية مراقبة الأسواق وضرورة منع الغش والتدليس في الأسواق وفي شتى شئون الحياة.

• الحسبة (العامل على السوق) :

الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله (٣). وقد حرصت الدولة الموحدية على الإشراف على الأسواق الداخلية في جميع مدن المغرب الأقصى . إذ كان المحتسب (الأمين) هو الموظف المسئول عن إدارة

(١) آل عمران ١٠٤

(٢) عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ : مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال : ما هذا ؟ يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يا رسول الله، قال رسول الله : أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس. من غشنا فليس منا. (أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم ، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحكيم ، مكتبة الصفا، ج ١، ص ٥٧)

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ، ص ٤٨٦ (تعتبر الحسبة وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (ابن خلدون: المقدمة ج ١ ص ٣٩٨ - ٣٩٩) وأن يكون فقيها في الدين قائماً على الحق ، نزيه النفس ، عادل ذا أناة عارف بجزيئات الأمور ، ولا تأخذه في الله لومة لائم. (الإمام أبي حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، ضبط نصه وخرج أحاديثه محمد محمد تامر ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة، ٢٠٠٣ ، ج ٢ ص ٣٦) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من خصائص الولاية وأهل الديوان ونحوهم. (أحمد بن تيمية الحنبلي : الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية، تحقيق صلاح عزام ، ط ١ ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٦ م ، ص ١٠٠٩ ، أحمد سعيد المجليدي : التيسير في أحكام التسعير ، تحقيق موسى أقبال ، الجزائر ، ١٩٧٠ م ، ص ٣١ - ٣٢)

الأسواق^(١). وكان له مركزه المرموق بين الموظفين المدنيين ويطلق على صاحب هذه الخطة في المغرب اسم "صاحب السوق" أو "صاحب الحسبة" (الأمين)^(٢). كما يعد ديوان الحسبة من أهم دواوين الدولة ، وقد بين " الجرسيفي " أهمية هذا الديوان إذ قال: " إن ديوان الحسبة من أعظم الدواوين ، وليس بعد خطة القضاء أشرف من خطة الحسبة " (٣) .

وكان اختيار المحتسب يخضع لشروط وضوابط ليس من السهل توافرها في أي شخص. وأورد " السقطي " الصفات التي يجب أن تتوفر في المحتسب ، وما يجب أن يتحلى به منها أن يكون " فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة ليعلم ما يأمر به وينهى عنه " (٤). كما يجب عليه أن يكون رجلاً عفيفاً ورعاً ، عالماً ، نبيلاً عارفاً بالأمور ، وغنياً لا يقبل الرشوة ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل " (٥) . كما ينبغي أن يكون عارفاً بأصناف المعاش وحيل التجار حتى يستطيع بسهولة معرفة الغش والتدليس^(٦)

(١) ألونشريسى : المعيار المعرب ج ١٠ ص ٧٧-٧٨

(٢) أبو الحسن بن عبد الله النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، المسمى كتاب المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٤٨م، ص ٥ . ابن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ترجمة وتحقيق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الاهواني ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت.، ص ٧٢

(٣) عمر بن عثمان الجرسيفي : رسالة في الحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥٥م ص ١١٩

(٤) السقطي : مصدر سابق ، ص ٥-٩ ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ابن الاخوة) : معالم القربة في أحكام الحسبة ، عنى بنقلة وتصحيحة روبن ليون ، مطبعة دار القنون كميريدج ١٩٣٧م ص ٧-١٤

(٥) الشيزرى : كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ٦

(٦) ولقد أوضح " السقطي " أساليب الغش والتدليس التي كانت بالأسواق ، ومنها غش اللحم عند بعض ضعاف النفوس من الجزائريين أو خلط الاسماك البالية بالطازجة ، أو غش اللبن بالماء وغيرها الكثير ، مما جعل الدولة تشدد في عقوبة هؤلاء . (السقطي : آداب الحسبة ص ٣٤-٤٠) كما ذكرت بعض المصادر ظاهرة الرشاوي (البرطلة) قد شاعت أيضاً بين مجموعة من امناء الأسواق الذين كانوا يتولون جباية المكوس أو الضرائب من الباعة والتجار والصناع بالأسواق . ووضعت عقوبات لهذه الأنواع من الغش والتدليس وكانت أشد عقوبة توقع على الصيارفة أو مزوري العملة ، فإذا ظهرت بالأسواق عمالات مزيفة كان على المحتسب العشور على مصدرها ، ومتى وصل إليه أوقع علي صاحبها أشد عقوبة ، فيطاف به الأسواق ثم يسجن بعد ذلك ، ولقد عمل بعض المزيفين على التخلص منها بالرشاوى حتى لا يتعرضوا للعقاب. (ألونشريسى : المعيار ج ٦ ص ٤١٢ - ٤٢٥ ، ج ٧ ص ٣٠٥ ، ج ١٢ ص ٥٨) وقد تشدد ابن عرفة مع مزوري النقود وأفتى فيمن اتهم بذلك أن يخلد بالسجن حتى يموت . وقد أفتى فقيه فاس

الذي يحدث أثناء عمليات البيع والشراء . وقد تعددت الواجبات التي تكفل بها ، وقاعدتها الشرعية هي تحقيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أسواق المدينة ، فهو يشرف على المكايل والموازين ويمنع ويؤكد على جودة السلعة المنتجة^(١). فكان على المحتسب النظر في الاسواق كترتيب الصنائع في الاسواق الكبيرة ، وتنظيم الحرفيين من التجار في طوائف ، وفي ذلك يقول ابن عبدون : " يجب على المحتسب أن يرتب الصنائع ويجعل كل شكل مع شكله في موضع معلوم "^(٢). كما كان يتولى مراقبة الطحن والخبز ، فعليه التأكد من نوعية الدقيق حتى لا يخلط الجيد بالرديء ، وكذلك التأكد من نظافة الطحانين ونظافة أوانيهم^(٣) ، وكذلك الخبازين وأوانيهم . كما يأمر صاحب المخبز أن يكون وزن الخبز صحيح والسعر معلوم^(٤).

أما باعة اللحوم فلا يسمح لهم الجمع بين نوعين من اللحم في دكان واحد حتى لا يختلط الأمر على المشتري . وكان المحتسب يمر على دكاكينهم ويتفقد الأوزان وما يبيعون من بضاعة ولم يكن من المسموح ذبح الحيوانات في دكاكين الجزارة ، بل كان يتم ذبحها وسلخها في مسلخ يقع بجوار النهر ، ثم تحمل إلى الدكاكين بواسطة الحمالين . وكان على الجزار قبل أن ينقل اللحم أن يعرضه على المحتسب الذي يقوم بفحصه وتحديد سعره بوضع بطاقة عليها السعر ويلتزم البائع بعرضها حتى يراها الجميع^(٥) . كذلك ألمح الونشريسي إلى وجود التسعير في الأسواق المغربية ، فيذكر أن المحتسب هو الذي يتولى تسعير الخضر والفاكهة في الأسواق ، وعلى أصحابها الالتزام بهذه الأسعار . فقد جرت العادة أن يشتري الباعة هذه المنتجات الزراعية من الجلاب أو أصحاب المزارع والبساتين دون سعر محدد ، فيقوم صاحب السوق بتحديد

عيسى بن أحمد الماواسي بنفس فتوى ابن عرفة . (الونشريسي : نفس المصدر ج ٦ ص ٤٠٧ ، ٤٦١ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ص ٥٠٢ ، أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد المديوني (الحكيم) : الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٦ م ، ص ٩٦)

(١) ابن خلدون : المقدمة ج ٢ ص ٥٧٦-٥٧٧

(٢) ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة ص ٤٣

(٣) السقطي : آداب الحسبة ص ٣١

(٤) السقطي : نفس المصدر و الصفحة ، ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة ص ٤٨

(٥) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ٢٣٧ ، الونشريسي : المعيار ج ٥ ص ٨٥

أسعارها بعد أن يعرف قيمة ما اشتروه^(١) . وأشارت كتب الحسبة إلى القواعد الصحية التي يلتزم بها الطباخون في الأسواق ، فعلى المحتسب التأكد من صلاحية اللحوم وأنواع الدهون ، كما عليه التأكد من عدم استخدام الأواني النحاسية إلا بعد أن يتم طلائها بالقصدير^(٢) . كما كان على المحتسب متابعة نظافة الأسواق ، فيمنع الجزارين من المشي باللحم في الأسواق إلا أن تقطع رؤوس الضأن حتى لا تضر بثياب الناس وتلوثها عند الازدحام^(٣) ويمنع طرح القاذورات في الأسواق أو إيقاف الدواب بالحطب في الأزقة^(٤) . كما كان من واجباته الالتزام بتطبيق الآداب العامة ، فقد كانت للأسواق آدابها ، ومع ذلك فإنها لم تخل من المنكرات بسبب الزحام واختلاط الرجال والنساء في مواقف البيع لهذا جعل المحتسب للنساء مكانا خاصا^(٥) . كذلك كان على المحتسب أن يمر على صاحب الدكان فيسأله عن الأحكام التي ينبغي أن يعرفها مما يخص بضاعته ، وعن الأبواب التي يدخل منها المنكر ، والربا على بيعه وشرائه ، فإن جهل منه من ممارسة مهنته^(٦) . وكان له دور مباشر في الإشراف على الأماكن المخصصة للبهائم في الأسواق^(٧) . فضلا عن دوره في فض النزاعات والحكم بين أهل الصناعة الواحدة وبين الصناعات المختلفة ، وهو في هذا كان يحتاج إلى خبرة ، الأمر الذي يدفعه إلى الاستعانة بذوي الخبرة في تلك الأعمال^(٨) علاوة على مراقبته للحرف^(٩) .

(١) كمال السيد، أبو مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية ١٩٦٦م ص ٧٣

(٢) ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة ص ٤٥ ، النباهی : كتاب المرتب العليا ص ٥

(٣) ابن عبدون : نفس المصدر ص ٤٧ - ٥٧ ، لشيزري : نهاية الرتب ص ٢٨ - ١١٠ ، عيسى بن الذيب : مرجع سابق (رسالة ماجستير) ص ١٠٦

(٤) ابن عبدون : نفس المصدر السابق ص ٣٨ ، ٥٥

(٥) الونشريسي : المعيار ج ٢ ص ٥٠٠ ، محمد المنوني : خطة الحسبة في المغرب (من كتاب الفقيه المنوني أبحاث مختارة) منشورات وزارة الثقافة ، الرباط ٢٠٠٠م ص ١٨٦

(٦) ابن الحاج : المدخل ج ٣ ص ٧٧

(٧) ابن الحاج : نفس المصدر ص ١٢٦

(٨) موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها ، الشركة الوطنية الجزائر ١٩٧١ ص ٥٧

(٩) لويس ماسينيون : الهيئات الحرفية والمهنية الإسلامية ترجمة أكرم فاضل مجلة المورد ، العدد (٣) بغداد ١٩٧٣م ج ٢ ص ١٣

وقد كان للمحتسب أعوان في الأسواق ليعرف أخبار السوق^(١) . وللمحتسب النظر في صحة النقود المتعامل بها ، فإذا وجد درهماً مزوراً أو مخلوطاً بالنحاس ، عليه أن يبحث عن أحدثه حتى يعاقبه^(٢) . كذلك كان على المحتسب أن يمنع الاحتكار ، ويقوم بتقدير الأسعار والإلزام بها فالتسعير واجب ، حتى لا يرفع التجار الأسعار ، ويؤثر ذلك على عامة الناس^(٣) .

وكان يطلق على المحتسب^(٤) في عصر دولة الموحدين اسم "الأمين" حيث كان المنصور الخليفة الموحدي ، يأمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وأحكامهم^(٥) .

وكان لفظ المحتسب يطلق في عصر الموحدين على العيون التي ترسل لمعرفة أخبار الأعداء ويراقبوا الثغور^(٦) . أما مراقب السوق فكان يطلق عليه " أمين السوق " أو صاحب السوق ويعاونه أشياخ الحضر^(٧) .

وكان لأمناء الأسواق زى خاص بهم يميزهم عن غيرهم . ويختلف زى الأمناء من مدينة لأخرى . كذلك التزام الأمناء في أيام الموحدين بتحصيل الضرائب من التجار في الأسواق^(٨) . وكان عليهم تنظيم الحرفيين والتجار في طوائف على رأس كل منهم عريف مسئول عن كل ما يحدث في جماعته طبقاً للقواعد التجارية والأعراف المستقرة^(٩) .

(١) ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة ص ١٢

(٢) يحيى بن عمر : النظر والأحكام في جميع أحوال السوق ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، راجعه فريحات الدشراوي ، تونس ، ١٩٧٥ م ، ص ٣٣

(٣) يحيى بن عمر : نفس المصدر ص ٤٠ - ٤١

(٤) المحتسب : في دولة الموحدين أطلق على العين التي تسبق الجيش في دخول المدينة أثناء حروبهم مع المرابطين فقد ذكر ابن القطان في نظم الجمان أن الخليفة "عبد المؤمن بن علي" عين خمسين رجلاً محتسباً وأمرهم أن يسبقوا إلى الفج (الطريق بين جبلين) وكان هزرجة هموا بالغدر ، وخاف أن يسبقوا إليه فسبق المحتسبون إليه ، وسلموا من عدوهم .

(ابن القطان : نظم الجمان ص ١٢١ ، معجم لغوى الرائد ص ٦٨٨)

(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٦٢

(٦) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٢١

(٧) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٦٢

(٨) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص ٤٧٤ ، ٤٨١ ، ٤٨٢

(٩) المجلدي : التيسير في أحكام التسعير ص ٥٦

• النظم التجارية :

النظام التجاري هو شراء الرخيص وبيعه بأغلي لتحصيل فائدة أو ربح وهذا يكون بالتخزين في حوالي (تغير الأسواق) أو بالنقل من مكان الوفرة والسعر الرخيص الي مكان الطلب والسعر الغالي ، أو بالاحتكار ويتم هذا من خلال نظام حر حرية التجارة أو نظام مفيدة التجارة الموجهة أو المقيدة ويتأثر هذا بسياسة الدول وتوجهاتها من ناحية ومرجعياتها الموجهة لها دينية أو قانونية أو غير ذلك .

- أنواع السلع :

تنوعت أنواع السلع في المغرب الأقصى بين سلع زراعية تتمثل في الحبوب ، وأشجار مثمرة ، وأعشاب برية ، وأشجار طبيعية ، ومنتجات زراعية وصناعية . و سلع حيوانية تتمثل في حيوانات وجلود ومنتجات الألبان ولحوم . و سلع بحرية تتمثل في الأسماك ومنتجات بحرية مختلفة . و سلع صناعية مختلفة تتمثل في منتجات غذائية ومنسوجات وصناعات أخرى^(١) وتوزعت السلع في مدن المغرب الأقصى حسب موقع كل مدينة .

Ahmad Sàeed Rizq : (١) السلع الزراعية :

كانت الفواكه والحنطة والزبيب تأتي من نفيس^(٢) إلى مدينة مراكش وكذلك يأتي النبق لمدينة مراكش من قرية غفسيق^(٣) . وكانت دكالة^(٤) تمتد مراكش بسلع زراعية مختلفة . وقد أشار صاحب الحلل الموشية بذلك فقال " نفيس جنانها وبلاد دكالة فدائها"^(٥) . أما مدينة فاس فقد تنوعت فيها السلع الزراعية ، فكانت الحبوب

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٩-٢٤٥

(٢) نفيس : مدينة صغيرة تقع غرب مدينة أغمات في الطريق إلى السوس الأقصى واسمها من اسم قبائل نفيس وبها جبل نفيس أيضاً . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٩)

(٣) غفسيق : تقع في شمال غرب مدينة مراكش في بداية طريق بين مراكش ومدينة سلا على ساحل المحيط الأطلسي . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٦)

(٤) دكالة : تقع شمال غرب مراكش . بين نهر تانسيفت غرباً ، والمحيط شمالاً ، جنوبها نهر أم الربيع . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ١٠٦-١٥٧)

(٥) مجهول : الحلل الموشية ص ١٥-١٦

الجيدة مثل القمح والشعير^(١) ، وقد مدت منطقة أزغار^(٢) وبني مود^(٣) بغلالت القمح^(٤) . وكذلك أشجار الفاكهة والكروم وأشجار الزيتون والقطن والكتان^(٥) والخضروات وأنواع البقول^(٦) . ويوجد الغابات بالقرب من فاس التي تتوفر فيها أشجار التينوبوط والأرز^(٧) والتي يستخرج منها أخشاب عالية الجودة . وكذلك شجر التوت والجوز والعناب والليمون^(٨) والأزهار والرياحين المغروسة بهذه الجنات كانت تقطف وتباع بدكاكين خاصة داخل المدينة ، حيث يكثر الإقبال عليها^(٩) ونباتات برية مثل "بـ سعوط الدواب"(النشوق) ويسمى عند العامة "بتغيشت" ويستخدم في تنظيف الصوف

- (١) البكري : المسالك والممالك ج ٢ ص ٧٩٦
 (٢) أزغار : هي منطقة من أقاليم فاس تنتهي في اتجاه الشمال على المحيط الأطلسي وتنتهي غرباً عند نهر سبو، وفي الشرق عند جبال غمارة. (الحسن الوزان: نفس المصدر ص ٣٠١)
 (٣) بنو مود : منطقة أيضاً بإقليم فاس لا يفصلها عن مدينة فاس سوى النهر . (مارمول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ٢٥٦)
 (٤) الحسن الوزان : نفس المصدر ص ٣٠١ ، مارمول كرفجال : نفس المصدر ج ٢ ص ٨٦ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
 (٥) الناصري : الاستقصا ، ج ٢ ص ١٢٧-١٢٨ المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ٣٧٨ ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان المكناسي (ابن غازي) : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٤م ، ص ٧ ، مارمول : نفس المصدر ص ١٦٢
 (٦) العمري : مسلك الأبصار ص ١٢٨ ، الجزائى : جني زهرة الآس ص ٣٦ ، الحسن الوزان : نفس المصدر ص ٢٨١
 (٧) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٣٥-٣٦ ، ١ ، الجزائى : نفس المصدر ص ٣٥ ، ابن القاضي المكناسي : جذوة الاقتباس ج ١ ص ٤٤
 (٨) يصنع القباقيب التي ينتعلها الأعيان عندما تكون الأزقة موحلة من خشب التوت الأسود أو الأبيض ، وقد تصنع من الخشب الجوز والليمون والعناب . والقباقيب المصنوعة من هذين النوعين الآخرين من الخشب أكثر جمالاً وأناقة، لكن التي تصنع من التوت تدوم مدة أطول. (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ٢٤٣-٢٤٤) ولهذه الأخشاب مردود اقتصادي هام لدخولها في العديد من الصناعات الخشبية التي انتشرت في فاس . (حسن على حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٣٤٩ ، العمري : وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني ص ١٤١ ، مارمول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ١٥٣-١٥٤)
 (٩) يوجد قرابة عشرين دكاناً لبائعي الأزهار قريباً من الباب الرئيسي لجامع القرويين في الجهة الغربية ، يبيعون الليمون والحامض أيضاً . وعندما ترى كل هذه الأزهار الكثيرة الأنواع تخالك تشاهد أجمل المروج وأكثرها نظرة في العالم . (الحسن الوزان : نفس المصدر ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٤٨ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٤٤)

من الأوساخ^(١). وتتوعد في مدينة سلا السلع الزراعية بين الفواكه والكروم والغلات^(٢) وكذلك في مدينة مكناس تتوعد الفواكه والتي والعنب والزيتون والحبوب (الحنطة والشعير والفل) ^(٣) ، و يزرع القطن في مدينة داي ^(٤) ، ومن أفضل أقطان المغرب قطن مدينة تادلة^(٥). أما في قرية أم الربيع شمال مدينة مراكش فيزرع القمح والكمون والقطن^(٦). وتمتاز أغمات بفواكهها الشتوية والصيفية المشهورة في المغرب الأقصى^(٧). أما في منطقة السوس الأقصى تتنوع الفواكه ، وقصب السكر الذي لا

(١) أبو القاسم بن محمد بن ابراهيم الغساني : حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار ، تحقيق محمد العربي الخطابي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ١٤٩ ، المعجم الوجيز : ص ٣١١

(٢) سلا : من أعمال بلاد المغرب ، في جنوب المغرب في طرف السودان ، وقد بنيت سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م وهي عبارة عن مدينة سهلية أرضها سبخة وهي محاطة بسور بناء اليسع أبو منصور بن أبي القاسم من ماله الخاص في سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م بينها وبين مراكش على ساحل البحر تسع مراحل ، وهي مدينة ليا أسواق نافقة وتجارات ودخل وخرج ، ولأهلها سعة أموال ، والطعام بها كثير رخيص جداً وبها كروم وغللات وبساتين ، وهي مدينة لها ميناء تقصده مراكب أهل اشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقلعون عنها ويحطون بها بضروب من البضائع ويقصدها أهل اشبيلية بالزيت الكثير ويجهز منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية، وهذه التجارة مع النصرى تحقق لأهل المدينة أرباحاً ضخمة ، وللهؤلاء التجار مخازن سواء في فاس أو مالا . (الحميري : الروض المعطار ص ٣١٩ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٥ ، مجهول : الاستبصار ص ١٤٠ ، الحسن الوزان : وصف إفريقيا ج ١ ص ٢١٤)

(٣) قد ذكرت في الفصل الثاني في الهامش ص ٧٤ عن مكناس ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤٠ ، ٢٤٥

(٤) داي : مدينة تقع شمال شرق أغمات تقدر المسافة بـ أربعة أيام (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤١)

(٥) تادلة : تقع شمال داي بينهما مرحلة . وقطنها من أفضل أنواع القطن في المغرب الأقصى ويصنع منه ملابس ببلاد المغرب الأقصى (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤١)

(٦) أم الربيع : على واد كبير جارى تدخله المراكب من المحيط الاطلسي شمال مراكش . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٧)

(٧) أغمات: ذكرت في التمهيد من البحث ص ٢٦ ليس بالمغرب فيما زعموا بلد أجمع لأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظاً منها ، تجمع بين فواكهة الصرود والجروم (الصرود: البرد ، الجروم : الحر) فواكهة حارة وباردة شتوية وصيفية . (ساقوت الحموى: معجم البلدان ١/ ٢٢٥ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٠-٢٣٣ ، ابن منظور : لسان العرب ج ١٤ ص ٣٥٧-٣٦٢

يوجد له مثيل في المغرب الأقصى ، والحبوب القمح والشعير والأرز^(١). وقد أمتازت منطقة سجلماصة بالثمر الذي لا يشبه بعضه بعضاً ، ورطب يطلق عليه البرنى ، والقطن والكمون والكراوية والحناء التي تصدر لسائر بلاد المغرب ، وأنواع مختلفة من الزبيب^(٢). أما منطقة الدرعة فانتجت التبله والحناء^(٣). ولما كانت التجارة مرتبطة بالنشاط الزراعي ، فقد تأثرت بالتقلبات التي تحدث بالأسواق داخل المدن المغربية فترتفع الأسعار وفي نهاية الموسم الزراعي عندما يكون الدخل متوفراً لدى الفلاحين بعد بيع منتجاتهم^(٤) كذلك تنخفض الأسعار في نهاية الربيع أيضاً حين يكون الفلاحون قد استهلكوا المال السنوي الموفر ، وهم ينتظرون بيع المحصول قبل أن يبدأوا بالشراء.

٢) السلع الحيوانية :

تنوعت السلع الحيوانية بين الجلود واللحوم ومنتجات الألبان ولقد أهتم أهل المغرب الأقصى بالخيول والإبل وذلك لأن المغرب الأقصى ينتظمون في قبائل . " وجل أموال القبيلة الخيل والإبل " ^(٥). وفي مدينة مراكش خصصت أسواق لبيع الماشية من

(١) السوس الأقصى: ذكرت في التمهيد من البحث ص ٢٣ الهامش . توجد في منطقة السوس أنواع مختلفة من الجوز والتين والعنب العذاري والسفرجل والرمان الإمليس والشمش والتفاح المهند وقصب السكر الذي ليس على قرار الأرض مثله طولاً وعرضاً وحلاوة وكثرة ماء ، ويصنع منه السكر وهو يساوي السكر السلیماني والطبرزد ، بل يشف على جميع أنواع السكر في الطيب والصفاء . (الادريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٧)

(٢) سجلماصة : مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب وهي في منقطع من جبل درن ، وهي في وسط رمال كرمال زرود ... يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونخيلاً مد البصر ، وعلى أربعة فراسخ منها رستاق يقال له تيومتين على نهرها الجاري فيه من الاغراب الشديدة الحلاوة مالا يحد وفيه ستة عشر صنفاً من التمر ما بين عجوة ودقل ، وأكثر أقوات أهل سجلماصة من التمر وغلثهم قليله ... " (ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٩٢/٣ ، الادريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٥-٢٢٦ ، البكري : مصدر سابق ص ١٤٨ "وقد انتجت سجلماصة ثمار شجرة (التاكوت) الذي يدخل في صناعة الدباغة" . (البكري : المغرب ص ١٥٢ ، روجيه لوطورنو : فاس في عصر بنى مرين ص ١٤٨ - ١٤٩ ، محمد عيسى الحريري : مقدمات البناء السياسي للمغرب الاسلامي الدولة الرسمية ، دار القلم الكويت ١٩٨٣ ، ص ٢٠٩

(٣) الدرعة: قد ذكرت في التمهيد ص ٢٣ الهامش ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ٤٩٢ ، الحميري : الروض المعطار ص ٢٣٥-٢٣٦ ، ابن سعيد : الجغرافيا ج ١ ص ٢٦

(٤) روجيه لوطورنو : نفس المرجع ص ٥٥

(٥) روجيه لوطورنو : نفس المرجع والصفحة

أبقار وإبل وأغنام وكذلك منتجات الألبان^(١). ولوقوع المغرب الأقصى على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، فقد تنوعت الأسماك كالدينيس والبوري والسنياخ والبقوة والشابل والقرب والشولي^(٢) وقد توفرت أسواق الأسماك في مراكش^(٣). أما فاس فقد زخرت بثروة حيوانية ففي إقليم تامسنا أراض لتربية الإبل والماشية حتى أطلق على هذه المنطقة اسم الشاوية^(٤). فقد اهتم أهل المغرب الأقصى من الفئات الغنية علي إماء ثرواتهم منها فاهتموا بالغنم والبقر والإبل ، في حين أن الفئات الفقيرة عنيبت بتربية الدواجن^(٥).

وأما الإبل فقد احتلت مكانه خاصة بوصفها واسطة نقل رئيسية ، خاصة مع انتشارها أصلاً في المغرب الأقصى^(٦) وكانت مراعى الإبل خاصة لها ، فنجد في فاس مراعى الإبل خارج باب الفتوح^(٧) فضلاً عن رواجها كصنف من الهدايا إلى الملوك والهيئات^(٨).

أما الغنم فكان كثير واشتهر في المغرب الأقصى فقد وصف ابن بطوطة في رحلته إلى مدينة القرم التي زارها بقوله : " والخيل بهذه البلاد كثيرة جداً وثمنها نذر

Ahmad Saeed Rizq

- (١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٧٥-١٧٦
- (٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٣٥-٣٦ ، الجزائى : جنى زهرة ألاس ص ٣٩
- (٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٢٥
- (٤) الشاوية : نسبة لتربية الشاء والمواشي . (ابن خلدون : المقدمة ج ٢ ص ١٢ ، ج ٧ ص ٣٤٥-٣٤٦) وقد كان لجلود المغرب الأقصى شهرة ومنها الجلود اللطيفة (اللط أو اللمت) هو حيوان يشبه الثور في شكله لكنه أصغر حجماً يميل لون جلده إلى البياض وتصنع من جلده تروس صلبه جداً بحيث لا يخرقها شيء ، وتباع هذه التروس بأثمان باهظة . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ٢ ص ٢٦٣)
- (٥) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٨٩
- (٦) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٧ - ٩٨
- (٧) عبد العزيز بن عبد الله : الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية ، الطبعة الأولى ، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية ١٩٧٥م ج ٢ ص ١٧٩
- (٨) ابن الخطيب : الإحاطة ج ٤ ص ٢٢٤ - ٣٢٤ . المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٤١م ج ٢ القسم الثاني ص ٤٤٧-٤٤٨ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح ص ١٩٢

... وهى ببلادهم كالغنم ببلاطنا^(١) وقد ذاع صيت نوع من أنواع أغنامهم في أوروبا باسم المرينو^(٢) .

ولقد اهتم أهل المغرب الأقصى بصيد الأسماك ، فكانوا على دراية بمواعيد صيد الأسماك التي تبدأ في أكتوبر ، وتنتهي في أواخر ابريل^(٣) . ولقد انتشر أكل وبيع الجراد في بلاد المغرب ، فكان يباع في مراكش في اليوم الواحد ثلاثين حملاً من الجراد^(٤) وقد انتشرت تربية النحل في المغرب الأقصى فكان العسل يعد من الأغذية الرخيصة في المغرب الأقصى^(٥) ولاسيما أن شيوع العسل كانت من الأسباب التي قللت من استخدامهم للسكر وعزوفهم عنه إلا لظروف خاصة^(٦) . كذلك وانتشرت منتجات الألبان والدهون في المغرب الأقصى واللحوم^(٧) .

٣) السلع الصناعية :

تنوعت السلع الصناعية بين منتجات غذائية ومنسوجات ، وصناعات أخرى . ولقد أسس الموحدون قاعدة صناعية كبيرة في المغرب الأقصى ، وإن تركزت القاعدة الصناعية في مدينة فاس لتاريخها وموقعها بين مدن المغرب الأقصى . ولقد تركزت الصناعة في ثلاث مناطق في فاس : المنطقة الاولى في شمال فاس حول باب جيسة ، والثانية في جنوب فاس حول باب الفتوح ، والثالثة في وسط فاس على جانب النهر ، هذا عن الصناعة . وكانت توجد صناعات أخرى في المغرب الأقصى منتشرة في مختلف مدنه مثل الحياكة وصناعة الأحذية ، والحدادة والصياغة^(٨) .

(١) القرم : بكسر القاف وفتح الراء ، مدينة كبيرة حسنة في صحراء قفجق ببلاط الأتراك .

هذه الصحراء أن نباتها يقوم مقام الشعير للدواب ، وليس لغيرها من البلاد هذه الخاصية ، ولذلك كثرت الدواب بها . ودوابهم لا رعاة لها ولا حراس . (ابن بطوطة:تحفة النظار ص ٣٢٥-٣٢٧)

(٢) أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ١٩٨٤م ص ٣٣٩-٣٤٠

(٣) ابن بطوطة : تحفة النظار ص ٣٦٨

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٥

(٥) ابن بطوطة : مصدر سابق ص ٦٥٨

(٦) العمري : مسالك الإبرار ص ١٢٨

(٧) ابن الخطيب : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ص ٣٠٨-٣٠٩

(٨) تسمية باب الفتوح وباب عجيسة : يعتبر باب الفتوح من الأبواب التاريخية الرئيسية لمدينة فاس وهو يقع بالسور الشرقي لعدوة الأندلس . حول ظروف تشييده تشير الرواية التاريخية إلى أنه

فكان في فاس ثلاثة ألف وأربعة وتسعين دار لصناعة الأطرزة ، وسبعة وأربعون دار لصناعة الصابون ، وستة وثمانون دار للدباغة ، ومائة وستة عشر دار للصباغة ، واثنا عشر دار لسباكة الحديد والنحاس ، وأحد عشر دار لصناعة الزجاج ، ومائة وخمس وثلاثون من كوش الجير ، وألف مائة وسبعون فرنأ لصناعة الخبز ، وأربعمائة من أحجار صناعة الكاغد (الجلد) ، أما صناعة الفخار فكانت خارج المدينة وتصل إلى مائة وثمانين داراً^(١) ، ولقد تنوعت السلع الصناعية وذلك لتوفر المواد الخام اللازمة للصناعة سواء الزراعية (القطن ، الكتان ، زيت الزيتون وغيرها) والحيوانية (الجلود المستخدمة في الدباغة وغيرها)

أما الصناعات المعدنية ، فقد نالت قسطاً كبيراً من الرواج لوفرة المواد الخام مثل الحديد ، والنحاس ، والفضة ، والتوتيا التي يصبغ بها النحاس الأحمر ليتحول إلى نحاس أصفر^(٢) والملح الذي يستخرج كغيرة من المعادن ، وكذلك مادة الرصاص^(٣) والقصدير ، وتوفر المواد الخام اللازمة في صناعة مواد البناء^(٤) وصناعة أدوات الزينة من الأصداغ الثمينة^(٥) وصناعة الأخشاب التي تطورت لتوافر الأخشاب التي

بعد وفاة الأمير المغراوي دوناس بن حمامة سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م ، عين ابنه الأكبر أميراً على المدينة واتخذ عدوة الأندلسيين مقراً له وأسند تسيير شئون عدوة القرويين إلى أخيه الأصغر عجيسة . لكن طموح هذا الأخير دفعه لإعلان الثورة على الفتوح مستفيداً في ذلك من استقلال العدوتين بعضهما عن بعض . وأمام احتدام الصراع بين الأخوين قام الأمير الفتوح بتشييد قلعة وباب كبير حمل منذ ذلك الوقت اسمه . وردا على ذلك قام عجيسة ببناء قلعة وباب بعدوة القرويين عرف منذ ذلك باسم باب عجيسة (باب جيسة حالياً) . (القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٣٥ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٣٩-٤٠ ، ابن القاضي: جذوة الاقتباس ج ١ ص ٢٢ فنان عبد القادر : أسوار مدينة فاس ، أصالة أم حاجز . مجلة كلية الآداب بفاس العدد الخاص ١٩٨٥ ص ٨٨)

- (١) الجزنائي : زهرة الآس ص ٣٣ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٦٥ ، عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٦٢ ، عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي ص ٢١٦
- (٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٦٢ ، البكري : المغرب ص ١٥٢ وفي مدينة داي بها معدن النحاس الخالص الذي لا يعدله غيره من النحاس بمشارك الأرض ومغاربها وهو نحاس حلو لونه الى البياض يتحمل الترويج ويدخل في لحام الفضة وإذا طرق جاد ولم يتشرح كما يتشرح غيره من أنواع النحاس . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤١)
- (٣) قد استعمل الرصاص في صنع قوادرى الماء . (ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٦٤-٧٠)
- (٤) الجزنائي : زهرة الآس ص ٢٥ ، حسن على حسن : الحياة الاقتصادية والإدارية والاجتماعية في المغرب الأقصى ص ٢٩٣
- (٥) الجزنائي : نفس المصدر ص ٢٥ ويذكر ابن أبي زرع أن الحبة من هذه الأصداغ كانت تباع بمقال أو أقل أو أكثر من الذهب . ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٤٥

استعملت في بناء المنازل والسفن ، ولتوفر الغابات في المغرب الأقصى^(١) . وكان يصنع من الأخشاب أنواع فتل الحرير وغزل الصوف وأفلاك المغازل^(٢) . وكذلك صناعة المحاريث وعجلات العربات وعجلات الطواحين وروافع المياه وصناعه المكايل الخشبية لكيل الغلال^(٣) وصناعة نواعير السياه^(٤) .

ولقد انتشرت في المغرب الأقصى صناعة النسيج ، فقد ازدهرت صناعة (الملابس) الثياب ، وقد شملت طائفة صانعي الثياب عدة حرف تقوم على تحويل المواد الخام إلى ملابس قطنية وصوفية وكتانية ، وغيرها من أنواع الملابس^(٥) .

(١) الجزنائي : نفس المصدر السابق ص ٢٦ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٤٦-٤٧-٥٧ وكانت تصنع السقوف والأبواب من شجر الأرز فهو أكثر استعمالا ، وكان يستعمل في بناء السقوف للدور التي يتعدد طوابقها ، ويعمر العود منه في سقف البيت ألف سنة لا يعفن ولا يسوس ولا يعتريه شيء ما لم يصيبه الماء . (ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٤٣) ويتحدث العمري عن أهل فاس بأنهم لهم اليد العليا في صناعة المخروطات من الخشب والنحاس. (العمري : مسالك الإبصار ص ١٩) ولقد تعددت تخصصات تصنيع الخشب فقد تفرعت في تصنيع الخشب التزويق (تحسين وتزيين) والجمع تزويق ، والأصل فيه هو أن يجعل التزويق مع الذهب فيطلى به الشيء المراد تزيينه ثم يلقى في النار فيطير الزاويق ويبقى الذهب ثم توسعوا فيه حتى قالوا لكل منقوش (مزوق) والخراطة ، فقد اشتهرت المخروطات الخشبية . (المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٠٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٧٥ ، العمري : وصف المغرب أيام السلطان أبي حسن المريني ص ١٤١)

(٢) عبد الأحد الرايس : الفوائد التاريخية لتصنيف النباتات بفاس " من خلال كتاب حديقة الأزهار " لأبي القاسم الغساني (القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي) مجلة التاريخ العربي ، العدد ١٨ ، ربيع ٢٠٠١ م ، ص ٣٣

(٣) مارمول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ١٥٣ - ١٥٤ ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٢٣٨ ، العمري مسالك الإبصار ص ١١٦ ، ١١٧

(٤) العمري : نفس المصدر ص ١١٦ . إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن الحاج النميري : فيض العباب وإفاضة قداخ الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، دراسة واعداد محمد بن شقرون ، دار الغرب الاسلامي ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٩٠ م ، ص ٢٢-٢٤ ، إبراهيم حركات : الحياة الاقتصادية في العصر المريني ، مجلة كلية الاداب ، عدد (٣ ، ٤) ، الرباط ، ١٩٧٨ م ، ص ١٣٢-١٣٣

(٥) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي بيروت ١٩٧٠ ص ١٤٠، الجزنائي: جنى زهرة الآس ص ٩٦ وقد ذكر المشرف على بن عمر الأوسى نقلا عن مشرف فاس أيام المستنصر الموحدى تلك المنشآت مع غيرها قد تعرضت الى النهب والتخريب إبان الاضطرابات سنة (٦١٨-٦٣٧ هـ / ١٢٢١-١٢٣٩ م) (ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٤٨) قد أورد أن عدد دور النسيج ٣٠٩٤ علاوة على المواضع المعدة لنسج الغزل . (الجزنائي : مصدر سابق ص ٤٤)

ولقد كانت الدور الخاصة بالحياسة تستقبل ما يرد عليها من قطن وكتان خام وحرير ، وتقوم بتصنيعه بعد أن يمر بعمليات مختلفة إلى أن يأخذ شكل خيوط متعددة الألوان ومتفاوتة الجودة ، قابلة لنسجها حسب رغبات التجار والزبائن .

ولقد اهتم الموحدون بصناعة الورق في مدن المغرب الاقصى^(١) والصناعات الحربية^(٢) . والوانى المنزلية . فقد تقدمت صناعة المعادن المختلفة ومنتجات كالسروج الذهبية المرصعة بالجواهر ، والسيوف المحلاة بالجواهر واللؤلؤ^(٣) . وقد كان للصناع اليهود شأن كبير في المجال الصناعي ، وذلك لإستثمارهم ببعض الصناعات منها صناعة القناديل والحلى والمجوهرات ، وكذلك احتكروا صناعة المماشط لتمشيط الصوف^(٤) وكان لكل فرقة من الصناع والتجار رؤساء يختارونهم من بينهم ويطلقون عليهم " الامناء "^(٥) يتم انتخابهم من بين ابناء الحرفة بناءً على مواصفات فنية وأخلاقية في حفل يجرى خصيصاً لذلك الغرض ، كما يتم انتخاب نائب عنه يتولى دور الأمين في حالة عزله أو وفاته وفي أى ظرف طارئ^(٦) .

— الأسعار :

ولما كانت الأسواق كلها تشتمل على حاجات الناس ، تدخلت عوامل كثيرة على الأسعار في مدن الدولة تؤثر فيها بسبب الارتفاع والانخفاض . ويذكر ابن خلدون^(٧) :

(١) محمد المنوني : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ط ٢ ، مطبوعات دار المغرب ، الرباط ، ١٩٧٧م ، ص ٢٥٦-٢٨٧ . لقد كان في أيام المنصور والناصر من سنة (٥٨٠-٦١٠هـ / ١١٩٤-١٢١٣م) أربعمئة حجر لعمل الورق (ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٩ ، الجزائى: الآس ص ٤٤) يذكر العالم اسكورد في كتابه " الكاغد " أن أول معمل بايطاليا يرجع إلى أواخر القرن الثالث عشر وفي ألمانيا ١٣٩٠ وفي فرنسا في القرن الرابع عشر وفي انجلترا ١٥٨٨ م . (محمد المنوني : نفس المرجع ص ٢٥٦)

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٩٤ - ١١٠ - ١٨٨ - ٢٥٧

(٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٤

(٤) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ١٣٩

(٥) بو عبد الله محمد بن أحمد العقباني : تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشريعة وتغيير

المنابر ، تحقيق على الشنواني فرنسا ١٩٦٧ ص ٩٦ ، روجيه لوطورنو: مرجع سابق ص ١٤٢

(٦) محمد فتحة : جوانب الحياة الاقتصادية المغربية خلال العصر المريني ، حوليات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، العدد ٢ ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥م ، ص ١٥٥ - ١٥٦

(٧) ابن خلدون : المقدمة - المجلد الأول ص ٦٤٦

" فإذا استبحر المصر وكثر ساكنه، رخصت أسعار الضروري من القوت وما في معناه، وغلّت أسعار الكمالي من الأدم والفواكه وما يثبعها، وإذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه ، كان الأمر بالعكس من ذلك".

أما إذا زاد القوت عن أهل البلاد فمن غير شك ترخص أسعارها في الغالب، إلا ما يصيبها في بعض السنين من الآفات السماوية . ولولا احتكار الناس لها ، لما يتوقع من تلك الآفات ، لبذلت دون ثمن ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران^(١) .

ولهذا فكترة وجود السلعة يؤدي إلي رخصها ، وإذا قل وجودها غلا ثمنها وإذا زاد الطلب عليها زاد ثمنها^(٢) ولهذا اختلفت الأسعار داخل الأسواق فأسواق الصواحي تختلف في أسعارها عن أسواق المدن^(٣). وقد استقرت الأسعار وازدهرت التجارة في بداية دولة الموحدين من (٥٤١هـ/ ١١٤٥م - ٦١٠هـ/ ١٢١٣م) وقد ساعد على رخص الأسعار رفع المكوس (الضرائب) عن التجار . وقد ذكر الإدريسي ذلك بقوله " فلما ولي المصامدة (الموحدين) وصار الأمر إليهم قطعوا القبالات بكل وجه وأراحوا منها واستحلوا قتل المتقلين لها ولا تذكر الآن القبالة ذكرا في شيء من بلاد المصامدة "^(٤) .

وقد ألغى الخليفة عبد المؤمن بن علي (٥٤١-٥٥٨ هـ / ١١٤٥-١١٦٣م) جميع المغارم والقبالات والمكوس التي فرضها المرابطون في الفترة الأخيرة من عهدهم . وقد سار خلفاء الموحدين على هذه السياسة حتى عهد الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ / ١١٩٩-١٢١٣م)^(٥) مما أدى لاستقرار أحوال البلاد وبالتالي أدى لاستقرار الأسعار في الأسواق .

-
- (١) ابن خلدون : نفس المصدر ص ٦٤٦
(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر البصري (الجاحظ) : التبصر بالتجارة ، ط ٢ ، المطبعة الرحمانية ، ١٩٣٥م ، ص ٩٥
(٣) الونشريسي : المعيار المعرب ج ٦ ص ٤٠٩
(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق ص ٢٣٥ - ٢٣٦
(٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ويذكر ابن خلدون " أن ما يدخل في قيمة الأقوات ، قيمة ما يفرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان ، في الأسواق وأبواب المصر ... وبذلك كانت الأسعار في الأمصار أغلى من الأسعار في البادية ، إذ المكوس والمغارم والفرائض قليلة لديهم أو معدومة . وبالعكس كثيرة في الأمصار لا سيما في آخر الدولة " . (ابن خلدون : المقدمة ص ٦٤٨)

— الأسعار في دولة الموحدين في المغرب الأقصى :

كان وسق القمح في دولة الموحدين يصل إلى ثمن مثقال^(١) والشعير خمسة وعشرون مداً بدرهم^(٢) والدقيق الربع بدرهمين^(٣) وأرحاء تطحن بها الحنطة بلا ثمن^(٤). ويصل الثلاثون من الخبز (أرغفة) بدرهم^(٥) أما الخبز والسمن بغيراط^(٦) .

وأسعار القمح والشعير والأرز رخيصة^(٧) والفواكه والمأكولات رخيصة^(٨) واللحوم رخيصة جداً^(٩) فاللحم الست أوقيات بدرهم^(١٠) والأكسية السفسارية والبرانس يباع الزوج منها بخمسين دينار^(١١) والثوب المستعمل بعشرة دراهم^(١٢) والكفن بثلاث دراهم .

وقد تأثرت الأسعار بالاضطرابات السياسية في الدولة ففي العصر الثاني للموحدين من (٦١٠هـ - ١٢١٣م) إلى نهاية حكم الموحدين (٦٦٨هـ - ١٢٦٩م) تعرضت الدولة لخطر بني مرين وصراعهم مع دولة الموحدين . أدى لاضطرابات سياسية أثرت في الأسعار حيث أدت الحروب بينهما إلى هلك الزرع وانتشار المجاعات وارتفاع الأسعار^(١٣) وأدى الصراع على كرسي الحكم في أسرة عبد المؤمن ابن علي ، إلى اضطراب في الأسعار وذلك لانهاية الدولة^(١٤)

Ahmad Saeed Rizq

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ١٠٨ (الوسق = ١٢٢ كيلوجرام عند الجمهور ، أما المثقال = ٤.٦٨٠ جرام (وزن ٦٥ حبة شعير) علي جمعة : المرجع السابق ص ٢٢-٢٣-٦٩)

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٤٢

(٣) ابن صاحب الصلاة : نفس المصدر والصفحة

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤٢

(٥) التادلي : التشوف ص ١٧٧

(٦) التادلي : نفس المصدر ص ٤١٨ ، القيراط = ١٧٧١ جرام عند الجمهور (علي جمعة : المرجع السابق ص ١٢-٦٨)

(٧) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٨

(٨) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥

(٩) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٢٨ ، ٢٢٩

(١٠) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٤٢

(١١) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٢٥

(١٢) عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي ، ص ٤٠٣

(١٣) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ، قسم ثالث ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧

(١٤) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص ٢٥٣ ، ٢٥٤

– التسعير والاحتكار :

وقد جرت العادة في أسواق المغرب والأندلس أن توضع تسعيرة للمنتجات الاستهلاكية رعاية للمصلحة العامة^(١) وكثيرا ما تتدخل الدولة لتحديد أسعار المنتجات الغذائية ، بحيث لا يكون غبن على التاجر أو إرهاق للمستهلك^(٢) .

أما عن القمح والشعير فيرى البعض بعدم التسعير حتى لا يخضع لاحتكار التجار وتنافسهم الأمر الذي يؤدي إلى الزيادة في سعره فلا يستطيع المستهلك شراءه إنما يشتريه من جالبيه ، ولا يترك التجار يشترونه منهم ليبيعوه على أيديهم^(٣) .

وكان صاحب السوق يأمر أهل الريف إذا جاءوا بالطعام، أن يبيعوه في السوق، ولا ينزلوه في الدور والفنادق ، حتى لا يشتري الكمية تاجر واحد أو عدد من التجار فيتحكموا بعد ذلك في السعر ويرتفع الثمن^(٤) . إلا أن جالبي الطعام كانوا يفضلون بيع محاصيلهم ومنتجاتهم جملة واحدة للتجار ليتخلصوا مما معهم ، ويحصلوا على ما يريدون من ثمن ، ويعودوا سريعا الى قراهم^(٥) أما المواد الغذائية التي يجلبها الفلاحون بكميات صغيرة وليس لهم حوانيت يبيعون فيها فلا تسعر مثل الجبن ، اللبن، والعسل ، والزيت ، والخضر والفواكه . كما لم تكن التسعيرة تجري على أصحاب الحرف^(٦) . ومن المواد الغذائية التي تسعر اللحم ، بعد أن يعرف ثمن الذبيحة كبشاً

(١) المجلدي : كتاب التيسير في أحكام التسعير ص ٤٩

(٢) عيسى بن الذيب : التجارة في عصر دولة المرابطين رسالة ماجستير ص ١٠٨

(٣) ابن عبد الرؤوف : في آداب الحسبة والمحتسب ص ٨٨-٨٩ ، المجلدي : كتاب التيسير ص ٥١ . ويذكر ابن عبد الرؤوف : فإن أراد الإمام العدل أن يسعر شيئا من ذلك فيجمع وجوه أهل السوق ذلك الشيء ويحضر غيرهم استظهارا على صدقهم، فيسألهم كيف يشترون؟ وكيف يبيعون ؟ فإن رأى شططا في البيع نازلهم على ما فيه لهم وللعامه صلاح وسداد ، حتى يرضوا به ، ويتعاهد ذلك منهم بعد ذلك في كل حين ، فمن وجد منهم قد زاد في الثمن أمر أن يبيع كبيع أصحابه ، وإلا أخرجه من السوق وأدبه ، وأن أراد واحد منهم أو اثنان أن يبيعوا بأرخص من ذلك ، لم يمنع من بيعه ، فإن كثر هؤلاء ، قيل لمن بقى من أهل السوق " إما أن يبيعوا كبيع هؤلاء وإلا فارفعوا ولا يحل التسعير إلا عن تراض " (ابن عبد الرؤوف : في آداب الحسبة والمحتسب ص ٨٩ ، المجلدي : كتاب التيسير في أحكام التسعير ص ٤٩-٥٠)

(٤) المجلدي : كتاب التيسير في أحكام التسعير ص ٥٣

(٥) المجلدي : نفس المصدر ص ٥٤

(٦) المجلدي : نفس المصدر ص ٥٥

أو عنراً ، ويعلم وزنها ويسقط من وزنها قدر العظم وبالتقدير حسب اجتهاده ، ويبيع سقطها وجلدها ، ويسقط ثمنه من ثمن الجزارة والذبح ، ويربح فيها درهمين ثم يقسم الباقي على أرطال اللحم ، فيعلم كم يجب للرطل ويكتب ذلك ، وكانت الطريقة نفسها تتبع في لحم البقر . أو أن تؤخذ اللوزة الداخلية من فخذ البقرة مقشرة على أن يأخذها السناج وتوزن فتكون ربع عشر البهيمة كلها ، ويستغنى بهذا التقريب عن وزن البهيمة كلها^(١) .

وقد تعرضت كتب الحسبة لمقاومة المحتسب لاحتكار السلع وأقوات الناس ، والاحتكار هو أن يشتري التاجر سلعة معينة في وقت الرخاء ويتربص وقت غلاء تلك السلعة لبيعها ، وفي هذه الحالة فإن المحتسب يجبر فاعل ذلك على بيع سلعته وذلك لأن الاحتكار حرام ، والمنع من فعل الحرام واجب^(٢) وقد قال الرسول ﷺ " الجالس مرزوق والمحتكر ملعون "^(٣) .

— المكايل والموازين :

تعد المكايل والموازين عنصراً أساسياً من عناصر تنظيم التعامل التجاري في الأسواق^(٤) ولقد اختلفت المكايل والموازين في أرجاء الدولة الإسلامية^(٥) . ولهذا اصطلاح أهل كل إقليم وبلد في المعاملة على أرطال تتفاضل في الزيادة والنقصان^(٦) ولهذا حرص التجار على ذكر نوع المكايل والموازين في وثائق البيع

(١) السقطي : آداب الحسبة ص ٣٥

(٢) الشيزري : كتاب نهاية الرتبة ص ١٢

(٣) ابن ماجه : سنن ابن ماجه ج ٢ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ٢٢٨ . ويرى يحيى بن عمر " فيمن يحتكر الطعام وما ينتج عنه من ضرر للناس في السوق أن يباع طعامه ولا يأخذ إلا رأس المال ، أما الربح فيصدق به أدبا له وينهى عن ذلك ، فإن عاد الى فعله ضرب وطيف به في السوق ثم يسجن . (يحيى بن عمر : أحكام السوق ص ١٣٥ هامش ١)

(٤) روبر بارونشفيك : تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي ، نقله للعربية حمادى الساحلى ، ط ١ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ج ٢ ص ٢٥٩ ، عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ص ٣٩

(٥) محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ابن الإخوة) : معالم القرية في أحكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه روبن ليوي ، مطبعة دار الفنون ، كمبريدج ، ١٩٣٧م ، ص ١٣٨

(٦) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص ١٥

والشراء^(١) حتى أن كتب الحسبة لتزخر بالأمثال عن أساليب التجار في ذكر المكايل والموازين^(٢) ولا ترد مثل هذه الشكوى في عصر الموحدين مما يدل على أن ضبط الموحدين للتجارة الداخلية في دولتهم وفي أسواق المغرب الأقصى قد أثمر في هذا المجال^(٣).

وقد ذكر البكري عن أنواع المكايل في مدن المغرب الأقصى : " إن المد عند أهل مليلة يساوي خمسة وعشرين مداً نبوياً^(٤) ومد أصيله وهو عشرون مداً بمد البني^(٥) ومد سجالماسة يسع مد النبي ﷺ بخمسة وسبعين ألف حبة ، ومدهم اثنا عشر قنفلًا والقنفل ثمانى زلاقات والزلاقة ثمانية أمداد بمد النبي ﷺ^(٦) أما مد مدينة فاس فيسع من الطعام ثمانين أوقية ومدهم يسمونه اللوح وفيه من هذا المد مائه وعشرون^(٧) أو ما يقدر بحفنة يدين متوسطتين^(٨) (ملئ كفي الرجل المعتدل) ٥١٠ جرام .

أما الرطل فكان يقدر باثنين وعشرون أوقية^(٩) وقد تعددت الأرطال بحسب طبيعة السلعة ، فكان الرطل العطارى (٥٠٤ جرام) الذي يساوى " ١٦ " أوقية

(١) عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي ص ٢٩٧ ، Ahmad Saïd Khatib

(٢) عز الدين أحمد موسى : نفس المرجع ص ٢٩٨

(٣) عز الدين أحمد موسى : نفس المرجع ص ٢٩٨

(٤) البكري : مصدر سابق ص ٨٩ ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ١٩٤

(٥) البكري : المغرب ص ١١٣

(٦) البكري : نفس المصدر ص ١٥١

(٧) البكري : نفس المصدر ص ١١٧

(٨) الونشريسي : المعيار ج ١ ص ١٤٤

المد : وحدة قياس من المعدن غالباً ما يأخذ شكل اسطوانة أو مخروط ينقص محيط فتحته عن محيط القاعدة ، ويكون قدر سعته (حفنة اليدين المتوسطتين لا كبار ولا صغار وإنما المتوسطتين) [وهو المد النبوي ، ٥١٠ جراماً عند الجمهور (المد ملئ كفي الرجل المعتدل) ، (علي جمعة : المرجع السابق ص ١٩-٦٩) عثمان إسماعيل : الصاع والمد النبوي العلوي ، مجلة دعوة الحق ، العدد ٢٧٦ ، الرباط ١٩٧٩ ، ص ٥٨

(٩) البكري : مصدر سابق ص ١١٧ ، موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب ص ٧٦ الأوقية : تستخدم في أسواق فاس في وزن جميع المأكولات مثل : الزيت والعسل واللبن والزبيب وكانت تقدر بأربعين درهماً . (البكري : نفس المصدر ص ١١٧ ، المقرئ : شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق محمد سيد علي ، ط ٥ ، النجف ، ١٩٦٧ م ، ص ٩٤)

والخضارى (٥٦٧ جرام) الذي يساوى " ١٨ " أوقية والرطل المستخدم للمواد الدسمة والفواكه المجففة وهو يساوى " ٢٤ " أوقية^(١) .

أما القنطار فكان يقدر في مدينة أصيلة بعشرين قليلة^(٢) أما في مدينة مليلة فكان القنطار يقدر بمائة رطل ، والرطل عندهم اثنتان وعشرون أوقية^(٣) أما في مدينة أيجلى في السوس الأقصى فكان قنطار السكر يباع بمئتين وأقل^(٤) .

ويذكر صاحب الذخيرة السنية أنه في عصر المرتضى سنة (٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م) كان الرخاء العظيم بالمغرب فلم يزل كذلك مدة خمس عشرة سنة ، ستة دراهم للصفحة الواحدة من القمح^(٥) وكانت الصفحة تساوى خمسة عشر مدأ^(٦) وكان يطلق على الوسق^(٧) في المغرب الصحيفة^(٨)

(١) محمد فتحة : جوانب من الحياة الاقتصادية ص ١٧١ . الرطل العطارى يساوى في أفريقية ٥٠٤ جرام ، إما الخضارى يساوى ٥٦٧ جرام . نجاة باشا : التجارة في المغرب الإسلامى من القرن الرابع الهجرى إلى القرن الثامن الهجرى ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ١٩٧٦ ص ٨٩ . الرطل : جمع أرطال ، ويوزن به الكيل وكان اثني عشرة أوقية والأوقية أربعون درهما ، وعلى ذلك الرطل أربعمئة وثمانين درهما (المقرئى : النقود الإسلامية ص ٦٢) والأرطال كانت بغدادية في الأقاليم كلها إلا الذي يوزن به الفلقل فإنه يخفف عن البغدادي بعشرة دراهم (المقدسى : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٤٠)

(٢) البكري : مصدر سابق ص ٩٠ ، ص ١١٣

(٣) البكري : نفس المصدر ص ٨٩

(٤) البكري : نفس المصدر ص ١٦٢ القنطار : جمع قناطير : والقنطار أربعة آلاف دينار ، فإذا قالوا : قناطير مقنطرة فهي اثنا عشر ألف دينار . (القنطار = ١٤٢.٨ جراماً عند الجمهور ، الأوقية = ١١٩ جراماً) (الشرياصى : المعجم الاقتصادي ص ٣٧٠ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ١٣-٦٨) القنطار قدرة الشرعي يساوى مائة رطل والقنطار ألف ومائتا أوقية . (البكري : مصدر سابق ص ٩١ ، موسى لقبال : مرجع سابق ص ٧٦)

(٥) ابن ابي زرع : الذخيرة السنية ص ٩٧

(٦) موسى لقبال : نفس المرجع ص ٧٦ . الصفحة : كالقصعة وهي تسع خمسة أفراد ونحوهم والجمع صحاف (ابن منظور : لسان العرب ج ٧ ص ٢٩٣)

(٧) الوسق : معناه وسق الجمل أى حمل جمل (١٢٢ كيلوجرام) (الحكيم الكومى : الدوحة المشتبكة ص ١٠٣ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٦٩)

(٨) ويذكر القلقشندي : عن بلاد المغرب كيلها أكثره الوسق ويسمى الصحيفة وهي ستون صاعاً بالصاع النبوي على السواء . (القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٧٧)

الونشيريصى : المعيار ج ٥ ص ٩٠ ، ج ٨ ص ١٤٤ ، الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ١٠٠-١٠٣) وتعادل الصحيفة كيلا سعته (٥٤٤.٣٦٥) لترا ، قدرها " فالتر هانتس " بأنها تساوى ٥٠ صاعا

فالتر هانتس : المكايل والأوزان الإسلامية ، ترجمة كامل العسلى ، عمان ١٩٧٠ ص ٦٤

وكذلك الصاع^(١) .

و استخدم مكيال للزيت يطلق عليه مكيال الربع^(٢) وسعته " ١٨ " رطلاً تقريباً^(٣) والحمل لكيل الملح^(٤) وهو يساوى ٢٥٠ كجم^(٥) والقفيز لكيل الحبوب وقد قدره العمري بـ " ١٦ " وية مصرية^(٦) والغرارة لكيل الزيت أيضاً وقد رت بـ " ١٦ " قدحاً وكل قدح بقدر بـ " ١,٦٣ " كجم^(٧)

وقد أشار الونشريسي إلى وجود ميزان بالمغرب يسمى القرطسون وهو ميزان الدراهم أو الفلوس^(٨) . وقد أشار ابن أبي زرع بأن موضوع القرطسون بفاس كان على مقربة من جامع القرويين^(٩) .

(١) الصاع : هو مكيال تكال به الحبوب ونحوها وقدره أهل الحجاز قديماً بأربعة أمداد أي بما يساوى عشرين ومائة وألف درهم وقدره أهل العراق قديماً بثمانية أرتال ، والجمع أصوع ، وصوعان ، وصيعان . (الشرباصى : المعجم الاقتصادى ص ٢٥٩ ، المعجم الوسيط ج ١ ص ٥٢٨) ويطلق اسم الوسق على الصفحة وكان مقداره ستين صاعاً بالصاع النبوي على السواء . (أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٥٩) والصاع أقل من ثمانية أرتال وأكثر من سبعة ومده رطلين والصاع أربعة أمداد (ابن سلام : كتاب الأموال ، الناشر مؤسسة ناصر للثقافة ببيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨١ ، ص ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩)

(٢) فالتر هانتس : المكايل والأوزان الإسلامية ص ٦٣

(٣) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ٩٢-٩٤ ، روض القرطاس ص ٦٤-٦٥

(٤) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٣٠٢

(٥) فالتر هانتس : مرجع سابق ص ٢٧

(٦) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٢٥٥-٢٧٤ الوية : تساوى ١٢ مداً قروباً من المد النبوي . أي أنها تساوى ٢٠١.٨٧٧ لتراً (العمري : مسالك الإبصار ص ٨٢ ، القلقشندي : صبح

الأعشى ج ٥ ص ١٧٧ ، فالتر هانتس : المكايل والأوزان الإسلامية ص ٦٨)

(٧) أبو عبد الله محمد العبدري : الرحلة المغربية ، تحقيق وتقديم محمد الفاسي ، نشر وزارة الدولة للشئون الثقافية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ١٩٦٨م ص ١٥٩-١٦٠ ، الونشريسي : المعيار

المعرب ج ٦ ص ٢٨٣ ، موسى لقبال : مرجع سابق ص ٧٤ . ويذكر المقرئزي : إن غبراره القمح بقدر بـ ٧ ويات مصرية . والوية : ٣٣ لتراً (المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٤١-١٩٤٢م ، ج ٣ ، ق ١

ص ١٠ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٦٩)

(٨) الونشريسي : المعيار المعرب ج ٣ ص ٢٧٦ ، ج ٥ ص ١٤

(٩) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٣٦-٤١

ويذكر البكري في مدينة مليلة الدرهم بها عدة قراريط كل قيراط خمسة أثمان درهم^(١) . وفي مدينة أصيلة كيل الزيت يطلق عليه قليلة والقليلة هي مائة واثنان عشرة أوقية^(٢) وذكر ابن خلدون البرشالة بإثنا عشر رطلا ونصف ، مقالين ونصف^(٣) والسطل للشعير بثلاثة دنانير^(٤) .

– المقاييس :

كان ضبط المقاييس احد الواجبات الهامة التي يقوم بها صاحب السوق لمتابعة القياس وضبطها بدلالة الذراع المرسوم على جدرانها والذي كان المرجع في فضة الخلافات بشأن المقاييس^(٥) فكان يطلق على قياس الثياب الصوفية اسم القالة الدرازية (٤٦سم) وتوجد في السوق العطارين بفاس اما قياس الجوخ ونسيج الحرير والكتان اسم القالة الكتانية وطولها (٥٥سم)^(٦) . وقد استعملوا الباع^(٧) (المسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما أي ١٨٤.٨سم) واستخدم في القياس " القامة (١.٦٥سم الي ١.٧٠سم) و الذراع (٠.٤٨سم) و الشبر (٠.٢٤سم) و الشبر منه الكبير و الصغير و القدم المعروف بالخطوة (١.٤٥سم)^(٨) .

وعلى الرغم من أهمية الموازين والمكاييل في المعاملات التجارية إلا أنه لا يوجد لدينا الكثير من الفتاوى المتعلقة بهذا الموضوع ، ومرجع ذلك أن هذا كان من

(١) البكري : مصدر سابق ص ٨٩

(٢) البكري : نفس المصدر ص ١١٣

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٩٥

(٤) البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت ص ٧٨

(٥) نقولا زيادة : الحسبة والمحاسب في الإسلام ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٢ ص ٤٠١
موسى لقبال : الحسبة المذهبية ص ٥٧

(٦) محمد المنوني : ورقات عن حضارة المرينيين ص ١٤١-١٤٣ الفريد بيل : مقالاً نشر في الجريدة الآسيوية عدد مارس ، ابريل ١٩١٧ ص ٣٠٣-٣١٤

(٧) الباع : مفرد ، والجمع " أبواع " وهو المسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينا وشمالا . المعجم الوسيط ج ١ ص ٧٦ ، الشرياضي : المعجم الاقتصادي ص ٦٤ .

(٨) تقدر القامة : بطول يدين ممتدتين أفقياً ، أما الذراع : ثلثها ، أما الشبر الكبير : فهو نصف الذراع (محمد فتحة: جوانب من الحياة الاقتصادية المغربية ص ١٧٠) وذكرت نجاة باشا : أن القامة على عهد الحفصيين تتراوح بين ١.٦٥سم الي ١.٧٠سم. أما الذراع يساوي ٠.٤٨ والشبر يساوي ٠.٢٤ ، والخطوة تساوي ١.٤٥سم (نجاة باشا : مرجع سابق ، ص ٨٨)

شأن المحتسب وأمناء الاسواق المباشرين لمثل هذه الأمور . على أن الفقهاء أكتفوا بالجانب الشرعى فبينوا أحكام الشرع فى معنى التطفيف والوفاء بالكيل واعتدال الميزان وحالات الغش فيه^(١) .

وكان المحتسب يحرص على أن تكون الموازين والمكاييل معلومة لأهل السوق، لهذا كان يجب أن يكون للموازين أصل يرجع اليه ويعتمد فيها عليه فى صحتها ، ويأمر بعمل الصنوج من الحديد ومنع الزوائد عليها^(٢) . ويذكر ابن عبد الرؤوف عن المكاييل والأوزان : " يجب أن يتعاقد الأكيال بالمقادير ويصح كيلاها ويطبوع على جوانبها طبعا موصلا بأعلاها لئلا يزداد فيها أو ينقص منها ، وتكون عند المحتسب فى زمام بأسماء أصحابها فمتى عثر على كيل غير مضروب أو غير مطبوع أو مطبوع ليس فى زمامه ، عوقب صاحبه ويؤمرون ألا يتخذوا الكيل عربضاً مربعا ولكن يتخذ مرتفعاً واسع الأسفل ضيق الأعلى على صفة مكيال الشرق الذى يسمى هنالك بالأوبية^(٣) .

ويذكر ابن عبد الرؤوف عن الموازين : " أما الموازين فينبغى أن يكون لها أصل يرجع اليه فيه ، ويعتمد عليه فى صحته وتعديل صنوجها ، ويكون عند من يوثق به بتعديل الرصاص عليه ، فأنها ربما زالت فأمكننت الدلسة (الغش) من ذلك ويتفقد أحوالهم حبوب الشعير والخروب ، ضرب حبة تعدل حبات^(٤) .

وكان يستعمل نوع آخر من الاوزان تسمى الصنوج (لوزن الذهب) وهى مستديرة بقدر درهم ، وفى بعض الاحيان يكون أكبر واصغر منه ، وكانت هذه الصنوج تصنع من زجاج مطبوع مطبوع يستخدم فى وزن النقود الذهبية والفضية وكانت تضرب فى دور الضرب ثم توزع على الصيارفة والتجار فمن اراد أن

(١) الوثائيسى : المعيار العرب ج ٦ ص ٤٢٣-٤٢٤

(٢) ليفي بروفنسال : ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب ، المعهد العلمى الفرنسى ١٩٥٥ ص ١٠٧ سوزي أباطة : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى من تمام الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية ، ٩٢-٢٩٦هـ / ٧١١-٩٠٩م ، رسالة دكتوراه ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص ١٦٦

(٣) ابن عبد الرؤوف : فى أدب الحسبة والمحتسب ، ص ١٠٨

(٤) ابن عبد الرؤوف : مصدر سابق ص ١٠٦

يصرف ديناراً يختبرونه بالصنح لكى يتأكد من استيفاء وزنه ، وكذلك وزن الاشياء الثمينة كالمجوهرات . وضربت من الزجاج لكى تبقى نظيفة ولا يلتصق بها شيئاً^(١) .

— المعاملات التجارية (طرق البيع والشراء) :

كانت طرق البيع والشراء وفق الشريعة الاسلامية وذلك لتسهيل حركة النشاط الاقتصادي والتجارى بصفة خاصة . وتسهيل طرق المعاملة بين التاجر والمشتري وضمان حقوق كلا الطرفين .

وقد حث القرآن الكريم على تحليل مطلق البيع ، وعلى كل تجارة تتم عن تراض بين الطرفين ، وتحريم الربا وكل تعامل يؤدي بالناس الى أن يستحذوا على أموال بعضهم بالباطل^(٢).

وقد تولت هذه المهمة عدة جهات هي القضاء ، وصاحب المظالم ، وصاحب المدينة والشرطة ، وصاحب السوق أو المحتسب .

وكانت من الطرق المشروعة البيع بطريق العملة (الدينار والدرهم) أو عن طريق المقايضة (بيع سلعة بسلعة) فكانت المعاملات الخارجية تقوم على نظام المقايضة فى بعض بلاد المغرب وبصفة خاصة جنوب الصحراء ، فكان التجار يستخدمون عدة طرق فى المقايضة منها استخدام الملح كعملة فى التجارة مع مالي وجنوب السودان^(٣) فيقول العمري فى هذا الصدد : " يدخل التجار بلاد السودان بالملح والنحاس والسودع

(١) محمود إبراهيم عبد الله عفيفي : أحوال بلاد المغرب الاقتصادية فى ظل السيادة الفاطمية ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ١٤٨ ، عيسى بن الذيب : مرجع سابق ، ص ٢٦٩

(٢) ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ البقرة الآية ٢٧٥

(٣) يعتبر الملح أهم السلع التى حملتها القوافل مع السودان الغربى ، إذ يتعامل أهل مالي تماماً كقطع العملة فيقول ابن بطوطة : " وبالملح يتعارف السودان كما يتعارف بالذهب والفضة ، يقطعون قطعاً ويتبايعون به " (ابن بطوطة : تحفة النظار ص ٦٧٤) الشيخ الأمين عوض الله : تجارة القوافل بين المغرب والسودان وأثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادى من كتاب تجارة القوافل ودورها الحضارى حتى نهاية القرن التاسع عشر ، معهد الدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٤م ص ٨٤ - ٨٥

ويعودون بالذهب ^(١) واستخدم التجار الوكالة كنظام في تعاملاتهم ، وهي التفويض من شخص لآخر بالتصرف في ممتلكاته ، وشرط الوكيل أن لا يكون ممنوع بالشرع من تصرفه في الشيء ^(٢) وقد كان التجار المغاربة والأجانب يتعاملون فيما بينهم متخذين الوكالة نظاماً للتعامل حيث كان الوكيل يوزع بضائعهم على التجار الصغار لبيعها لحسابهم ^(٣) .

كذلك وجدت الشركات التجارية ، وتعددت وجوه الشراكة في المبادلات التجارية ، واغلب ما يتوفر لنا من أمثلة فيخص شراكة الأموال وتنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

" شركة مضاربة " ^(٤) وشركة مفاوضة " وفيها يجوز تصرف كل واحد من الشريكين برضا صاحبه ، " وشركة العنان " ^(٥) وهي شركة بين شخصين أو أكثر في قدر من المال يوزع عليهم حسب أسهم معينة ويكون الربح والخسارة بينهم حسب أسهمهم ، ويكون الشريك ملزم بالحصول على موافقة وترخيص شركائه فيما يقوم به ^(٦) .

ولا نتعمد الإشارات في المعيار عن الشركات التجارية ، وأغلبها في سؤال الفقهاء عن العلاقات بين التجار وشروط الضمان حينما يتسبب الشريك العامل في

(١) العمرى : مسالك الإبحار ص ١٤٠ ، ابن بطوطة : تحفة النظار ص ٦٧٤

(٢) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبي (ابن رشد) : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، راجع أصوله وعلق عليه عبد الحليم محمد عبد الحليم ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ،

١٩٨٣م ، ج ٢ ص ٣٦٦

(٣) عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي ص ٣٠٤

(٤) " المضاربة " هي عقد بين طرفين على أن ينفع احدهما نقداً إلى الآخر ليتجر فيه على أن يكون الربح بينهما حسب الاتفاق ، وهي مأخوذة من الضرب في الأرض ، وهو السفر فيها للتجارة ، وهي بمعنى القراض . ويقول المولى عز وجل : " وَأَخْرَجُوا يَظْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ " سورة المزمل : آية ٢٠ (السيد سابق : فقه السنة ، دار الفتح للإعلام العربي ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ط ١ ، ج ٣ ص ٢١٢)

(٥) العنان مشتقة من عن الشيء إذا عرض ، فالشريكان كل واحد منهما عن شركة الآخر ، وقيل مشتقة من عناني الفرسين في التساوى . (السيد سابق : نفس المرجع ج ٣ ص ٢٠٣)

(٦) محمد فتحة : النوازل الفقهية والمجتمع : أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن ٦ والقرن ٩ الهجري / القرن ١٢ والقرن ١٥ الميلادي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء ١٩٩٩ ص ٣١٨

ضياح رأس المال^(١) ووجود شركات فاسدة ، يلجأ أصحابها الى القضاء لعرض خلافاتهم ، فنجد بعض النوازل تتحدث عن التاجر العامل وانه لا يستحق غير أجرته في حين أن التاجر المبضع يعطيه قسطاً من الربح كالثلث ، ويعتبره بالتالي شريكا وضامناً^(٢) وغيرها من المسائل الفقهية التي تخص هذا الموضوع.

ويبدو من خلال هذه الأمثلة أن الشركات التجارية كانت تسير وفق الحدود الشرعية . وقد أفادت الفتاوى الشركات مع اليهود في التجارة الصحراوية بمنع غطاء السلف^(٣) مع العلم بأن البضائع لم تكن لا من نفس النوع ولا متمثلة^(٤) .

وقد مارس التجار وأصحاب رؤوس الأموال نوعاً آخر من الشراكة هو " القراض " ^(٥) على اعتبار أنه شراكة جائزة في المال ، وعلى الرغم من أنه روعي في هذه الشراكة جانب الصدق والتحري في المعاملات ، إلا أنه وجد الكثير من

(١) الونشريسي : المعيار ج ٨ ص ١٩١

(٢) وعن ابن الحاج أن : " رجل له تجارة سافر لبعض بلاد المغرب فمات هناك فقام جماعة يطلبونه ببضائعهم ، واثبت بعضهم أنه يعلم شريكا له ولم يجد الشركة ولا عرف صورتها... وثبت لبعضهم دين قبله ، وله عقار بالحضرة " فهل تثبت الشركة ويجب ، وهل يدخل أرباب الدين في المال ؟ فأجاب : الشركة المذكورة غير عاملة ، وعلى ورثة المتوفى حلف اليمين انهم لا يعلمون بين موروثهم والقائم شركة . وأن الشهادة بالدين عاملة بعد يمين الطالب في مقطع الحق انه ما قبض ولا أسقط وأنه لباق عليه الى حين يمينه .

(الونشريسي : نفس المصدر ج ٨ ص ١٨٩ - ١٩٠ ، ٢٠٣ ، ج ٩ ص ٦٣)

(٣) غطاء السلف هو إقراض المشتري للبائع جزء من ثمن السلعة قبل حصوله عليها وهي من وجوه فساد الشركات ، وقد استغلها اليهود في الحصول على أرباح قد تصل الى (٦٠ %)

الونشريسي : المعيار ج ٨ ص ١٨١-١٨٢-١٩٩ ، الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ١٣٦-١٣٩

(٤) محمد فتحة : النوازل الفقهية والمجتمع ص ٣٢١

(٥) القراض نوع من الشراكة فيه فوائد السلف دون الوقوع في الربا . ولهذا شاع العمل به بين المسلمين . ويعتقد القراض بالمال سواء ذهب أو فضة ، ولا يجوز في أغلب المذاهب الإسلامية بالبضائع . ويتم الشركة بين المتقارضين بعقد قراض تستوفي شروط الشركة ، ولصاحب المال أن يحدد في العقد أنواع التجارة والأسواق وهذا نموذج لعقود القراض " دفع فلان بن فلان إلى فلان ... كذا ديناراً ذهبياً عينا من سكة كذا ليديرها بين يديه في أنواع المتاجر أو يصرفها فيما بدا له من ضروب المكاسب فما أفاء الله عليهما من ربح ... يكون بينهما أنصافاً أو ثلاثاً... فقبض ذلك فلان العامل المذكور قبضاً تاماً بمحض من شاهدين...

(أبو عبد الله الفشتالي : تذكره في علم الوثائق ، تحقيق الأستاذة لطيفة الحسنى ، طبعة وزارة الأوقاف المغربية ١٩٩٧م ص ١٣٩ - ١٤٠ ، الونشريسي : المعيار ج ٨ ص ٢١١ ،

الشرباصي : المعجم الاقتصادي ص ٨١)

النوازل الفقهيّة التي تناولت هذه التجاوزات : كاتفاق صاحب المال وعامل القراض على شركات تبين بعد عرضها على الفقهاء أنها فاسدة بسبب اشتراط أجل محدد لمدة القراض ، أو تقسيط استرداد رأس المال على دفعات شهرية أو ان يشترط رب المال على العامل قديراً من المال مضافاً إلى ما تم الاتفاق بشأنه من الربح^(١) وقد انفرد المؤرخ ابن الحاج في ذكر طريقة البيع والشراء التي كان يتبعها أهل فاس^(٢) وهي أنه جرت عادة التجار وإذا دخل المشتري إلى السوق أن ينادى عليه صاحب المتجر عارضا تجارته مبيناً محاسنها حتى إذا وقف المشتري على باب متجر آخر مجاور .

وعلى الرغم من وجود العديد من الاساليب المشروعة فهنا بعض الفئات وخاصة اليهود ، قد برعوا في استخدام الكثير من الطرق غير المشروعة في التجارة ومنها :

بيع النجش^(٣) : هو المزايدة في البيع لصالح البائع ، أي أن يحضر التاجر السلع تباع فيزايد عليها بأثمان مرتفعة دون أن يكون راغباً في شرائها ، بهدف التأثير على غيره ممن يريدون الشراء ، وهذا يعد غشاً وخداعاً وأكل الأموال بالباطل . ولكن بعض التجار وخاصة السماسرة اليهود^(٤) كانوا يستخدمون تلك الوسيلة لزيادة الدخل أي أخذ مقابل على هذا النوع من البيع^(٥) .

بيع المراجعة : هو أن يذكر البائع للمشتري الثمن الذي اشترى به السلعة ويشترط عليه ربحاً ما للدينار أو الدرهم^(٦) . ولقد أستخدم بعض التجار في فاس هذه الوسيلة ولكن أغلب المتعاملين بنظام الربا كانوا من التجار اليهود ، وكانوا يقرضون الأموال بربا زهيد ثم يقرضونها بربا فاحش ويأخذون الفرق لهم ولذلك سميت

(١) ذهب ابن الحاج إلى أن ضرب الأجل للقراض مما يفسده . لهذا فهو لا يتوقف إلا بموت صاحب المال ، لأنه حينها يلزم الإذن من الورثة (الونشريسي: مصدر سابق ج ٨ ص ٢١٠ - ٢١١)

(٢) ابن الحاج: المدخل ج ٤ ص ٥٨ وما بعدهما .

(٣) ابن رشد : مصدر سابق ، ص ١٩٩ . أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : الأم ، أربعة أجزاء ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة بدون تاريخ ، ج ٤ ص ٨٠ ، عطا علي محمد شحاته ريه : اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين ، معهد الدراسات الافريقية ، القاهرة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، رسالة ماجستير ، ص ٢٠٩

(٤) الونشريسي : المعيار المعرب ج ٦ ص ١٥٧

(٥) مارمول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ١٤٩

(٦) ابن رشد: مصدر سابق ج ٢ ص ٢٥٦ . عطا علي محمد شحاته ريه : مرجع سابق ص ٢١١

المرايحة . ولقد نهى الإسلام عن هذا النوع من البيع ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١)

بيع الجزاف : هو البيع غير معلوم قدره ، فلا يعرف وزنه أو كيّله أو عدده ، ومن المعلوم أنه لا يجوز البيع جزافاً مثل بيع المسكوكات والدنانير .

ويظهر هذا النوع من البيع في العديد من الصور منها (بيع الملامسة) وهو أن يلمس شخص ثوباً أو بضاعة فيجب عليه شرائها تبعاً لذلك دون العلم بحالها ، و (بيع المخاضرة)^(٢) أي بيع الثمر على الشجر قبل تمام نضجه وفي ذلك ظلم للمشتري أو البائع ، ونهى الشرع كذلك عن بيع ولد الدابة قبل ولادته أو بيع الصوف قبل قصه عن ظهر الدابة ، أو بيع السمن في اللبن^(٣) ولقد وجد بفاس بعض التجار ممن يغشون اللبن بالماء أو يبيعون وينقصون وزنه^(٤) .

بيع السلف : هو البيع بثمن ووزن معلوم إلى أجل معلوم^(٥) وهي إقراض المشتري للبائع جزء من ثمن السلعة قبل حصوله عليها ، ومنها إقراض المزارع جزء من ثمن المحصول قبل نضجه ليصرفه على الزرع . وهنا كان يأتي دور التاجر وخاصة من اليهود لتسليف المزارعين ما يحتاجونه ثم يقومون بجمع المحاصيل من الفلاحين مقابل ديونهم . وكان الاقتراض بفائدة تصل في بعض الأحيان لأكثر من ٦٠%^(٦) وكذلك وجدت بعض الممارسات من قبل التجار اليهود ومنها بيع الخمر ، وبيع عصير العنب لمن يصنعون الخمر .

بيع مزاد : كانت عملية البيع والشراء في الأسواق تتم بكل حرية وتتم بطريقة المزاد العلني ، ففي مدينة فاس غالباً ما كان البيع يبدأ من الظهر وينتهي عصراً ، بخلاف أسواق أخرى كان البيع والشراء يتم فيها طوال النهار^(٧) .

(١) آل عمران : ١٣٠

(٢) الونشريسي : المعيار ج ٥ ص ٢٢

(٣) ابن رشد : بداية المجتهد ج ٢ ص ١٧٦ - ١٨٢ . السيد سابق : فقه السنة ج ٣ ص ١٤٦

(٤) الونشريسي : نفس المصدر ج ٦ ص ٤١٢ - ٤٢٥

(٥) الشافعي : الأم ج ٤ ص ٢٨١ ، ابن رشد : نفس المصدر ج ٢ ص ٢٤٠ ، السيد سابق : نفس

المرجع ج ٣ ص ١٧١

(٦) الونشريسي : المعيار ج ٥ ص ١٨ ، الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ١٣٦ - ١٣٩ ، عز الدين

أحمد موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب في القرن السادس ص ٨١

(٧) ابن رشد : مصدر سابق ، ج ٢ ص ٢٢٦

بيع بدون مشاهدة : وفي السودان كان قوم يتبايعون من غير مشاهدة ولا مخاطبة ، فيتركون عند كل متاع ثمنه من أعمدة الذهب ، فإذا جاء صاحب المتاع اختار الذهب وترك المتاع ، وإن شاء اخذ متاعه وترك الذهب^(١) .

الباعة الجائلون : الذين ينادون على بضائعهم في الشوارع . وكانت أسعارهم أقل مما يباع في الذكاكين^(٢) وكان هؤلاء الباعة مصدر إزعاج لأصحاب الحوانيت التي يقفون أمامها أو قريباً منها^(٣) وينقسم لقسمين قسم يفتش الأرض يعرف باسم أرباب المقاعد ، وهم كانوا يبيعون شتى أنواع المأكولات والمشروبات والفواكه . أما القسم الآخر فكانوا يسيرون في الطرقات وأفرادهم ينادون على بضائعهم ويصلون إلى المنازل ، ليعرضوا سلعهم على أربابها^(٤) .

المنشآت التجارية

(الفنادق - القيساريات)

ارتبط إنشاء الفنادق بازدهار الحركة التجارية في البلاد حيث قام الفندق بنور كبير في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب وقد أشار كل من ابن زرع، والجزنائي إلى القول بأن فاس كانت تضم ٤٦٧ فندقاً . وعلى افتراض عدم دقة هذه الأرقام فإن وجود هذا العدد من الفنادق يشير إلى كثرة عدد التجار الأجانب الوافدين إلى المدينة هذا فضلاً عن المنشآت التجارية والصناعية بها مما يشير إلى أن الأسواق كانت تستوعب هذا النشاط وأن جزءاً كبيراً كان مخصصاً للتجارة الخارجية^(٥) فالفنادق موضع إقامة التجار الغرباء الأوربيين ممن لهم أثر كبير في الحركة التجارية.

(١) آدم متس : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، مطبعة

لجنة التأليف ، القاهرة ، ١٩٤١م ، ج ٢ ص ٣٢٩

(٢) عبد الحميد حمودة : أسواق القيروان ص ٤٤

(٣) عبد المنعم سلطان : الأسواق في العصر الفاطمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،

١٩٩٧م ، ص ١٩

(٤) قاسم عبده قاسم : الأسواق بمصر في عصر سلاطين المماليك ، كلية الآداب - جامعة القاهرة

المجلد السادس والسابع والثلاثون ١٩٧٤-١٩٧٥ دوريات ص ١٦٨ - ١٦٩

(٥) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٤٧ ، الجزنائي : جني زهرة الآس ص ٤٣ .

وقد كان في مدينة سبته فندق كثيرة^(١) وقد أدى بعد المسافة بين المدن وبعضها واتساع دولة الموحدين من برقة شرقاً للمحيط غرباً ، ومن البحر المتوسط والأندلس شمالاً للصحراء الإفريقية جنوباً ، إلى انتشار هذه المنشآت التجارية^(٢) .

وكان من المتبع أن التجار الأوربيين يقيمون في فنادق خاصة بهم حيث يذكر " أماري " ^(٣) Amari ، ودي فورك Dufourcq أن لكل جنسيه فندقاً خاصاً بها لا يشاركها فيها أحداً ، وتكون هذه الفنادق على شكل أحياء في وسط المدينة أو خارجها ، وفي الغالب يعرف اسم الفندق باسم التجار القاطنين به أو يطلق عليه اسم الحي لأن الفندق كان يشتمل على المرافق الخاصة به من حمامات وأفران ...

فضلا عن أن هذه الفنادق كانت تستخدم كمخازن للغلال ومختلف أنواع السلع التجارية . فكان التجار الوافدين على فاس يخزنون فيها بضائعهم لتوزيع بعد ذلك على تجار الجملة^(٤) وكانت الفنادق بفاس تتكون عادة من ثلاثة طوابق ، وبعضها يشتمل على مائة وعشرون غرفة وبعضها يشتمل على أكثر من ذلك^(٥) .

ويصف " ماس لاتري " و " سايوس " ^(٦) باب الفندق بأنه متين يوصل الى ساحة أو عدة ساحات محاطة بالأروقة التي توجد بها مداخل السكن والمحلات الخاصة بالتجار والحرفيين والعمال من مختلف المهن . وكان بالفنادق مكان مخصص للقناصل والشهود العدول لتحرير عقود البيع والشراء وبها أيضاً سمسرة لتسهيل العمليات التجارية . ولقد وجد ببعض الفنادق

(١) عبد الأحد السبتي : المدينة في العصر الوسيط ص ٣٧٦

(٢) حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى في القرنين ٥ ، ٦ هـ ، ص ٣٠١ رسالة دكتوراه

(٣) Amari (Di Michel) : I diplo Arabi, del Archivio, V, I. Fir enz, le monnier, 1863 . P. 101

Dufoureq (Ch.E) : La vie coutidienne dan les ports nediterraneens au moyen age, Hachette, Paris, 1975. P. 116

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٦٩ ، ص ١٦٩

(٥) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ٢٣١

(٦) Sayus (Andre E.) : Le commerce des Europeens a tunis depuis le XII eme Siecle gusqu a la fin du XVII Seicle Expose Et docu nents publiee per l'academie des siences coloniale paris, 1929. P. 79-168:170

D Maslatrie, (L.) : Relations et commerce de l'Afrique septentrionale adac les nations chretiennes au age. Librairie de firmil di dot, Paris, 1886. P. 168

أمناء لتسعير البضائع والتأكد من سلامتها من الغش ، وبعض المترجمين للتعامل مع التجار الأجانب . كما ضم الفندق بعض الخدمات اللازمة للتجار والمقيمين فوجد به البيطار لعلاج الدواب ، ومستودعات للعربات والدواب ، وعلف وسروج وأدوات لإصلاح العربات وغيرها مما قد يحتاجه التاجر ^(١) .

وتجدر الإشارة هنا الى أن نفقات إنشاء الفندق يتحملها أهل الحى الذى يوجد به الفندق ثم يؤجرونه للتجار الأجانب . ويذهب إيراده إلى بيت المال بواسطة موظف مختص ^(٢) ويتضح من خلال الأرقام التى توفرت لنا مدى الازدهار فى النشاط التجارى بفاس فى هذا العصر . وكان في مدينة فاس فنادق كثيرة ^(٣) ومن أهم هذه الفنادق فندق الشماعين ^(٤) الذى أصبح أهم مراكز التجمع لأكبر الشخصيات العاملة فى التجارة وأرباب المال . ومنها فندق غانم الذى يشتمل على ثلاث طبقات تحوى على ثمانين غرفة بالإضافة الى تسع مصريات ^(٥) وهى مساكن تبنى فوق الحوانيت ونحوه ، وهو نوع من المنازل كان منتشراً ومعروفا بمصر ، فنقل إلى المغرب وعرف بنسبتها إليها .

ويعتبر القنصل هو المشرف على مصالح أفراد الجالية التابعة لبلدة ، فيدافع عن قضاياهم ، وكان يمثل دولته التى تمثل مكتباً تجارياً يسمى (بالفندق) وكان من المهام المنوط بها فض الخصومات بين مواطنيه ، كما يتولى تركات الموتى ، وكانت توجد كنيسة في كل فندق لأداء الصلوات ، كما كانت تربي بها الخزائير اللازمة لطعامهم ، وبصورة عامة فإنه يحمى أملاك التجار الحاضرين والغائبين سواء فى الموانئ أو الأسواق ^(٦) .

(١) محمد عيسى الحريري : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ص ٣٢٧

(٢) أحمد مكى : معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر، مجلة المجلة عدد ٤٩ - ١٩٦٠م ص ٨٩

(٣) نجد أن عدد الفنادق مختلف عند الحسن الوزان يصل إلى مائتي فندقا في وصف أفريقيا ج ١ ص ٢٣٦

(٤) الجزنائي : جني زهرة الاس ص ٧٩ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ص ١٦٩

(٥) الجزنائي : نفس المصدر ص ٤٤

(٦) De Mas latrie : Relations ET Commerce . P.185,186, P.163,164

وقد أشار المقرئى فى أن المنشآت التجارية كالفنادق ، والخان ، والوكالة ، والقيسارية ، تتشابه فى وجود حوش فى وسطها وحول الحوش يمر يصل إلى المخازن ، وقد تكون دورين كما بها دكاكين (حوانيت) ومساكن ولها مفتاح خاص بها ، وكانت تقوم بمهمة النزول ومحل الإقامة وحفظ الأموال الخاصة بالتجار ويتم بها مهمة البيع بالجملة بجانب بيع التجزئة ، وتوزع ما يرد إليها من الأسواق وقد يبنى فوقها ربيع تؤجر لطوائف من التجار . (المقرئى : الخطط ج ٣ ص ١٥١ وما بعدها) ، نعيم زكى فهمي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧

الفصل الرابع

المعاملات المالية والتجارية .

Ahmad Saeed Rizq
العملة .

السفاتج - الصكوك - الجوالات .

المكوس (المخارم) .

المعاملات المالية والتجارية

• العملة :

تعتبر السكة الواجبة الحقيقية لأي نظام اقتصادي ، إذ يتوقف على قيمة هذه السكة ، وقوتها الشرائية في الحكم على مدى الإستقرار الاقتصادي للدولة وحظها من الرفاهية والتقدم ، ويعرف ابن خلدون السكة بأنها " الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع جديد ينقش فيه صوراً أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم ، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عدداً وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزناً^(١) .

واتخذت الدولة الموحدية عند قيامها عملة نقدية مميزة لها . فلقد كان الموحدون هم أول من اتخذ الشكل المربع لعملتهم ، فيشير " أبو الحسن على بن يوسف " إلى أن ابن تومرت أصدر عملة نقدية تسمى الدرهم المركن فيقول : " وذلك أن صاحب الدرهم المركن هو أبو عبد الله المهدي القائم بأمر الموحدين ، وكانت الدراهم قبل ظهور الدولة الموحدية كلها مدورة ، فأمر المهدي أن يكون دراهمه مركنة "^(٢) . ويرجح بعض المؤرخين أن يكون أول من سك العملة الموحدية هو الخليفة " عبد المؤمن بن علي " ^(٣) والتي عرفت " بالمؤمنية " ولكن يصعب تحديد السنة التي بدأ فيها سك عملة خاصة وأنها لا تحمل تاريخ الضرب^(٤) ، بل يرجع سك العملة إلى عبد المؤمن بن علي لأن دولة المرابطين كانت قائمة عند موت ابن تومرت .

(١) ابن خلدون : العبر ج ١ ص ٣١٧

(٢) أبو الحسن على بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ص ٤٩ ، أبو بكر ابن علي الضهاجي : البيذق " أخبار المهدي بن تومرت " ص ٤٧ ، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ص ١١٢ ، ابن خلدون : المقدمة ج ١ ص ٢٦٢ ، عيسى بن الذيب : التجارة في عصر دولة المرابطين (رسالة ماجستير) ص ٢٥٣ .

(٣) عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان ، ولد بمدينة تاجررت بالمغرب الأوسط ، فلما توفي المهدي اتفق الجميع على خلافة عبد المؤمن فتم له الأمر سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م وكانت وفاته برباط وهو في طريقه إلى الأندلس . (خير الدين الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٣١٩)

(٤) السلاوى الناصرى : الاستقصا في دول المغرب الأقصى ج ٢ ص ١٢٧

وقد كتب " عبد المؤمن بن علي " اسم المهدي " على عملته وقد ظلت منقوشة حتى أيام " إدريس المأمون " (١). تاسع خلفاء الموحدين الذي أنكر امامة " المهدي " وأمر بإزالة اسمه من على السكة وعدم الدعاء له في الخطبة سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م (٢) فأزال من السكة عبارة " المهدي إمامنا " وحل محلها " القرآن إمامنا ". وفي العملة الرسمية كتب عبارة " القرآن كلام الله " (٣) أما الخارجون على طاعة الموحدين في عصر الضعف فقد كتبوا عبارة " الله ربنا محمد رسولنا العباس إمامنا " أو " لا إله إلا الله محمد رسول الله والأمر كله لله ".

وقد ضرب الخليفة " يوسف بن عبد المؤمن " (٤) عملة باسمه تعرف " باليوسفية " كما كانت الدنانير " اليعقوبية " نسبة إلى يعقوب المنصور (٥). ولقد استخدم الموحدون إلى جانب العملات الذهبية والفضية أنصاف الدراهم التي عرفت " بالمؤمنى " (٦)، كما سك الموحدون على أيام

(١) هو إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ويكنى بالمأمون ، وقد كان والى اشبيلية . واستعان بملك قشتالة ودخل مراكش فباع له الموحدون . وغير ما كان عليه الموحدون من الخطبة والسكة . وقد كثرت الثورات في أيامه وخرجت الأندلس عن حكمه ، وثار أخوه " عمران " في مدينة سبته فخرج إليه بجيش كبير وبينما هو محاصر لسبته بلغه أن " يحيى الناصر " استولى على مراكش فقتل راجعا فتوفي عند وادي أم الربيع . (مجهول : الحلل الموشية ص ١٦٣ - ١٦٤)

(٢) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب ، قسم الموحدين ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ، مجهول : الحلل الموشية ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٣) ألفرد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار ليبيا للنشر ببنغازي ١٩٦٩م ص ٤٤ - ٥٠ .

(٤) هو يوسف بن عبد المؤمن أبو يعقوب ثاني خليفة موحد ٥٥٨هـ / ١١٦٢م وكان ملما بشئون السياسة والرعية ، وكان عارفا للغة وميالا للحكمة والفلسفة ولذا استقدم ابن طفيل وأبو الوليد بن رشد وخاض العديد من الحروب مع النصارى وتوفي في الجزيرة الخضراء بعد أن جرح في حصاره لمدينة " شنترين " ودفن في تينمل بجانب قبر أبيه . (الزركلي : الإعلام ج ٩ ص ٣١٨)

(٥) هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (أبو يوسف المنصور) ولد بمراكش وبويع بعد وفاة والده سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م) وكان معه في موقعة شنترين ، وقد خاض العديد من الحروب استطاع فيها أن يشتت شمل ابن غانية ، وقد عقد ملك طليطلة الفونسو معاهده صلح استمرت خمس سنوات وانتصر على النصارى في موقعة " الارك " توفي في سلا . (الزركلي : الإعلام ج ٩ ص ٢٦٧ - ٢٦٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق إحسان عباس بيروت ١٩٧٧م ج ٧ ص ١٢

(٦) ألفرد بل : الفرق الإسلامية ص ١٤ - ١٥

" عبد المؤمن بن علي " عملات اصغر لتسهيل التعامل ، منها الربع والثلث والخراريب^(١) .

ولقد سك الموحدون بعض العملات الزائفة المعروفة باسم " الجشمة " (العملة الرديئة) وكانوا يصنعونها من النحاس ويطلقون عليها زيفاً اسم الدينار الذهبي^(٢) .

أما وزن العملة الموحدية فكان الدينار القديم صغير الحجم وخفيف الوزن فكان لا يتعدى " الجرامين وخمسة وثلاثين في المائة من الجرام " فأمر المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن " بمضاعفة وزنه ، وأخرجت دار السكة الموحدية بمدينة فاس الدينار الجديد بوزن " أربعة جرامات وسبعين في المائة من الجرام " ^(٣) . فيقول ابن

(١) وقد أشار علي " عبد المؤمن بن علي " بسك العملات الصغيرة هو يحيى بن عبد العزيز ملك بجاية في المغرب الأوسط من دولة بن حماد وهو آخر ملوك بني حماد الصنهاجيين الذي سير له عبد المؤمن بن علي حملته ، فلما وصلت الحملة إلى الجزائر خرج نائب يحيى بن عبد العزيز إلى بونة ومنها إلى قسنطينة تاركاً بجاية فدخلها الموحدون . وامن يحيى بن عبد العزيز على حياته وأهله وعاش في مراكش في تكريم وعطاء حتى وافته المنية. فقد أشار علي عبد المؤمن بن علي بسك العملات الصغيرة ، حيث يتعذر الإنفاق لقلّة العملات الصغيرة " فقال يحيى بن عبد العزيز " أما أنا فعلى من هذا كلفة شديدة ، وعبيدي في كل يوم يشكون إلى ما يلقون من ذلك ، ويذكرون أن أكثر حوائجهم تتعذر لقلّة الصرف ، وذلك أن عاداتهم في بلاد المغرب أنهم يضربون أنصاف الدراهم وأرباعها وأثمانها والخراريب، فيستريح الناس في هذا وتجري هذه الصروف في أيديهم فتتسع ببياعتهم". (عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ابن عذاري المراكشي : البيان ، قسم الموحدين ص ٤٦ ، مجهول : الحلل الموشية ص ١٤٨ - ١٤٩)

(٢) فقد ضرب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ / ١١٦٣ - ١١٨٤ م) ٣٦ ألف دينار من الصفر (النحاس) ناقصة العيار مصنوعة من النحاس مموهة لما طالبه العرب الهلالية (ينسبوا إلى هلال بن عامل بن صعصعة ، وبنو عمومتهم بنو سليم بن منصور بن قيس عيلان بن مضر . وصلوا لبلاد المغرب من برقة " ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م " وكان عددهم في المغرب ١٠٠.٠٠٠ (مائة ألف) كانوا تحت قيادة يحيى بن الرياص شيخ بني رياح أحد فروع بني هلال ، وقد سيطروا على طرابلس ودخلوا في حروب في بلاد المغرب . وقد وصفهم ابن خلدون لدخولهم إفريقية " كالجراد المنتشر لا يَمرون على شيء إلا أتوا عليه " بفداء أخوية بعد أن وصله خبر أسرهما سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ومن كان معهما من خدمهما وحاشيتهما . (عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٧١ ، ابن عذاري المراكشي : البيان ، قسم الموحدين ص ١٠٩ ، ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٣٩٣ حاشية (٤) ، ابن خلدون : العبر : ج ٤ ص ١٣١)

(٣) علي بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ٤٩ حاشية (١)

عذارى : " ولم تزل همة المنصور تتبع جزئيات المملكة بالتفخيم ، وبجبل النظر فيما بقى منها للتكميل والتعميم ، فرأى أن الدينار القديم يصغر عن رأى ما ظهر بالمملكة من المنازع العالية ، وإن جرمه يقل عما عارضة من المناظر الفخمة الجارية ، فعظم جرمه ورفع قدره بالتضعيف وسومه ، فجاء من النتائج الملوكية والاقتراعات السرية جامعاً بين الفخامة والنماء الطيب وشرف الانتماء" (١) .

وكان الدينار الموحدى يضرب في مدينة فاس في مركز السك من الدار الواقعة بالقصبة القديمة ، وكانت تمتاز بالجودة وصحة الوزن (٢) ، وكذلك السكة في مراكش (٣) . وتجدر الإشارة إلى انه كان يوجد نسختان تختصان بالسكة إحداها تسمى " الإمام " وهو اسم يطلق على النسخة الأساسية لدار السكة ، وتعتبر القدوة التي يتخذ بها في حالة حدوث خطأ أو غش في السك ، وهى لا تخرج من دار السكة إلا للضرورة . والأخرى تستعمل في اختبار الأوزان المستعملة عند التجار والباعة من أهل الصناعة مرة كل أسبوع أو كل شهر (٤) ، فإن حدث أي لبس أو اختلف الوزن في صنع احدهم وجب عليه الرجوع للنسخة الأصلية " الإمام " . ولذا كان من واجب ناظر دار السكة المحافظة عليها وعدم إخراجها مع الاهتمام بالنسخة الأخرى وكذلك " الصنّج " (٥) المستعمل لديه في الأوزان خوفاً من ضياع أحدهما .

وكان الجهاز الإداري لدار السكة في المغرب الأقصى وخاصة في مدينة فاس يتكون من (الناظر والشهود والفتاح) (٦) . وكانت العملات تنسب إلى البلاد التي

-
- (١) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ، القسم الموحدى ص ١٨٢ - ١٨٣
 (٢) على بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ٣٧ ، الجزائى : جني زهرة الاس ص ٣٣ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ٥٧ ، الونشريسي : المعيار ج ٥ ص ١٨٩ .
 (٣) محمد المنونى : ورقات عن حضارة المرينيين ص ١٣١ .
 (٤) على بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ٤٨ - ٤٩ .
 (٥) الصنّج : هي قطعة من الزجاج في حجم الدرهم أو اكبر أو اصغر يرسم على احد وجهيها كتابة بارزة تمل على وزنها . وهو وزن الذنانير أو الدراهم الشرعية ، وفى اغلب الأحيان يكتب عليها اسم الأمير أو الوالي الذي أمر بضربها ، وبعد تقدير وزنها الثابت والمعمول به رسمياً تطبع في دار الضرب ثم توزع على الصيارفة والتجار حتى يختبروها ، وقد تنوعت " الصنّوج " بتنوع الأغراض المستعملة لها ، فمنها الخاص بالمجوهرات ، وآخر للأدوية وكذلك هناك صنّج للقطور ، ويتم التعرف عليهم من الكتابة المطبوعة عليهم (حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ١٩٦٤م ج ١ ص ٤١٩ - ٤٢٠)
 (٦) الفتاح : يعنى الذي يضع الرسم الذي ستسك عليه العملة ويكتب نصها . (محمد المنونى : ورقات عن حضارة المرينيين ص ١٣٢)

سكت فيها فيقال الدرهم التلمساني ، والسبتي والقرطبي إلى غير ذلك^(١). فقد ورد عند " السبتي "^(٢) ذكر دار الإشراف على سكة المسلمين بقصبة مدينة سبتة ، وكذلك وُزِدَ في الدوحة المشتبكة إشارة إلى دار السكة بسجلماسة وأمينها وساهلها^(٣) . فقد كان الدرهم الموحدى يضرب في مدن كثيرة في المغرب الأقصى^(٤) .

وكانت العملة السائدة في المغرب الأقصى قبل عصر الموحدين العملة المرابطية . فالدينار المرابطى يسك من الذهب الذي كان يأتي من السودان^(٥) .

وبعد معركة الزلاقة (٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م)^(٦) نقش على الدينار المرابطى " لا اله إلا الله محمد رسول الله " وتحتها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين^(٧) . وكتب

(١) على بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ٤٨ .

(٢) السبتي : اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار ص ١٥ .

(٣) على بن يوسف الحكيم : نفس المصدر ص ٣٧ - ٣٨ .

(٤) على بن يوسف الحكيم : نفس المصدر ص ٤٩ . وفي عهد الخلفية الموحدى الرابع الناصر محمد (٥٩٥ - ٦١٠ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٣ م) أعد دار ضرب النقود من الدنانير بقصبة فاس حيث تم بناءها سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ م وأعد بها مودعا للأموال ولطوابع سكتها ، وغالب ما كان يسبك بها الذهب حيث يتم سك الدنانير " أما الدراهم فكانت تضرب في مختلف مدن دولة الموحدين ، وكان الناس يتعاملون بكل سكة منها . (الحسن بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ٥٠ ، محمد المنونى : حضارة الموحدين ص ١٧٢)

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤

(٦) موقعة الزلاقة : اعترز يوسف بن تاشفين وقومه المرابطين ، كانت تحدهم نزعة الجهاد في سبيل الله . لمواجهة ملك قشتالة عقب استيلائه على طليطلة واستتجاد ملوك الطوائف بيوسف ابن تاشفين واستقبال المعتمد بن عبادة ليوسف بن تاشفين، ووصلت إلى الفونسو السادس ملك قشتالة، أنباء عبور المرابطين إلى شبه الجزيرة ، وحاول الفونسو خديعة المسلمين ، وانهزم الجيش النصراني ولم ينج سوى خمسمائة فارس وملك قشتالة فروا وكان يوم الزلاقة من أيام الإسلام المشهوددة في انتصاره على النصرانية . وتختلف الروايات في تحديد تاريخ المعركة. فابن خلكان وابن الأثير ٤٧٩ هـ والمراكشي وابن بن زرع ٤٨٩ هـ (مجهول : الحل الموشية ص ٣٥ ، ٣٨ ، المقري : نفح الطيب ج ٢ ص ٥٢٧ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ٩٦ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٥٢ ، الحميري : الروض المعطار ص ٩٢)

(٧) هو يوسف بن تاشفين ابن عم أبو بكر اللمتونى الذي وكل شئون المغرب لابن عمه يوسف ابن تاشفين بعد وفاة عبد الله بن ياسين واختط مراكش ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م . (ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ٨٩ ، ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٨٤)

في الدائرة ومن ينبغي غير ذلك فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . أما الوجه الآخر من الدينار كتب " اسم الخليفة العباسي " مما يعنى أن المرابطين كانوا حريصين على أن يظهروا بمظهر التابعين للخلافة العباسية في بغداد^(١) .

أما الدرهم المرابطى فكان مدوراً ووزنه درهم وربع سكة من حساب عشرين درهماً للأوقية ، وكانت تضرب في مدينة مراكش بدار الضرب التي أنشأها يوسف ابن تاشفين سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧٧م^(٢) .

• أنواع المسكوكات :

لم تكن النقود في المغرب الأقصى تضرب إلا من الذهب والفضة .
فكان الدينار يسك من الذهب^(٣) . أما الدرهم فكان يسك من الفضة^(٤) .
الدينار الذهبي : كان يزن ٨٤ حبا من حبوب القمح أو الشعير^(٥) . وكان متوسط وزنه بالجرام (٤,٥٦) أي ما يساوى تسعة وستين درهماً صغيراً^(٦) .
الدينار الذهبي الكبير : وهو يفوق في قيمته الدينار الذهبي العادي ، وهو يزن مائة دينار من الذهب^(٧) .
الدينار الفضي : وكان هذا الدينار يتكون من عشرة دراهم صغيرة^(٨) في تجزئة إلى النصف والربع والثلث^(٩) .

(١) ابن أبي زرع : الأتيس المطرب ص ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ابن عذارى المراكشي : البيان ج ٤ ص ٢٦ - ٢٧

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان ج ٤ ص ٢١

(٣) على بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ٤٩

(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٠٧

(٥) على بن يوسف الحكيم : نفس المصدر السابق ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٢١٩

(٦) ابن أبي زرع : الأتيس المطرب ص ٢٩٤ ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ٢٨٩

(٧) المقرئ : أزهار الرياض ج ١ ص ٣٩ ، المنونى : ورقات عن حضارة المرينيين ص ١٢٨

(٨) على بن يوسف الحكيم : نفس المصدر ص ٨٥ ، الجزائى : جني زهرة الأس ص ٦٢ ، ابن

القاضي : جذوة الاقتباس ج ٢ ص ٤٣٨ المنونى : نفس المرجع ص ١٢٧

(٩) على بن يوسف الحكيم : نفس المصدر السابق ص ٥٨ - ٦٢

الدرهم الفضي الكبير : يزن ٢٤ حبة من حبوب الشعير ، ويتجزأ إلى ثلاثة دراهم صغيرة وهو يساوى نصف الدرهم النقرة^(١) المستعملة بمصر والشام^(٢) . وبذلك يصبح الدينار الواحد يعادل ٦٩ درهماً صغيراً^(٣) .

الدرهم الصغير : كان يزن ٨ حبات من الشعير^(٤) . وكان هذا الدرهم يتجزأ إلى "نصف درهم" أو ما يطلق عليه "قيراط"^(٥) ووزنه ثلاث حبات من الشعير ، وهو يساوى سدس الدرهم النقرة^(٦) وكان الدرهم الصغير معروفاً في المغرب الأقصى^(٧) وكان له أجزاء هي "القيراط"^(٨) والفلس^(٩) وكان الفللس (يزن حبة واحدة) مربع الشكل معتدل الزوايا ، وهو مصنوع من مادة (النحاس)^(١٠)

وقد رأى المقرئ أن هذه المسكوكات الصغيرة لا يجب أن يطلق عليها لفظ عملة^(١١) . وكانت المعادن اللازمة لسك العملة مثل الذهب متوفرة في بلاد المغرب أو

-
- (١) الدرهم النقرة : هي عملة ضربت بمصر والشام ويكون من ثلثها من الفضة، والثلث الباقي من النحاس، وتطبع بدور السلطانية على نحو الدنانير . (الشرباصي: المعجم الاقتصادي ص ١٦٠)
- (٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ١١٧ ، على بن يوسف الحكيم : نفس المصدر السابق ص ٨٩
- (٣) ويقول الحكيم " وفيها أي -الأوقية - من الدراهم الصغار اليعقوبية الجارية الآن تسعة وستون درهماً . (الحكيم : نفس المصدر ص ١٠٤)
- (٤) محمد المنونى : وراقات عن حضارة المرينيين ص ١٢٧ ، هامش (٢١٧) ، نقلاً عن تقرير عن تحقيق المد النبوي بالمكتبة الملكية الرباط - ضمن مجموعة تحمل رقم (١٨٧٧)
- (٥) الحكيم : نفس المصدر السابق ص ١٠١ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٣١٧ فيذكر صاحب الذخيرة السنية عند حديثه عن أثمان بعض أنواع الأسماك بأن : الشابل الطري "بقيراط وثلاثة دراهم" أي أن القيراط يساوى ثلث الدرهم (ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ١٠٤)
- محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ص ٢٩٩
- (٦) العمري : مسالك الأبصار ص ١٢٦ ، الحكيم : مصدر سابق ص ٢٠٥ ، القلقشندى : مصدر سابق ج ٥ ص ١٧٧ ، محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ص ٢٩٨
- (٧) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٣٠٢ ، ٣٨٤ ، ٤٠١ ، ٤٠٩
- (٨) القيراط : وزنه ثلاث حبات تقريباً من أوسط حب الشعير (الحكيم : مصدر سابق ص ١٠١)
- (٩) الفللس : يزن حبة واحدة . (الحكيم : نفس المصدر ص ٩٣)
- (١٠) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٢٨٩
- (١١) يقول المقرئ "وأما الفلوس فإنه لما كان في المبيعات من محقرات تقل عن أن تباع بدرهم. أو جزء منه ، احتاج الناس من أجل ذلك في القديم والحديث من الزمان إلى شيء سوى نقدي الذهب والفضة يكون بإزاء تلك المحقرات ، ولم يسم أبداً على وجه الدهر ساعة من نهار فيما عرف من أخبار الخليقة نقداً ولا أقيم قط بمنزله أحد النقاد". (المقرئ : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق د. محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٠م ص ٦٦)

يمكن استيرادها من بلاد السودان الغربي^(١) . والفضة كانت تستخرج في بلاد المغرب من مدينة " زجندر "^(٢) وحصن وركناس "^(٣) ، وقد ظلت النقود تتمتع بقوتها ، حتى طرأ الفساد بسبب تعرضها للتزييف ، وكان دور اليهود في الإقراض بالربا^(٤) .

• السفاتج والصكوك :

إلى جانب التعامل بالنقد ، استعملت وسائل أخرى مثل " السفاتج والصكوك "^(٥) في مختلف الأنشطة التجارية . عرفت أسواق الدول الإسلامية منذ وقت مبكر استعمال السفاتج ، وهي أن تعطى مالا لرجل له مال في بلد تريد أن تسافر إليه فتأخذ منه " سفتجة " لمن عنده المال في ذلك البلد فيعطيك مثل مالك الذي سبق أن دفعته قبل سفرك . وهي من المعاملات الورقية المستخدمة في المجال التجاري ، وتكون بمثابة أمر خطي يدفع بواسطته مقدار معين من النقود على الشخص المسمى فيه^(٦) . ولقد

(١) عبد العزيز عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، دار السلمي، ط ١، المغرب، ١٩٥٧-١٩٥٨ م ، ج ٢ ص ٢٦ .

(٢) زجندر : مدينة صغيرة بالسوس الأقصى يستخرج منها معدن الفضة ويسكنها الذين يستخرجون هذا المعدن وهي معروفة باسم مدينة المعدن . (عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٦١)

(٣) حصن وركناس : يقع هذا الحصن بالقرب من مكانة . (عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٦٢)

(٤) الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ٨٢ ، ٩٦ وقد استخدم أيضا أبو يحيى بن الشيخ أبي حفص الذي كان واليا على بطليوس في الأندلس جنوب موقعة الزلاقة ، من قبل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م في فداء أسرى المسلمين حيث دفع ثلاثمائة دينار جسمية . ولم يكن التزييف قاصرا على الدولة فقط بل تم القبض على عدد ممن يزورون الدراهم الموحدية . كما قام نصارى الأندلس واليهود بتزييف العملة الموحدية . وكان يتم التزييف بإضافة معادن رخيصة إلى فضة الدراهم . (ابن عذارى المراكشي : البيان ، قسم الموحدين ص ١٠٩ ، التادلي : التشوف إلى رجال التصوف ص ٢٢٩ - ٢٣٠)

Alfred Bel : contribution al'etude des dirhems de L'epoque Almohada d'apres un grooooooupe Important des ces monnaies , recemment decouvert a Telmcen , He paris 1933, Tome XVI Fox 1 el I 1 . p. 5 7

(٥) الصكوك : مفردة صك وهي كلمة عربية وكانت الأوراق تسمى كذلك لأنها تخرج مكتوبة من المحرر إلى الصيارفة بدفع مقدار من النقود لحامل الصك وهو الشيك المعروف حاليا . (محمد على الفاروقي : كتاب كشاف اصطلاحات الفنون ، تصحيح محمد وجيه وآخرون ، طبعة شيانك سيوسيم أف بنكال ١٨٦٣م ، مج (١) ص ٦٣٦ - ٦٣٧)

(٦) ابن منظور : لسان العرب ص ٢٤٧٥ ، عيسى بن الذيب : مرجع سابق (رسالة ماجستير)، ص ٢٦٠ .

استخدمها التجار المغاربة في المغرب الأقصى في معاملاتهم المالية الكبيرة ، (هـى الشيك السياحي Traveller Cheque) .

وذلك لان التعامل بالمبالغ الكبيرة أصبح يواجه بعض الأخطار وخاصة من ناحية نقلها من بلد إلى آخر ، لذلك لجأ التجار إلى استعمالها حتى لا تتعرض أموالهم للصوص وقطاع الطرق .

أما الصك : فقد أورد " ابن قتيبة " (١) روايات تؤكد استخدام الصك في التعامل منذ صدر الإسلام . ولم يقتصر استخدام الصكوك على التعامل التجاري بل استخدمه الأمراء والخلفاء في بعض الأحيان لدفع المنح والعطايا إلى الشعراء والفقهاء والمقربين (٢) . وكان على محرر الصك أن يتحرى الدقة عند كتابته ، حيث يكتب فيه اسم صاحبه ومقدار المبلغ الواجب دفعة وموعد الاستيفاء ، وقد يؤرخه ويختم عليه بختم خاص ويصدق عليه (٣) .

وكانت هذه الصكوك تثبت في الدواوين باعتبارها من النفقات التي ثم صرفها من بيت المال ، وكان صرف الصك من الصيارفة يقتضي أخذ عمولة عليه وكانت الصكوك في العادة تصرف أما عند الصراف أو في بيت المال (٤) .

وقد استخدمت السفاتج داخل الأسواق في دفع الديون ، وكان الهدف هو نقل النقود من مكان لمكان دون التعرض لأخطار الطريق (٥) . فهي وسيلة للحيلولة دون نقل المبالغ الكبيرة من بلد لآخر . وكان يستخدم أيضا في تحويل الدين من شخص

(١) أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة : المعارف ، تصحيح وتعليق محمد إسماعيل عبد الله الصاوي المطبعة الإسلامية بمصر ، ط (١) القاهرة ١٩٣٤م ص ٦٤

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي : المنتظم في تاريخ أخبار الإمام ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٩ مج ، ط (١) حيدر آباد ١٩٣٨م مج ٦ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، عيسى بن الذيب : نفس المرجع (رسالة ماجستير) ص ٢٦٠ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٥ .

(٤) عيسى ابن الذيب : مرجع سابق ص ٢٦١ . يذكر أن " تجار سجماسة كانوا يتبادلون فيما بينهم صكوكا تتراوح قيمتها ما بين أربعين ألف ديناراً " (الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٣٧ - ٣٨) " ولقد رأيت بأودغست صكاً فيه ذكر حق بعضهم على رجل من تجار أودغست وهو من سجماسة ياتنين وأربعين ألف دينار . (ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٩)

(٥) محمد علي الفاروقي : كتاب كشاف اصطلاحات الفنون ، مج (١) ص ٦٢٧ .

آخر ، وأصبح من الممكن تصفية الحساب بين تجار من مدن وأقاليم مختلفة ومتعددة دون الحاجة لنقل النقود ، وعلى الرغم من أن فقهاء المالكية كرهوا إحالة السفاتج أو الصكوك على الصيارفة واعتبروها ربا^(١) .

إلا أن هذا لم يمنع التجار من استخدامها ، وأشارت أوراق " الجينيزة "^(٢) ، إلى أن " السفاتج " استخدمت في التعامل التجاري بين بلاد المغرب والأقاليم الأخرى المجاورة .

• الحوالات :

هي مأخوذة من التحويل بمعنى الانتقال ، والمقصود هو نقل الدين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه^(٣) . وهي تعنى أيضاً أن يعطى تاجر مالاً لمن له مالاً بالبلد الذي يريد أن يسافر إليه بأسعار صرف ذلك البلد^(٤) . ويقوم الصيارفة في أغلب الأحوال بمهمة تحويل تلك الحوالات إلى نقود مقابل خصم نسبة من المبلغ المحول^(٥) .

ويرى الكثير من الفقهاء أن الحوالة هي نوع من أنواع الربا ، ولذلك نهوا عن التعامل بها^(٦) فلا تصح الحوالة إذ كان الدين من الذهب ليأخذ بدلاً منه فضة ، وذلك لوجوب تماثل الحقين في الجنس والقدر والحلول والتأجيل .

• الصيارفة :

هم مجموعة من الأفراد تتعامل في بيع وشراء وتحويل العملة نظير الفائدة ، وقد حرم المسلمون تعليم أبنائهم هذه المهنة حتى لا يقعوا في شبهة الربا ، أما اليهود

(١) الونشريسي : المعيار المغرب ج ٦ ص ٣١٥ - ٣١٦ .

(٢) الجينيزة : كلمة تطلق على مجموعة من الأوراق والكتب والمخطوطات التي وجد أشهرها مدفونا في الكنس اليهودي في منطقة مصر القديمة والبساتين وتعود إلى الجماعة اليهودية في العصر الفاطمي والعصر الأيوبي ، وهي توضح مدى الحرية وحسن الجوار اللذين تمتعا بهما اليهود في ظل حكم المسلمين . (محاسن محمد الوقاد: لليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجينيزة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٩م ص ٥)

(٣) الشافعي : الأم ج ٣ ص ٢٠٣ ، ابن رشد : بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٦٣ ، عطا شحاتة : اليهود في بلاد المغرب الأقصى ص ١٧٨ .

(٤) عاشور برشامه : علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب الأقصى والأندلس ص ٣٦٣ .

(٥) عاشور بو شامة : نفس المرجع ص ٣٦٤ .

(٦) الونشريسي: المعيار ج ١٢ ص ٦٤ ، الحكيم: الدوحة المشتبكة في معالم السكة ص ١٠٩-١١٠

فيتعاملون بالربا مع غيرهم ولايتعاملون بينهم بالربا ، وكان على الصراف أن يكون على دراية تامة بشأن أسعار صرف العملات والتغيرات التي تطرأ عليها ليتسنى لهم مقارنتها مع قيمة العملة المحلية .

ف نجد صاحب كتاب الدوحة يعرفهم بأنهم جماعة الصرافين المستقرين بسوق الصرف والذين يشتغلون في صرف النقود وبيع المعادن النفيسة^(١) . وقد امتد نشاطهم إلى القروض والرهن والحوالة . ولقد سيطر على هذا المجال بصفة عامة الصيارفة اليهود ، لما يترتب عن هذه المهنة من معاملات ربوية محرمة^(٢) ، ومن هنا فقد وضع الفقهاء للتجار المحاذير والحدود الواجب الالتزام بها في التعامل مع الصيارفة اليهود في ذلك الميدان^(٣) .

وقد ظهر ما يعرف بالحوالة على الصيارفة ضمن المعاملات التجارية ، فكان التجار المغاربة يدفعون لهم الدراهم ويأخذون الدنانير ، لشراء ما يريدون من بضائع ثم يرسلون من ابتاعوا منهم إلى الصيارفة المتعاملين معهم . ولعل أوضح مثال هو ما سئل عنه " الونشريسي " ومفاده أن التجار الصغار أصحاب الأسواق من الكتانيين والقطانيين والزياتين وغيرهم ، كانوا اعتادوا دفع أموالهم إلى الصيارفة ويكتبونها عليهم بدنانير ويحولون بها عليهم من يشتررون منه ، وخوف بعض كبار التجار من قبول حوالتهم عليهم ، خشية ضياع حقوقهم^(٤) .

ووردت نازلة في المعيار تحت عنوان " السلف بشرط الحوالة " وقد أجاب عنها الشيخ عبد الله العبدوسي^(٥) فقال " مثل أن يسلفه دراهم أو طعاماً أو دنانير على أن يحيله بها على غريمه فلان ... " ^(٦) .

(١) الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ١٠٩ ، ١٣٣

(٢) الونشريسي: المعيار ج ٥ ص ٢٤٤-٢٤٦ ، ج ١٢ ص ٦٢ ، الحكيم: نفس المصدر السابق ص ١٣٥ - ١٣٧

(٣) الونشريسي : نفس المصدر السابق ج ٥ ص ٢٤٤ ، ج ٦ ص ٣٠٦

(٤) الونشريسي : مصدر سابق ج ٦ ص ٣١٥ - ٣١٦ ، ٣٢٤ . وقد أجاب عنها أبو الفرج وهو معاصر للمازوري ، بأنها معاملة فاسدة وإن شاعت وجب على السلطان قطعها لأنها ربا .

(٥) هو عبد الله بن معطى العبدوسي الفقيه والخطيب بجامع القرويين ، توفي سنة (٨٤٨ - ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م) (ابن القاضي : جذوة الاقتباس ج ٢ ص ٤٢٥)

(٦) الونشريسي : مصدر سابق ج ٦ ص ١٣٠ .

• المكوس (المغارم) :

كانت " المكوس " ^(١) تحقق دخلاً كبيراً لخزانة الدولة ، وهي ضريبة يفرضها القصر السلطاني ^(٢) . وكانت بعض المكوس تفرض على السلع المارة في أماكن العبور ^(٣) .

ولم يكن فقهاء المسلمين ينظرون إلى هذه الرسوم " المكوس " بعين الرضا ، لأنهم يرونها رسوماً غير شرعية ^(٤) . نظراً لعدم وجود سند شرعي لها . كما كانت هناك الضرائب المعروفة باسم (القبالات) ^(٥) . وقد استخدم هذا الاسم في كل من المغرب والأندلس ليدل على الضرائب التي كان يؤديها أصحاب الحرف أو تجار السلع الرئيسية ^(٦) . وهناك ضرائب أخرى تفرض على السلع والمكائيل وغير ذلك ^(٧) .

ولقد قامت في المغرب الأقصى دولة المرابطين (٤٦٣ - ٥٤١ هـ / ١٠٧١ - ١١٤٥ م) ^(٨)

(١) ابن مرزوق : المسند الصحيح ص ١٦١ ، حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ص ٣٥٧

(٢) المقرئ : أزهار الرياض في أخبار عياض ٣ أجزاء ج ١ ص ٣٩ ، محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ص ٢٨٠ - ٢٨١

(٣) حسن على حسن : مرجع سابق ص ٢٢٦

(٤) ابن القيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، حققه وعلق على حواشيه طه عبد الرؤوف سعد ، دار ابن خلدون ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥ م ج ١ ص ١٢٤ . نعيم فهمي ذكي : طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، الهيئة المصرية سنة ١٩٧٣ م ص ٣٥٤ .

(٥) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٧٥ . القبالة : هو أن يجعل الشخص قبلاً ، أي كفيلاً بتحصيل الخراج وأخذه لنفسه ، مقابل قدر معلوم يدفعه وهو ما يعرف بنظام الالتزام فيستفيد السلطان بتعجيل المال ، ويستفيد المتقبل الفرق بين ما دفعه وما حصله (محمد ضياء الدين الرئيس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار الأنصار ط (٤) القاهرة سنة ١٩٧٧ م ص ٢٦١)

(٦) حسن على حسن : المرجع السابق ص ٢٢٥

(٧) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ص ٧٩

(٨) أسس دولة المرابطين عبد الله بن ياسين الفقيه المالكي وأبو بكر اللمتوني وبعد وفاة عبد الله بن ياسين وكل أبو بكر اللمتوني ابن عمه يوسف بن تاشفين وأرادوا أن يطبق شرع الله والقضاء على الضلالات والجهل بالدين . (ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٨١ ، ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٠٩)

وولاية الأمر يؤكدون المعنى الديني الذي تأسست عليه الدولة ، هو القضاء على الضلالات المنتشرة والجهل بأحكام الدين ، وإلغاء كل الرسوم والضرائب التي لم يرد فيها نص من كتاب الله أو سنة نبيه ، وقد ذكر ابن أبي زرع بقوله " وأزال المكوس وأسقط المغارم المخزونية ، وترك ما أوجب الكتاب والسنة تركه " (١) .

ومن هنا كانت مصادره المالية هي الزكاة^(٢) والعشور^(٣) ، وجزية أهل الذمة^(٤) وأخماس غنائم المشركين^(٥) .

وكانت لهذه السياسة الحكيمة في بداية عصر المرابطين . أثرها في ازدهار الحركة التجارية ، ومضاعفة الإنتاج وزيادة دخل الفرد ، إذا كان طبيعياً أو تؤدي هذه السياسة إلى التخفيف عن كاهل التجارة مما يشجع التجار على المغامرة وارتداد الأسواق دون أي خوف ، ماداموا يؤدون عن أرباحهم ما يفرضه الدين من زكاة^(٦) .

ولقد التزم المرابطون بأحكام الشرع ، ولم يفرضوا إلا ما جاء به الكتاب والسنة وألغوا ماعدا ذلك من الضرائب ، سواء في المغرب أو الأندلس^(٧) . أما في آخر فقد العهد كثرت الضرائب والمكوس^(٨) .

Ahmad Saeed Rizq

- (١) ابن أبي زرع : نفس المصدر ص ٢٠.
- (٢) الزكاة اسم لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء ، وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة والنماء والطهارة . (السيد سابق : فقه السنة ، مجلد (١) ص ٢٣٥)
- (٣) العشور : زكاة في عروض التجارة قدر نصاب وهو ٤/١ عشر قيمته والذمي ٢/١ عشر ويدفع القاد من أرض الحرب عشراً كاملاً (أبو يوسف: كتاب الخراج ، ص ١٣٥ - ١٤٠ ، محمد حسن أبو يحيى : نظام الأراضي في حدود الدولة الإسلامية ، ط ١ ، دار عمار ، عمان ١٩٨٨م ص ٢٢٤ - ٢٢٨)
- (٤) جزية أهل الذمة : مبلغ من المال يوضع على من دخل في ذمة المسلمين وعهدهم من أهل الكتاب . (السيد سابق : فقه السنة المجلد (٣) ص ٤٩ - ٥٢)
- (٥) أخماس غنائم المشركين : المال المأخوذ من أعداد الإسلام عن طريق الحرب والقتال . (السيد سابق : فقه السنة المجلد (٣) ص ٥٤ - ٥٩ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ج ٢ ص ٢٠)
- (٦) البكري: المغرب ص ١٦٤ ، ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ١٠٦ ، ١٠٧ .
- (٧) عيسى بن الذيب : مرجع سابق (رسالة ماجستير) ص ١١٣
- (٨) قد فرضت دولة المرابطين في أواخرها مكوس على أماكن العبور وقد اعترض "ابن تومرت" على من طالبة بالمكوس حين أراد عبور " وادي أم الربيع " ووضح البيهقي ذلك قائلاً : " ثم جدبنا حتى وصلنا وادي أم الربيع .. فأرندنا الجواز فمنعونا حتى نعطي المكس ... وقالوا لنا

ولم يكن المتقبل والخراص يحصل على راتب من الدولة ، إنما جعلت أجرهم على أهل الزراعة والأموال^(١) . وتعسف المتقبلون في جباية ضريبة الرحاب^(٢) .

أما عند قيام الدولة الموحدية ، حرص الخليفة " عبد المؤمن بن علي " على إلغاء الرسوم والمكوس التي تخالف الشرع والتي فرضها المرابطون^(٣) . فقد اعترض ابن تومرت على من طالبه بالمكوس حين أراد عبور " وادي أم الربيع " ^(٤) .

وقد صدرت الرسائل الرسمية ، تعبر عن رفض الخليفة " عبد المؤمن بن علي " لكل أنواع المكوس والقبالات التي فرضها المرابطون لمخالفتها الشرع ومن هذه الرسائل الرسالة الصادرة من " تينمل " ^(٥) . في السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٣م وهي موجهة إلى جميع الطلبة بالأندلس ومن صاحبهم من المشيخة والأعيان والكافة ، جاء فيها " ولقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات ، وتحجير المراسي وغيره ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرماً وإفكاً وأدناها إلى من تولاها دماراً وهلاكاً... هل قام هذا الأمر العالي إلا لقطع أسباب الظلم وعقله؟ وتمهيد سبيل الحق وطرقه ؟ وإجراء العدل على غاية شأوه وطلقه؟ " ^(٦) .

Ahmad Saeed Riza

تعطوا على كل رأس كذا وكذا ... وصاح عليهم حتى جزنا وكان في بعض ما قال لهم إنما السبيل للمسلمين ، وانتم تقطعونها وهذا غير جائز في الشرع . (البليذق : أخبار المهدي بن تومرت ص ٤٦ ، عيسى بن الذيب : مرجع سابق ص ١١٥) وقد كانت أكثر الصنع بمراكش متقبلة ، عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون والصفر والمغازل وكانت القبالة على كل شيء نق أو جل كل شيء على قدره . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٥)

(١) المتقبل : هو اسم من يكون مسئول عن الضريبة . الخراص : هو الذي يقوم بتدبير الثمار خاصة في النخل والكروم وغيرها . وقد ذكر ابن عبدون " أن المتقبل شر خلق الله ، وأنه خلق للضرر يجرى ويسعى لضرر المسلمين أبداً ، ويفتح أبواب الضرر عليهم ، ويغلق أبواب الخير والنفع عنهم " كما يستوي عنده في الصفة الخراص . (ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة ص ٣٠-٣١ ، عيسى بن الذيب : مرجع سابق ص ١١٤)

(٢) الرحاب : ضريبة تدفع على أسواق المواشي والحبوب . (ابن عبدون : نفس المصدر ص ٣١ ، عيسى بن الذيب : نفس المرجع ص ١١٤)

(٣) عيسى بن الذيب : نفس المرجع ص ١١٥

(٤) البليذق : أخبار المهدي ص ٤٦

(٥) تينمل : هي إحدى الحصون الواقعة في جبل درن ويعد هذا الحصن أمنع الحصون وذلك لأن الصعود إليه صعب إذ لا يصعد إليه إلا من مكان ضيق جداً . وقد اتخذ ابن تومرت في أول ظهوره مخزناً لأمواله ودعوته ... بعدما زاد في تحصينه وبهذا الحصن قبره . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٠)

(٦) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٥٦ - ١٥٧

وقد اختلفت هذه المكوس والضرائب باختلاف المراحل التي مرت بها الدولة الموحدية ، حيث تنقسم دولة الموحدين إلى عصرين ، عصر القوة والازدهار . وعصر الضعف والتدهور الذي انتهى بسقوط الدولة الموحدية .

العصر الأول : القوة والازدهار (٥٤١ - ٦٠٩ هـ / ١١٤٥ - ١٢١٢ م) ، لم تقرض خلال هذا العصر أي مكوس أو ضرائب ، إلا ما تقرضه الشريعة الإسلامية . وقد ركز " عبد المؤمن بن علي " على ما توجبه السنة وتطلبه^(١) . فاقترضوا على الزكاة والعشور وأخماس المعادن والغنائم والخراج^(٢) .

ولقد اهتم " عبد المؤمن بن علي " وخلفاؤه بتعقب عمال الجباية ومحاسبتهم وكانوا يسألون عنهم الرعية^(٣) . ويذكر الإدريسي بقوله " فلما ولي المصامدة (الموحدون) وصار الأمر إليهم قطعوا القبالات بكل وجه وأراحوا منها ، واستجلوا قتل المتقبلين لها ، ولا تذكر الآن القبالة ذكراً في شيء من بلاد المصامدة^(٤) .

ويذكر ابن خلدون عن اتساع موارد الدولة الموحدية في المغرب " وقطر المغرب وإن كان في القديم دون إفريقية فلم يكن بالقليل في ذلك . وكانت أحواله في دولة الموحدين متسعة وجباياته موفورة^(٥) .

وفي عهد الخليفة " يوسف بن عبد المؤمن " كثرت النعم في سائر بلاد المغرب والأندلس وعم الرخاء ، ونمت الجبايات والخراج وانتعشت حركة العمران في العاصمة الموحدية (مراكش)^(٦) . وقد عاقب الخليفة " يوسف بن عبد المؤمن " سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م مشرف المخزن (بيت المال) وعامل مدينة فاس نتيجة

(١) غيد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٢٧ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ١٢٣ .
(٢) الخراج : على الأرض التي فتحت عنوة وتركت في أيدي أهلها نظير خراج معلوم أما الأرض التي اسلم أهلها عليها طوعاً أو فتحت عنوه وقسمت بين الفاتحين أو أحيائها المسلمون . (السيد سابق : فقه السنة المجلد الأول ص ٢٥٤ ، عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي ص ١٧٣)
(٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ١٧٨ ، عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٨٥ -

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٦٧

(٦) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٢٤٨ - ٣٥١ ، ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ،

قسم الموحدين ص ٧٤ ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين ج ٥

اختلاسهم وألزمهم برد الأموال إلى المخزن وعين عليهم رقباء حتى يؤدون ما عليهم بأقساط^(١) .

وفي عهد الخليفة " يعقوب بن يوسف عبد المؤمن المنصور " ، كان يجلس للنظر في المظالم بنفسه لإجراء العدل ، واتخذ مجلسه بالمسجد الجامع ٥٨٠هـ / ١١٨٤م وكان يجلس فيه من الضحى إلى قرب الزوال . ويستمع إلى الدعاوى المدعين من السوق والتجار^(٢) . وقد التزم " أبو يوسف المنصور " بأحكام الشريعة وسنها ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣) . وكان يحرص على اختيار القائمين على أعمال الجباية من الرجال ذوي الأمانة والنزاهة^(٤) .

وفي عهد الخليفة الموحدى " أبى محمد الناصر " قد شكأ إليه أهل فاس سنة ٦٠٤هـ - ١٢٠٧م من ظلم عامل الخليفة على فاس " أبى الحسن بن أبى بكر " وكذلك اشتكى أهل مكناس من ظلم عامل الخليفة على مدينة مكناس " أبى الربيع بن أبى عمران " فأمر بالقبض على عامل فاس ومكناس واستصفاة أموالهما^(٥) . فقد اهتم الخليفة الناصر في مساعلة وإقصاء العمال المرتشين والظالمين^(٦) .

وفي أواخر عهد "الناصر" وبداية الأزمة المالية جعل السلطة المالية في يد مشرف مالي أطلق عليه (إشراف البرين) (المغرب والأندلس) وضم الأعمال وتنفذ الأشغال^(٧) . وقد كان الناصر يحاسب عمال الجباية باستدعائهم إلى الحضرة بأعمالهم وكتائبهم المقيدين لأشغالهم^(٨) .

(١) بيت المال في دولة الموحدين يطلق عليه (المخزن) ، أما المسئول عن بيت المال فيطلق عليه مشرف المخزن . (ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ١٣٠ ، ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ص ١٣٢ ، محمد عبد الله عنان : مرجع سابق ص ١١٥)

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان ، قسم الموحدين ص ١٤٥ ، محمد عبد الله عنان : نفس المرجع ص ١٤٣ .

(٣) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص ٢٠٥ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٥٧ ، المقرئ : نفح الطيب ج ٢ ص ٥٣٦ ، محمد عبد الله عنان : نفس المرجع ص ٢٣٩ .

(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ١٥٠ .

(٥) ابن عذارى المراكشي : مصدر سابق ص ٢٢٥-٢٢٦ .

(٦) محمد عبد الله عنان : مرجع سابق ص ٣٢٥

(٧) ابن عذارى المراكشي : مصدر سابق ص ٢٥١ . يطلق على عامل الجبايات صاحب الأشغال . (ابن خلدون : المقدمة ج ١ ص ٢٤١-٢٤٥)

(٨) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر السابق والصفحة .

وفى ظل هذه الرقابة المحكمة من خلفاء الموحدين ، نشطت التجارة الداخلية في المغرب الأقصى في العصر الأول (٥٤١-٦١٠هـ / ١١٤٥-١٢١٣م) لدولة الموحدين ، وانتظمت موارد الدولة بالطرق الشرعية ، ولم تفرض مكوس (ضرائب) مخالفة لما ينص عليه الشرع .

أما العصر الثاني أو المرحلة الثانية (٦١٠-٦٦٨هـ / ١٢١٣-١٢٦٩م) الضعف والانحيار بدأ يحيط بدولة الموحدين بعد موقعة العقاب ٦٠٩هـ / ١٢١٢م^(١).

بدأت الأحوال المالية تتأثر في الدولة ، وتتهار موارد الدولة الاقتصادية الضخمة تباعاً ، سواء بالمغرب أو بالأندلس^(٢) ، ففي عهد " يوسف بن الناصر محمد " المكنى بالمستنصر بالله (٦١٠-٦٢٠هـ / ١٢١٣-١٢٢٤م)^(٣) .

وفى سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م ظهور طلائع بني مرين في أحواز مدينة فاس^(٤).

(١) موقعة العقاب (٦٠٩هـ / ١٢١٢م) : لقد انشغل الناصر محمد بقمع الفتن في بلاد المغرب وإفريقيا (تونس) وأراد ملك قشتالة الفونسو الثامن الانتقام لمعركة الارك (٥٩١هـ / ١١٩٤م) فأنهى خلافاته مع القوى المسيحية واستجد بالبابا وكون قوة مسيحية لمحاربة المسلمين ، وتحرك الناصر بجيش كبير وتم اللقاء في سهل مليء بالتلال الصخرية القليلة الارتفاع تسمى بالعقاب وقد استولت الجيوش المسيحية على قلعة رباح ، فأمر الناصر بقتل قائدها يوسف بن قادس الأندلسي بإيعاز من وزير الخليفة أبو سعيد بن جامع ، وارتاع الأندلسيين وتفرقوا من ذلك فضعف شأن " الناصر " وقد هاجم النصارى المسلمين بعنف وضراوة وتعتبر هذا الموقعة بداية لضعف شامل أصاب الدولة . (ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ١٥٥ - ١٦٠ ، عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ١٨٣ ، المقرئ : نفح الطيب ج ٢ ص ٥٣٨ ، السلاوي الناصري : الاستقصاء ج ١ ص ١٩١ ، محمد عبد الله عنان : مرجع سابق ص ٢٨٢-٣٠٢ ، عصام الدين عبد الرؤف الفقي : مرجع سابق ص ٢٧٥ - ٢٧٦)

(٢) محمد عبد الله عنان : مرجع سابق ص ٣٢٨

(٣) يوسف بن محمد بن الناصر بن يعقوب المنصور بويج بالخلافة بعد وفاة أبيه وكان عمره أربعة عشر عاماً واستمر حكمة عشر سنوات . (عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٦٦ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ١٩٦-١٩٨ ، الذخيرة السنية ص ٥٤)

(٤) قد ذكرنا في هذا البحث ، في التمهيد ص ١٧ (في الهامش) عن بني مرين . فيعيد هزيمة الجيش الموحدى في محاربته لبنى مرين أطلق على هذا العام عام المشعلة حيث استتر الجند في دخولهم فاس بهذا النبات المسمى المشعلة فراراً من بني مرين . (ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ٢٨ ، ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٦٩) وقد شن المريبين حملة عسكرية في نفس العام على رباط تازا (في جبال تازا وهى على الطريق بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط لبلاد المشرق) . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٣٥٤-٣٥٥)

وفى عهد الخليفة "أبا محمد عبد الواحد" المخلوع (٦٢٠هـ / ١٢٢٢م) (١) أمر بمحاسبة ابن اشرفى صاحب المخزن (بيت المال) ، ومطالبته بالمال (٢) .

وفى عهد الخليفة العادل "أبو عبد الله بن يعقوب المنصور" (٦٢١-٦٢٤هـ / ١٢٢٤-١٢٢٧م) (٣) اضطرب الأمن وازدياد الفوضى ، وازدياد شأن بني مرين (٤) .

وتغلبهم على كثير من النواحي والقبائل ، وفرض المغارم عليها ، بل وفرضهم الإتاوات على بعض المدن القريبة من منازلهم ، مثل فاس ، تازا ، مكناسة ، وذلك لكي يكفوا الغارة عنهم (٥)

وقيام عرب الخلط ، وشيخهم هلال بن مقدم وقبائل البربر هسكورة وشيخها عمر بن وقاربط ، بالعيث في نواحي مراكش وتخريبهم بلاد دكالة (٦) .

وفى عهدي الخليفين "يحيى بن الناصر" (٦٢٤-٦٢٧هـ / ١٢٢٧-١٢٣٠م) (٧) "وأبى العلى إدريس بن يعقوب" الملقب بالمأمون (٦٢٤-٦٣٠هـ / ١٢٢٧-١٢٣٢م) (٨)

(١) هو أبو محمد عبد الواحد ابن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وكان قد تجاوز الستين عاماً وهو من اصغر أولاد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وتم اختياره لأن المستنصر كان دون عقب أي (أولاد) ولم يستمر حكم محمد عبد الواحد سوى أشهر من ذي الحجة ٦٢٠هـ ، وتم خلعها في شعبان ٦٢١هـ ، وتم قتله . (عبد الواحد المراكشي: المعجب ص ١٨٧ ، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٢-١٦٣ ، ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ٢٥١-٢٥٢ ، ابن عذارى المراكشي: البيان ص ٤٧)

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٥١

(٣) هو أبو عبد الله بن يعقوب "استمر حكمه ثلاث سنوات وقد تولى بعد خلع عبد الواحد وقتله وكان والياً على مرسية بالأندلس . (ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ١٦٢)

(٤) ابن أبي زرع : المصدر السابق ص ٢٨٨-٢٨٩ ، الذخيرة السنية ص ٣٧

(٥) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ١٦٦ ، ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٧٠

(٦) دكالة : تبدأ من نهر تانسيفت غرباً ، وتنتهي إلى المحيط الأطلسي شمالاً ، وإلى نهر أم الربيع جنوباً . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ١٥٧ الهامش ، ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ٢٥٢)

(٧) يحيى بن الناصر : اختاره الموحدون بعد مقتل العادل وإرسالهم البيعة للمأمون خوفاً من المأمون ، وتم عقد البيعة له في مراكش وظلت فترة حكمه في صراع مع المأمون . (ابن عذارى المراكشي : البيان ، قسم الموحدون ص ٢٥٣ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ١٦٤ ، ١٦٧)

(٨) المأمون: كان والياً على أشبيلية وبعد خلع وقتل أخيه العادل تم عقد البيعة له ثم نكسوا البيعة ، فقدم من الأندلس ومعه قوة نصرانية (ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ١٦٧ ، ابن عذارى المراكشي: البيان ، قسم الموحدون ، ص ٢٦٥ ، ابن الخطيب : الإحاطة ج ١ ص ٤١٩)

حيث أرسل إلى الموحدين بمراكش يدعوهم إلى بيعته ، وإلى الفتك بأخيه العادل وأنهم صدعوا بأمره وقتلوا " العادل " وكتبوا ببيعتهم إليه^(١) . ثم خسوا بعد ذلك بطشه وانتقامه ، فنكثوا البيعة ، وبايعوا إلى ابن أخيه يحيى بن الناصر^(٢) .

وفى عهد " الرشيد بن المأمون بن المنصور " (٦٣٠ هـ - ٦٤٠ هـ / ١٢٣٢ - ١٢٤٨ م)^(٣)

رفع المغارم عن مدينة مراكش^(٤) . وازدياد قوة بني مرين بزعامه الأمير " محمد بن عبد الحق "^(٥) . وفى عهد السعيد بن أبو الحسن " (٦٤٠ - ٦٤٦ هـ / ١٢٤٢ - ١٢٤٨ م)^(٦) .

وعهد " حفص عمر المرتضى " (٦٤٦ - ٦٦٥ هـ / ١٢٤٨ - ١٢٦٦ م)^(٧) ، وأبو دبوس الوائى بالله ٦٦٥ - ٦٦٨ هـ / ١٢٦٦ - ١٢٦٩ م^(٨) . الذي قتل المرتضى ، ثم تنتهي بقتل أبو دبوس على يدي المرينيين وسقوط الدولة الموحدية .

فقد تولى الأمير " أبو بكر بن عبد الحق " وتغلب على الموحدين ودخل مدينة مكناس ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م ثم خلع طاعة الموحدين وبايعوا بني مرين^(٩) ودخلوا فاس

(١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ١٦٦-١٦٧

(٢) ابن عذارى المراكشي: البيان، ص ٢٥٣ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ١٦٤-١٦٧

(٣) الرشيد بن المأمون : بويغ بالخلافة بعد وفاة أبيه المأمون عند عودته بجيشه بعد حصار مدينة سبتة . (ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٤١٧ ، ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ٢٥٣ ، ٢٥٤)

(٤) قرر الرشيد ابن المأمون رفع المغارم عن مدينة مراكش عند عودته مع جيشه بعد حصار مدينة سبتة ، حيث أن اخو المأمون حاكم سبتة أعلن الخلافة سنة ٦٢٩ هـ وبعد حصاره مدينة سبتة فر إلى الأندلس ومات المأمون عند عودته من حصار سبتة ، وتولى الخلافة ابن المأمون الرشيد عند عودة الجيش فأراد أن يطمئن أهل مراكش فرفع عنهم المغارم . (ابن عذارى : البيان ص ٢٨٤-٢٨٥)

(٥) محمد بن عبد الحق : تولى إمرة بني مرين وقتل في عهد الخليفة الموحدي السعيد سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م بعد أن انتصر جيش الموحدين على جيش المرينيين وكان الأمير محمد بن عبد الحق قد انتصر على جيش الموحدين سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م في عهد الرشيد (ابن أبى زرع : الذخيرة السنية ص ٣٧ ، ٥٩ - ٦٣ ، الأنيس المطرب: ص ٢٨٨ - ٢٩٠ ، ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٧٠ - ١٧١)

(٦) أبو الحسن بن أبى العلا إدريس يعقوب المكنى بالسعيد : تولى الخلافة بعد موت أخيه الرشيد . (ابن عذارى المراكشي : البيان ص ٣٥٨ - ٣٥٩)

(٧) أبو حفص عمر بن أبى إبراهيم بن يعقوب بن يوسف المنصور : كان والياً على سلا وأخذت له البيعة وتلقب بالمرتضى وفترة حكمه تسعة عشر عاماً . (ابن عذارى : البيان ص ٣٨٩ - ٣٩٠)

(٨) أبو العلاء إدريس بن عبد الله بن أبى حفص بن عبد المؤمن مكنى بأبى دبوس . (مجهول : الحلل الموشية ص ١٢٧ ، ابن عذارى المراكشي : البيان ص ٤٥٤)

(٩) ابن عذارى : البيان ص ٢٧٦-٢٧٨ ، ابن أبى زرع : الذخيرة السنية ص ٦٦ ، مقلد الغنيمى: موسوعة تاريخ المغرب ، مكتبة المدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٤ م ، ج ٥ - ٦ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧

سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م^(١) . وسلا ورباط الفتح سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م وفتح سجلماسة سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م وبهذا سيطر المرينيون على مدن شرق وشمال المغرب الأقصى^(٢) .

وتولى الأمير " يعقوب بن عبد الحق " بعد موت أبو بكر ، فاضع منطقتي أنفا^(٣) وتامسنا^(٤) . وانتصر على قوات المرتضى في موقعة أم الرجلين سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م^(٥) .

ولم يبق أمام يعقوب بن عبد الحق إلا مراكش عاصمة الموحدين ورمز ملكهم ، ولجأ أبي دبوس لمساعدة أبي يعقوب له ضد المرتضى وأن يتنازل ليعقوب عن نصف الأراضي التي استولى عليها أبو دبوس^(٦) ، ولما تمكن أبو دبوس من اقتحام مراكش والقبض على المرتضى وقتله في صفر ٥٦٥هـ / نوفمبر ١٢٦٦م ، ثم تنكر للأمير يعقوب فخر معركة مع المرينيين سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م^(٧) ، وتم قتل أبو دبوس سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م^(٨) ، وبهذا انتهت الدولة في هذه المرحلة ولم تلتزم بالشرع بفرض الجبايات ، بل الصراعات أدت إلى فرض المغارم واضطرابات وصراعات .

(١) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ٧٤ - ٧٥ ، الأنيس المطرب ص ٢٩٤ - ٢٩٦ .

(٢) الحميري : الروض المعطار ص ٣٠٥ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٩٨ .

(٣) مدينة أنفا : هي حالياً الدار البيضاء ، قد أسسها الرومان على ساحل المحيط الأطلسي وتقع على مسافة ٦٠ ميلاً شرق مدينة أزمو ، وأراضيها خصبة . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ١٩٧)

(٤) تامسنا : هي الأراضي الواقعة بساحل المحيط من نهر أبي الرقراق إلى أم الربيع وهي من إقليم فاس . (الحسن الوزان : نفس المصدر ص ١٩٤ ، الصديق بن العربي : كتاب المغرب، الجمعية المغربية للتأليف ، دار الغرب الإسلامي ط٢ بيروت ١٩٨٤م ص ٩٧)

(٥) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ٩٤ - ٩٦ ، الأنيس المطرب ص ٣٠١ - ٣٠٢ ، ابن عذارى المراكشي : البيان ص ٤٣٣ . وترجع تسمية المعركة بهذا الاسم لوقوعها عند بطن وادي أم الربيع في منطقة تنحصر عنها مياه الوادي ، فتبدوا وكأنها أرجل فسميت الموقعة بأمر الرجلين . (ابن أبي زرع : الأنيس ص ٣٠١ - ٣٠٢ ، محمد عيسى الحريري : تاريخ المغرب والأندلس ص ٣١)

(٦) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ١٠٩

(٧) ابن أبي زرع : نفس المصدر ص ١٣١ ، الأنيس المطرب ص ٣٠٥ ، ابن الأحمر : روضة النسر ص ٢١ . وكان أبو دبوس قد استعان بالأمير " يغمر آسن بن زياد " أمير بني الواد في تلمسان . (ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ١٣١)

(٨) مجهول : الحلل الموشية ص ٦٩ - ٧١ ، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ص ١٢٩ ، الناصري : الاستقصا ج ٣ ص ٢٩ ، ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب، قسم الموحدين ص ٤٦٠ - ٤٦٨ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٣٠٤ - ٣٠٧ ، عقيلة مراجع : سقوط دولة الموحدين ص ٢٧٤ - ٢٧٥

الفصل الخامس

- التجار .
- عناصر التجار :
- (العرب - البربر - الأندلسيون - أهل الذمة)
- تنظيمات التجار :
- (جملة - بالمقطع ، بالمفرق)
- علاقة التجار بالدولة .

التجار في المغرب الأقصى

كانت التجارة من أهم المهن التي عمل بها التجار في المغرب الأقصى ، فعن طريقهم يتم البيع والشراء ، ويجد السكان ما يحتاجون إليه عند هؤلاء التجار^(١). واعتبر أبو الفضل الدمشقي أن التجارة أفضل المعاش حيث قال : " التجارة إذا ميزت من جميع المعاش كلها وجدها أفضل وأسعد للناس في الدنيا والتاجر موسع عليه وله مروءة ، ومن نبيل التاجر أن يكون في ملكه ألوف كثيرة ولا يضره أن يكون ثوبه مقارباً " ^(٢) .

وكانت طبقة التجار المكونة من العرب أو البربر أو الأندلسيين هي الطبقة الوسطى في المغرب الأقصى^(٣) .

• عناصر التجار :

كان سكان المغرب الأقصى يمثلون عناصر متعددة السكان^(٤) فقد كان العنصر الغالب هم البربر على باقي عناصر السكان ، ثم يأتي بعد ذلك العنصر العربي ، حيث يمثل العنصر الثاني في بناء المجتمع المغربي في ذلك العصر . وإلى جانب البربر والعرب وجدت أقليات من الأندلسيين والسودانيين والغز واليهود^(٥) والمهاجرين والنصارى الذين شكلوا عنصراً من عناصر سكان المغرب الأقصى . ويرجع أصل كثير من الأندلسيين وأهل الذمة إلى أصول بربرية أو عربية ، إلا أن كلا من الأندلسيين وأهل الذمة كانت لهم سماتهم المميزة لهم ، الأمر الذي يجعل كلا منهم يشكل عنصراً مستقلاً في المجتمع المغربي^(٦) .

(١) حسن على حسن : الحضارة الإسلامية ص ٣٤٣ - ٣٤٦

(٢) أبو الفضل بن علي الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق الشوربجي ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، الإسكندرية ١٩٧٧م ص ٦٩

(٣) روجيه لوطورنو : فاس في بني مرين ص ٤٩ ، ١٦٠

(٤) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ٤٩

(٥) عبد السلام بن سوده: بيوئات فاس في القديم والحديث، مجلة البحث العلمي، العدد (٢٢) يناير - أبريل ١٩٧٤ ص ١١١

(٦) محمد عادل عبد العزيز : الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين ٦٦٨ - ٨٦٩هـ / ١٢٦٩ - ١٤٦٥م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ١٧٠

– البربر :

يكون المغاربة (البربر) الغالبية العظمى من عناصر السكان التي استوطنت بلاد المغرب منذ القدم ، وأول من أطلق عليهم هذه التسمية Barbari هم الرومان^(١) ويقسم النسابون البربر إلى قسمين كبيرين هما (البتر والبرانس)^(٢) .

ويقوم النظام الاجتماعي عند البربر على أسس قبلية محضة ، فالقبيلة هي عماد النظام سواء كانت تعيش على الريادة (الرعي)^(٣) أو الغزو ، أو مستقرة تتكسب من الفلاحة وتربية الأغنام ، وتتكون القبيلة البربرية من عشائر وأسر ، والولاء الأول للقبيلة، فالعصبية عند البربر تقوى كلما ضاق المجتمع، وتضعف كلما اتسع ، ويرأس الأب أو الزوج الأسرة وله السلطان المطلق عليها^(٤) .

وكان للبربر من البتر والبرانس في المغرب الأقصى دور ، ففي عصر المرابطين كان فرع صنهاجة من البرانس أصل دولة المرابطين^(٥) وعندما آل الحكم

(١) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٥م ، ص ٢٨ . وقد تضاربت روايات المؤرخين حول النسب الأصلي للبربر ومع تضارب هذه الروايات يمكننا أن نقول إن جيل البربر كغيره من الأجيال التي عبرت الأرض وانتشرت في أرجائها طلباً للرزق ، وأنها اتخذت المغرب موطناً لها . وتكاثرت هذه الجماعات حتى أصبحت أعداداً هائلة ، متخذة شكل القبائل . (حسن على حسن : الحياة الإدارية والاجتماعية في المغرب ص ٣٢٨)

(٢) يغلب على شعوب "البرانس" ميلهم للاستقرار في القرى الساحلية والواقعة في التلال والجبلية ، والنواحي الخصيبة المحيطة بجبال الأوراس، وفي الجهات الجنوبية والوسطى من إقليم الجزائر، والتوغل إلى مراکش ، والجزء الشرقي من جبال أطلس ، حتى أنهم وصلوا إلى مصب نهر السنغال ومنحنى نهر النيجر . أما شعوب " البتر " فينتمون إلى أربع قبائل كبرى رئيسية هي (أداسة ، ونفوسة وضرية ، ونبلولوا الأكبر أو لواتة) وهذه القبائل الأربع الرئيسية تتفرع إلى الكثير من الفروع . ويغلب على شعوب البتر طابع البداوة ، ويكونون غالبية سكان القرى الصحراوية . فهم ينزلون بسلسلة الوديان الصحراوية والرغوية التي تمتد من طرابلس إلى تازا، وينتشرون في إقليم السوس الأقصى ، كما توجد بعض بطونهم بجبل نفوسة وإقليم الجريد ، أما قبيلة " زناته " فكانت تسكن المنطقة الممتدة ما بين غدامس والسوس الأقصى ، ومن الملاحظ أن أغلب الزناتيين يقيمون في المناطق الداخلية في المغرب الأوسط . (ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٨٩ ، ج ٦ ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ١- ٣١ ، مجهول : الاستبصار ص ٢١٣-٢١٤)

(٣) الريادة : من مادة الرائد وهي حرفة الأعراب الذين يختلفون بمواشيهم إلى المراعى مقبلين ومدبرين . (المعجم الوسيط)

(٤) عبد الوهاب منصور : قبائل المغرب ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٦٨م ، ج ١ ص ٢٨٠

(٥) إسماعيل بن الأحمر : بيوغات فاس الكبرى ، الرباط ١٩٧٢م ص ٢٦

للموحدين احتلت قبائل المصامدة في عصر الموحيدين مكاناً مرموقاً بين القبائل الأخرى . ولما سقطت دولة الموحيدين وقامت الدولة المرينية احتلت قبائل زناته التي ينتسب إليها بنو مرين مركز الصدارة والزعامة بين باقي القبائل البربرية^(١) .

- العرب :

العرب هم العنصر الثاني من عناصر السكان في المغرب الأقصى^(٢) وئالف العنصر العربي من العرب الفاتحين ، بالإضافة إلى القبائل العربية إلى جاءت في منتصف القرن الخامس الهجري^(٣) فمع دخول العرب إلى مدن المغرب الأقصى ، كان لهم تأثير حضاري كبير ، فقد تصاهر أهل فاس مع أهل القيروان^(٤) ومن بطون قبائل العرب قبائل " المعقل"^(٥) فيذكر ابن خلدون : " إن عرب الخلط وسفيان وبني جابر وهم من بطون جشم"^(٦) انتهت رئاستهم إلى قبيلة سفيان سائر أيام الموحيدين ،

(١) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ٢٢-٢٣ ، النميري : فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، ص ٣٩٥

(٢) فقد وفدت وفود العرب من بلاد إفريقية والقيروان والأندلس والعراق ، من القيسية والأزد ، ومدلج وبني يحصب وغيرهم ، عند بناء مدينة فاس على يد إدريس الثاني فأسكنهم بالمدينة وجعلهم بطانته دون البربر . (ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٩ ، ٣٩ ، ٤٥-٤٦)

(٣) هي الهجرات العربية التي عرفت في التاريخ المغربي " بالغزو الهلالي" وكانت الهجرة من المغرب الأدنى إلى المغرب الأقصى مستمرة خلال قرن من الزمن ، منذ خراب القيروان سنة (٤٥٢هـ / ١٠٦٠م) وحتى الفتح الموحدى للبلاد الشرقية . (ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٣-٢١) ويذكر عبد الواحد المراكشي ذلك بقوله " كانت القيروان حاضرة المغرب ، فلما اضطرب أمرها بعثت العرب فيها فر منها أهلها ، ونزل أكثرهم مدينة فاس" . (عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٤٤٣ ، عز الدين احمد موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي ص ٩٣)

(٤) عز الدين احمد موسى : نفس المرجع ص ٧٥

(٥) بنو معقل : أول دخول المغرب الأقصى أعدادا قليلة ثم تكاثروا بعد انضمام عدد من القبائل إليهم من غير نسبهم ، فيهم من بني فزاره بن ذبيان وفيهم من بني أشجع بن زيد بن غطفان ومنهم من الصهانجة والصباح بن الأخضر والعمور بن الاتيج وفيهم بطون من هلال وسليم ، وكانوا أول أمرهم يدفعون لزناته قبل سيطرتهم على المغرب ضريبة يسمونها " جمل الرحيل" . (ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٥٨-٥٩ ، الناصري : الاستقصا ج ٢ ص ١٧٧-١٧٩)

(٦) قبائل جشم : قبائل كثيرة لا ينحدرون من نسب واحد وإنما غلبت عليهم تلك التسمية ، ومن أبرزها المقدم والعاصم والاتيج وقرة ، وهؤلاء من بني هلال ، بينما كان الخلط من بني عقيل بن كعب بن ربيعة وكان قبائل الخلط على عهد الخليفة الرشيد الموحدى تتأهز اثنا عشر ألفا انحازوا تماما إلى المرينيين بعد معركة أم الرجلين بين المرتضى والمرينيين سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م (ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ص ٢٥-٢٨ ، ٣٠ ، ابن الأحمر : روضة النسر ص ٢٣ ، الناصري : الاستقصا ، ج ٢ ص ١٧٠-١٧٦)

وعندما دب الوهن في جسد الدولة الموحدية كانت لهذه الجموع الغلبة على مقاليد الأمور في الدولة ، وحين استولى بنو مرين على فاس لم تكن فيها حامية أشد منهم بأساً " وكانت هناك وقائع وحروب مع قبائل رياح^(١) .

ويذكر ابن صاحب الصلاة: " أن بأحواز مدينة فاس من عرب بني الرياح وبني جشم وبني عدى وقبائلهم ما يضيق الفضاء على عدد الذباب وعدد الحصى "^(٢)

وكان للعرب أثرهم الواضح في مجريات الحياة العامة ، فقد بدا واضحاً دورهم في الحياة الاقتصادية ، فعلى صعيد الثروة الحيوانية كانت عنايتهم المعروفة بتربية المواشي والأبقار والخيول قد انعكست على القبائل البربرية المستقرة بالبلاد فاشتهرت بعض الأصناف ، منها الخيول الفازازية (نسبة لقبيلة عربية من قبائل الهلالية)^(٣) . وزيادة على ذلك فقد بدت مساهمتهم واضحة في مجال الزراعة^(٤) فهم ادخلوا طرقاً جديدة في زراعة النخيل^(٥) كما كان لهم دور واضح في حقل التجارة أولها في تأمين الطرق التجارية وحمايتها^(٦) . وقد عمل العرب في العديد من الحرف منها : نسج الحرير وبيعه غير منسوج ، بيع العطور ، وسبك الشمع ، ونسج غزل الكتان ، وبيع لبن البقر لمعامل الأجبان ، وعمل البعض في بيع الفاكهة والخبز والخضار^(٧) .

— الأندلسيون : Ahmad Sâed Rizq

شكل الأندلسيون العنصر الثالث من عناصر سكان المغرب الأقصى . ويطلق اسم " الأندلسيون " على أهل الأندلس باختلاف أصولهم سواء

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٦ ص ٣٢-٣٦ الناصري : نفس المصدر ج ٢ ص ١٥١ ، ج ٣ ص ٣-٧ ، مصطفى أبو ضيف : القبائل العربية في المغرب ، ص ٢١٠

(٢) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة ص ١٤٤

(٣) لسان الدين ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط من كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق احمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء ١٩٦٤ ، ج ٣ ص ١٦٨ ، مصطفى أبو ضيف : اثر القبائل العربية ص ٢٩٣-٢٩٥

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ص ٣٠ . مصطفى أبو ضيف : نفس المرجع ص ٣٠٤

(٥) ابن خلدون : نفس المصدر ، ج ٦ ص ١٢٠

(٦) ابن خلدون : نفس المصدر ، ج ٦ ص ٣٠ ، حسن على حسن : الغزو الهلالي للمغرب (أسبابه ونتائجه) المجلة التاريخية المصرية ، مجلد (٢٤) ١٩٧٧م ص ١٣٩ ، مصطفى أبو ضيف :

مرجع سابق ص ٣٠٤

(٧) ابن الأحمر : بيوتات فاس الكبرى ص ٢٣

عربية أو بربرية أو من أهل البلاد الأصليين الذين أسلموا فاندمج أحفادهم مع المسلمين^(١).

وقد استقر الأندلسيون في فاس منذ عهد الأدارسة^(٢) وكانت الهجرة إلى المغرب في كثير من الأحوال وسيلة من الوسائل التي اتبعها الأندلسيون للخلاص من الأزمات الداخلية^(٣).

ثم إن المصالح الداخلية والخارجية للأندلس لعبت دوراً كبيراً في هجرة العناصر الإسبانية الإسلامية إلى المناطق الساحلية في المغرب الأقصى^(٤) فمنذ منتصف القرن السادس الهجري تدفقت الهجرات الأندلسية على المغرب نتيجة للكوارث التي ألمت بالمسلمين في الأندلس . خاصة بعد سقوط عدد غير قليل من المدن الأندلسية بيد الممالك الإسبانية وبوجه خاص في النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي^(٥).

(١) ويذكر عبد الواحد المراكشي : " إنه لما اضطرب أمر قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت محمد بن أبي عامر وابنه رحل منها من كان فيها من العلماء والفضلاء من كل طبقة فراراً من الفتنة فنزل أكثرهم مدينة فاس " (عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٤٤٣)
(٢) هاجر إلى فاس بعد موقعة الربرض في عهد الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢٢م) ثمانية آلاف أسرة وسميت الأرض التي استقروا عليها بـ " عدوة الأندلسيين " (ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٣٢-٥١ ، ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، ص ٥٠-١)

(٣) ج.س كولان : الأندلس ، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان ، دار الكتاب اللبناني (ط ١) بيروت ١٩٨٠م ص ١٤٧
(٤) يذكر المقرئ نقلاً عن ابن غالب : " أن أهل الحواضر في الأندلس عندما انتقلوا إلى المغرب الأقصى مالوا إلى الحواضر واستوطنوها ، فأما أهل الضائع فإنهم فاقوا أهل البلاد ، وقطعوا معاشهم وخملوا أعمالهم وصيروهم أتباعاً لهم ومتصرفين بين أيديهم ، ومتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدة وافرغوا فيه من أنواع التجويد والخدمة ما يميلون به النفوس إليهم ويصير الذكر لهم " (المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ص ١٥٢)

(٥) فقد المسلمون في تلك الفترة مدناً مهمة مثل قرطبة سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م وبالنسبة سنة ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م ودانية سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م وجيان سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٢م وإشبيلية سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٧م وغير ذلك من مدن . (محمد عبد الله عتيان : عصر المرابطين والموحدين ، ج ٢ ص ٣١٢)

ومع زيادة التفكك في أسبانيا الإسلامية وسقوط غرناطة في أواخر القرن الخامس عشر ، أتضح أن هذه الأحداث هي بداية حركة التثنت الحقيقي للأندلسيين ، ويتضح هذا من خلال التراجم العديدة التي وردت لشخصيات من مختلف المدن الأندلسية . هاجرت إلى مدينة فاس بقصد الاستيطان . وبلغ عدد هذه الهجرات الاستيطانية قرابة الثمانية من مختلف المدن الأندلسية^(١) وإن كانت المصادر قد أشارت إلى أعلام المهاجرين ، فلا شك أن هناك أعداداً كثيرة هاجرت دون أن تذكرها المصادر .

وقد تقبل المجتمع المغربي وجود هؤلاء الأندلسيين كعنصر من عناصر السكان ، وقد انقسموا إلى فريقين هما :

الفريق الأول : مجموعة من العسكريين ، يرجع وجودهم في صفوف الجيوش المغربية إلى أيام المرابطين ، فقد كانوا يمثلون عنصراً هاماً في الجيش المرابط^(٢) كما ضم الجيش الموحدى بعض الأندلسيين^(٣) .

الفريق الثاني : أغلبهم من الفقهاء والعلماء والتجار ، أو ممن تركوا ديارهم نتيجة للضغط المسيحي على بلادهم فيما بعد^(٤) .

وقد كان لهم دور بارز في إثراء الحياة الثقافية في المغرب الأقصى . كذلك

(١) ابن الأبار : المعجم في أصحاب القاضي بن علي الصدفى ، تحقيق كوديرا ، مطبعة روخس ١٨٨٥م ص ١١٦ ، ١١٧ ، ١٥٦ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٣٠٧ ، ٣١٩ ، أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم (ابن الزبير) : صلة الصلة البشكوالية ، صححه وعلق عليه ليفي بروفنسال ، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية ، الرباط ، المطبعة الاقتصادية ١٩٣٧م ، ج ٧ ص ٤ ، ١٤ ، ١٥ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٥م ج ١ ، القسم الأول ص ٨٧ ، ٩١ ، ١٨٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٦٧ ، ٥٥٢ ، ج ٥ القسم الأول ص ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٨٧ ، ٢٥٦ ، ٢٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٤١٢ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ : المقري : أزهار الرياض في أخبار عياض ٣ أجزاء ، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٠م ١٩٤٢م ، ج ٢ ص ٣٦١ .

(٢) مجهول : الحلل الموشية ص ٩١ ، محمد المنوني : نظم الدولة المذنبة ص ٢١٥

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٣٧ ، الناصرى : الاستقصا ج ٢ ص ٢٥٤

(٤) ابن خلدون : المقدمة ج ٢ ص ١١

وجد الكثير من الفقهاء والعلماء الأندلسيين^(١) فنجد عناصر أندلسية اكتسحت الميدان ولعبت دوراً رئيسياً فيه نظراً لما كانت تتوفر عليه من مكانة سامية ومركز اجتماعي مهم .

وقد قام الأندلسيون بدور هام في الحياة الاقتصادية في المغرب الأقصى فقد أنشأ الأندلسيون صناعة جديدة لصنع غطاء خاص للرأس في مدينة فاس حيث يسمى في فاس " الشاشية أو الطربوش " والتسمية منقولة من مكان الصنع الأصلي^(٢) .

وكذلك فإن تجار الأقمشة الصوفية في القيسارية بفاس كانوا من الأندلسيين وكان لتجار هذا المجال حيان مخصصين لهم ، وهذه الأقمشة أغلبها ترد من أوروبا^(٣) . وقد نقل الأندلسيون للمغرب الاهتمام بتربية " دودة القز " حيث حرصوا على تربيتها لاستغلالها في إنتاج الحرير^(٤) . كما كان للأندلسيين دور هام في تعليم المغاربة دقة الصنعة في الخياطة وكان " محمد بن احمد بن طاهر الأنصاري الاشبيلي النحوي " المعروف بالأحذب بفاس ينتحل صنعة الخياطة وقد رأس أهل عصره وأخذ عنه الكثيرون^(٥) . كما كانت اغلب فنون التطريز والترقيم التي عرفت المغرب من أصل أندلسي^(٦) .

وتعلم المغاربة فن تفسير الكتب على أيدي الأندلسيين أمثال " أبو الحسن بن محمد القيسي القرطبي " و " ابن الاشبيلي " الذي استوطن فاس فعرف بالفاسي^(٧) .

وقد بلغت معامل إنتاج الورق في مدينة فاس وحدها أربعمائة معمل^(٨) كما شاع في المغرب الخط الأندلسي^(٩) . وعندما هاجر عدد كبير من اليهود الأندلسيين إلى

(١) ابن طفيل ولد في إحدى القرى الأندلسية وتقلد عدة مناصب من بينها وظيفة كاتب لحاكم ولاية غرناطة ، وحاكم ولاية طنجة ، وكان طبيباً لأحد خلفاء الموحدين وهو أبو يعقوب يوسف ، ومن أهم مؤلفاته " حي بن يقظان " وتوفي في مراكش ٥٨١هـ / ١١٨٥م ، كذلك ابن رشد ارتفع شأنه في خلافة أبي يوسف يعقوب المنصور . (عبد الواحد المراكشي: المعجب ص ١٣٣ - ١٣٦ ، ١٧٤ - ١٧٥)

(٢) وقد عرف هذا الغطاء في أوروبا باسم " الفز " نسبة إلى مدينة فاس حيث كان يصنع . (روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ١٣٥)

(٣) الحسن الوزان : مصدر سابق ج ١ ص ٢٤١

(٤) عبد العزيز عبد الله : مظاهر الحضارة بالمغرب ج ٢ ص ١٠٠

(٥) عبد العزيز عبد الله : نفس المرجع ص ١٠٣

(٦) عبد العزيز عبد الله : نفس المرجع ص ٩٥

(٧) محمد المنوني : العلوم والأدب والفنون على عهد الموحدين ص ٢٦٧

(٨) محمد المنوني : المرجع السابق ص ٢٥٦

(٩) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٦٧

المغرب ، امتهنوا نفس المهن التي كانوا يمارسونها في الاندلس مثل النجارة والبناء^(١).

— السودانيون :

كان السودانيون من العناصر السكانية التي سكنت المغرب الأقصى في مدن مختلفة ، وأشتغل كثير منهم بالتجارة ، وقد كان يتم جلبهم من بلاد السودان ، وكانت أعدادهم بفاس كبيرة ، حيث استخدم المرابطون الرقيق السود في حيوشهم وتنظيماتهم العسكرية حتى صاروا يكونون فرقة كاملة في الجيش^(٢) . وكان من الطبيعي أن تتزايد أعدادهم في المدن المغربية ، ويتضح ذلك في العدد الذي فرض على أهل فاس أن يقدموه وهو " ثلاثمائة غلام " من هؤلاء السودانين بنفقاتهم وسلاحهم في أحد حملات " يوسف بن تاشفين " على الاندلس^(٣) .

— (أهل الذمة)...اليهود :

عاش اليهود في المغرب قرونا عدة ، قبل أن يفتحها المسلمون ، وقد خضعوا خلال هذه المدة الطويلة للعديد من الأمم والأقوام الذين تعاقبوا على حكمها.

فقد اعتنق فريق من السكان الديانة اليهودية ، ومن المحتمل أن يكونوا هؤلاء من " البربر " الذين اعتنقوا اليهودية في عهود قديمة واستطاعوا المحافظة على معتقدتهم^(٤) وقد علل ابن خلدون ذلك بقوله " ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية أخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه منهم ، كما كان جراءة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح ، وكما كانت نفوسه من برابر افريقية وفندلاوقة ومديونة وبهلولة وغياطة ، وبنو بازاز من برابرة المغرب الأقصى"^(٥). وقد كرههم أهل هذه البلاد وحكامها ، وضيقوا عليهم ، وذلك رداً على كره اليهود لهم واستعلائهم عليهم ، واستهزائهم بمعتقداتهم ، واستغلال كسب

(١) مارمول: إفريقيا ج ٢ ص ١٥٥ ، حاييم زعفراني: ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ص ١٥٤

(٢) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة بيروت ١٩٨٢ ج ١
إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٢٢

(٣) ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٣ ، حسن على حسن : الحضارة الإسلامية ص ٣٢٢ ، ٣٢٣

(٤) عطا شحاتة : اليهود في بلاد المغرب (رسالة ماجستير) ص ٢٤

(٥) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٠٧

أموالهم بالربا ، وبالطرق غير المشروعة . وعندما فتح المسلمون المغرب ، رفعوا الاضطهاد عن اليهود ، وتعاملوا معهم وفق الأحكام الشرعية الخاصة بأهل الذمة ، فسمحوا لهم بالبقاء على دينهم ، وممارسة شعائهم وتركوا لهم حرية السكن بين المسلمين ، أو في أحياء خاصة بهم عرفت في الحقب اللاحقة بـ " الملاح " (١) وأتاحوا لهم مزاولة ما شاءوا من أنواع النشاط الاقتصادي ، وحفظوا أرواحهم وأموالهم وحقوقهم ، فشهدوا عدلاً وتسامحاً وحرية لم يعرفوها من قبل .

ولقد تركز الكثير من اليهود في موضع فاس قبل بناء المدينة على يد إدريس الثاني ١٩٢ - ١٩٣ هـ / ٨٠٧ - ٨٠٨ م بين قبائل زناتة وزواغة وبني يزغت (٢) إلى جانب هجرة الكثير من يهود الضاحية الجنوبية بقرطبة أيام إدريس الثاني بعد إبعادهم عنها نتيجة ثورة ٣٠٢ هـ / ٨١٨ م (٣) فيذكرها البكري أنها : " أكثر بلاد المغرب يهوداً ، ويختلفون منها إلى جميع الآفاق " (٤) وقد حظيت فاس باهتمام بالغ من يهود الشرق وخاصة من العراق (٥) . كما كانت قبلة اليهود في المغرب الأقصى والأندلس . ويعد اليهود من الجاليات الهامة التي عاشت في المغرب الأقصى متخذينه وطناً لهم . فقد شكل اليهود طبقة كبيرة من طبقات المجتمع ، وقد أشارت العديد من المصادر إلى وجود تجمعات كبيرة منهم بفاس (٦) ومما يدل على ذلك كثرتهم وامتلاكهم الأملاك والمتاجر والديار بالمدينة حيث يقع بعض هذه الأملاك والديار بالقرب من جامع القرويين (٧) ولعلها كانت تتمركز في الحي المجاور لباب الجيسة (٨) وكذلك في مدينة درعة يوجد بها تجار يهود (٩) وكان في مدينة مكناسة يهود (١٠) وكذلك

(١) العمري : مسالك الأبصار ص ١١٤ ، عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، مطبعة فضالة المحمدية ، ١٩٨٨ م ، ج ٢ ص ٢٥٩ ، ألفريد بل : الفرق الإسلامية ص ٣٢٧ .

(٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٣١ ، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٣ ، الناصري : الاستقصا ج ١ ص ١٥٠ ، ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، ص ٤٤

(٣) عبد الرحمن بشير : اليهود في المغرب العربي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط ١ ، القاهرة ٢٠٠١ م ص ٤٩

(٤) البكري : المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب ص ١١٥

(٥) عبد الرحمن بشير : مرجع سابق ص ٤٩ .

(٦) البكري : مصدر سابق ص ١١٥ ، مجهول : الاستبصار ص ٢٠٢

(٧) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٥٩

(٨) الناصري : الاستقصا ج ٢ ص ٣٩ ، روجيه لوطورنو : فاس في عصر بن مرين ص ١١١٠

(٩) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٥١/٢

(١٠) البيذق : أخبار المهدي ص ١٢٤

في مدينة مراكش^(١) وفي مدينة أغمات^(٢) وسجلماسة يوجد أيضا فيها يهود^(٣) وفي أغلب مدن المغرب الأقصى يوجد فيها يهود^(٤) .

وفي عهد المرابطين اتخذوا موقفاً متشدداً نحو اليهود فيذكر الإدريسي أن اليهود: " لا تسكن مدينة مراكش عن أمر أميرها على بن يوسف بن تاشفين المرابطي ولا تدخلها إلا نهاراً وتتصرف منها عشية ، وليس دخولهم في النهار إلا لأمر له وخدم تختص به ، ومتى عثر على واحد منهم بات فيها استبيح ماله ودمه ..."^(٥)

أما في عهد الموحيدين فيذكر المراكشي موضحاً مدى تشدد الموحيدين نحو أهل الذمة في المغرب فيقول : " ولم تزل تتعقد عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ قام أمر المصامدة "^(٦) فقد مر أهل الذمة (اليهود والنصارى) بفترات مختلفة في بداية دولة الموحيدين في عهد عبد المؤمن بن علي ثم في فترة خلفائه من بعده .

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٣١

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ ص ٥٠ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المركشية ص ١٤ ، ابن أبي زرع : الأيس المطرب ص ١٦٩

(٣) البكري: نفس المصدر ص ١٤٨-١٤٩ ، مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ص ٢٠٢

(٤) حاييم زعفراني : ألف سنة من حياة اليهود في المغرب ص ١٥٦

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٦٦ ، عز الدين احمد موسى : مرجع سابق ص ١١٣

(٦) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٨٣ ، كمال السيد أبو مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للنشرسي ، مركز الاسكندرية للكتاب ، ١٩٦٦م ، ص ٣٨ . أما في عهد المرينيين وفي بداية حكمهم وقف سلاطينهم ضد استخدام اليهود في الجهاز الإداري ، وابلغ دليل على ذلك استتكار وزير السلطان " أبي يعقوب يوسف بن يعقوب " في القاهرة وكان يجلس في حضرة السلطان " بيبس الجاشنكير " فحضر إلى المجلس احد كتاب النصارى ، فقام إليه الوزير المغربي على اعتقاد منه بأنه مسلم فلما ظهر له انه نصراني قامت قيامته ، وقام السلطان يتحدث معه في أمر النصارى واليهود وإخباره أنهم بالمغرب في غاية الذل والهوان . (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، نشر دار الكتب العثمانية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص ١٣٣ ، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٣ ص ٣٣٧) ولكن الوضع اختلف وثبت غير ما قاله الوزير عندما توطدت أركان الدولة في عهد السلطان أبو يوسف المريني سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩م ... وقد استخدم السلطان " خليفة بن حيون بن زمامة " اليهودي حاجباً له ، وأصبح لليهود وضع داخل الدولة. (ابن الأحمر: روضة النسرین ص ٣١، النفحة النسرينية واللمحة المرينية ص ٣٩)

فقد أعلن عبد المؤمن بن علي بأن دولته على ملة الإسلام وخير أهل الذمة وقال: "إن المهدي أمرني أن لا أقر الناس إلا على ملة الإسلام ، وأنا مخيركم بين ثلاث ، إما أن تسلموا ، وإما أن تلتحقوا بدار الحرب ، وإما القتل فأسلمت طائفة ، ولحقت أخرى بدار الحرب ، وخرب كنائسهم ، وعملها مساجد ، وألغى الجزية ، وفعل ذلك في جميع مدائنه" (١) وبذلك لم يدع مشركاً في بلاده ولا يهودياً ولا نصرانياً ، فجميع رعيته مسلمين (٢).

وقد حدد مدة مشروطه لمن أسلم منهم بموضعه على أسباب ارتزاقه ما للمسلمين ، وعليه ما على المسلمين ، ومن بقي على رأس أهل ملته ، فإما أن يخرج قبل الأجل الذي حدده ، وإما أن يكون بعد الأجل فيكون في حكم السلطان مستهلك النفس والمال ، ولما استقر هذا الأمر خرج المخفون ، وبقي من ثقل ظهره وشح بأهله وماله وأظهر الإسلام وآسر الكفر (٣) .

وقد اتخذ عبد المؤمن بن علي هذا الأمر مع أهل الذمة ، وذلك لخوفه من دسائس وخيانات أهل الذمة ، وقد عايش ذلك بنفسه حيث خان جنود النصاري جيش المرابطين ، وفتحوا أبواب مدينة مراکش ، وبذلك مكّنوا الموحدين من احتلال المدينة (٤) .

ولن يكون هذا عذراً يلتمس لعبد المؤمن بن علي ، حيث أن هذا الموقف يعتبر خروجاً على الدين الإسلامي حيث يأمرنا المولى عز وجل "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" (٥) .
فإن هذا الموقف من عبد المؤمن بن علي كان قاصراً عليه فإن ولاية الأمر من المسلمين لا يسمح لهم بفرض الإسلام بالقوة (٦) .

(١) الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ ، ج ٢٠ ص ٣٧٠

(٢) الذهبي : نفس المصدر ص ٣٧١

(٣) جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، بتصحيفه محمد أمين الخليلي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨هـ ، ص ٢٠٩

(٤) حسن علي حسن : الحياة الإدارية ص ٤١٩

(٥) البقرة : ٢٥٦

(٦) حسن علي حسن : نفس المرجع ص ٤١٩

وقد انتهى أمر خروج أهل الذمة بعد موت عبد المؤمن بن علي ، فقد تغير الوضع مع أهل الذمة مع خلفاء عبد المؤمن بن علي ، حيث سمح لخلفاء عبد المؤمن ابن علي لأهل الذمة الإقامة في دولتهم .

ففي عهد الخليفة يعقوب بن يوسف ثالث خلفاء الموحدين (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩ م) أمر أن يميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم ، وذلك بثياب كحلية وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم ، وبدلاً من العمائم كلونات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب ، ولم يزلوا كذلك بقية أيامه وصدرأ من أيام ابنه أبي عبد الله الناصر (٥٩٥ - ٦١٠ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٣ م) وفي حكم الناصر استعاث به اليهود واستشفعوا لديه لأقالتهم من هذا الزي المرهق ، فأمر أن يستبدلوه بثياب صفر وعمائم صفر ، واستمروا على ذلك بقية حكم الموحدين^(١) .

وقد خرج اليهود مع أهل مراكش لصلاة الاستسقاء ، حتى لم يبق في المدينة أحد ، لا نساء ولا أطفال ولا بهائم ولا اليهود والنصارى لكي ينزل الغيث في زمن المنصور^(٢) .

ولقد عمل اليهود في التجارة في المغرب الأقصى ، لذلك أخذوا في توظيف مدخراتهم التي جمعوها من تجارة الذهب والصياغة والصرافة وغيرها إلى مبادلة النقد وتلقى المال من الملوك والأمراء لاستثماره في التجارة ، ثم إلى إقراض المال بالربا^(٣) . ولذلك فإن اليهود لم يكونوا موضع حب الأهالي أو تقتهم بل كانوا محطة شكوك الجميع^(٤) .

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ١٧٣ ، ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ص ٢٠٥ ، محمد عبد الله عنان : مرجع سابق ص ٢٣٥

(٢) عباس بن إبراهيم : الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام ج ١ ص ٢٧٨
(٣) مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ٥٥ ، ول ديورانت : قصة الحضارة وعصر الإيمان ، ترجمة محمد بدران جزء ١٤ لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٧٥ ج ١ ص ٦١ ، مورييس لومبارد : الإسلام في مجده الأول ، ترجمة وتعليق اسماعيل العربي ، الجزائر ، ١٩٦٦ م ، ص ٣١٧ ، عبد الوهاب المسيري : الأيدلوجية الصهيونية ، دراسة حالة في علم الاجتماع ، المعرفة ج ١ عالم المعرفة عدد ٦٠ الكويت ١٩٨٢ ص ٢٢-٤١

(٤) مجهول : قضية المهاجرين المسمون بالبلدين ، مخطوط ورقه ٣ ، ٤ ، السيد سابق : فقه السنة ، ج ٣ ص ١٧٨

وتصدّرت التجارة المهن التي عمل بها اليهود في فاس ، ولعل معظم هؤلاء من يهود الشتات الذين لم يعرفوا وطناً يجمعهم أو يأمنون إليه ، ومن ثم حرصوا على أن تكون أموالهم سائلة ، لتيسير التنقل بها وإذ ما اضطرتهم الظروف السياسية أو الاقتصادية^(١) ، مما أسفر عن تكوين سلسلة من التجمعات اليهودية تركزت على طرق التجارة الرئيسية ، فأصبحوا تجاراً بالضرورة^(٢) وقد حازوا خبرة كبيرة أدت إلى نجاحهم في هذه المهنة .

فقد لعب اليهود دوراً هاماً في الحياة التجارية في الدولة وخاصة داخل مدينة فاس . ولذلك فقد انصرف الكثير من اليهود إلى العمل بالتجارة على نطاق واسع ، فبلغ بعضهم وضعاً مالياً متميزاً فأصبح البعض منهم من كبار الأثرياء^(٣) .

كما لعب التجار اليهود دور الوسيط بين الجهات الأوروبية وداخل الأسواق المغربية وذلك لإتقانهم عدة لغات وخبرتهم في الشؤون المالية والتجارية^(٤) . وانتشر اليهود في أرجاء المغرب الأقصى خاصة في الأماكن ذات الموقع المتميز كالمدين التي تتحكم في مفارق الطرق البرية والموانئ .

وكان لليهود دور هام في الحياة الاقتصادية في المغرب الأقصى فكان منهم تجار البقالة ، والماشية ، والقصابون ، والخبازون ، وأصحاب الفنادق ، وكانوا لا يشترون العقارات لكي يحتفظون بحرية استعمال أموالهم ، وكان ذلك من أسباب ثرائهم وقوتهم الاقتصادية وكان من أهم الأسواق التي اشتغل بها اليهود أسواق " المواد الغذائية"^(٥) وجرت العادة أن تكون أسواقها أمام أبواب المدن أو أسوارها أو أمام ضريح أحد الصالحين^(٦) .

(١) عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي ص ٨٦

(٢) حسن ظاظا والسيد محمد عاشور: اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة ، القاهرة ١٩٧٥م ، ص ٢ ، عبد الرحمن بشير : نفس المرجع ص ٩٩

(٣) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ٥٤ ، ١١٣

(٤) الوثنرسي : المعيار ج ٦ ص ١٥٧ ، عبد السلام الترومانيني : الرق ماضيه وحاضره ، عالم المعرفة ، عدد ٢٣ الكويت ١٩٧٩م ص ٨٧

(٥) وقد كانت هذه الأسواق منتشرة في جميع المدن والقرى التي بها أحياء يهودية ، حيث كانت تقام داخل المعابد أو داخل الحي . (مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٥ ، حاييم زعفراني: ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ص ١٥٦)

(٦) عبد القادر زمامة : أزمة التجار في الأندلس ، مجلة المنهل عدد ٣٥ المغرب ١٩٨٥م ص ٣٣٣

أما الأسواق التي تخصصت في بيع الملابس والأقمشة والمنسوجات في فاس فكان لليهود دور هام فيها وخاصة انه كان لهم أسواق خاصة داخل أسواق فاس منها " سوق الخياطين " (١) كذلك كان لليهود دور كبير في صناعة الحرير فكان الحرفيون اليهود يشتركون في هذه الصناعة (٢) وكانت الملابس التي تطرز بالخيط المذهب يحتكرها اليهود لدرجة أنهم أطلقوا على أرباب هذه المهنة اسم " الصقليين (نسبة الي صقلية) " (٣) . كما اشتهروا بالصناعات المعدنية وخاصة صناعة الذهب والفضة (٤) وكذلك فقد احتكر اليهود سوق الصاغة الواقع في داخل مدينة فاس الجديدة (٥) فكانوا يصنعون المشغولات في دكاكينهم ، ثم ينتقلون ببضائعهم لبيعها في الساحة القريبة من سوق العطارين (٦) وكذلك قاموا بتصنيع الأساور والخلاخيل والأقراط والأطواق والخواتم الذهبية والفضية (٧) وبذلك اقتصر عليهم بيع بعض السلع منها ما كانت مادته الخام من المعادن مثل " القناديل والأمشاط " (٨) ، وخاصة مماشط الصوف فكان لليهود في فاس وحدها خمسة عشر دكاناً تصنع فيها هذه الأمشاط (٩) .

وقد أدى عملهم بتجارة الذهب والفضة إلى نقص ما يعود على دار السكة من هذه التجارة (١٠) كما اشتغلوا في تجارة الأحجار الكريمة خاصة المرجان المستخرج من شواطئ سبتة ، والياقوت المستخرج من جبل " هزرجه " قرب أغمات وهو ياقوت

-
- (١) الحسن الوزان : مصدر سابق ج ١ ص ٢٤١ ، حاييم زعفراني : مرجع سابق ص ١٥٥
 - (٢) حاييم زعفراني : نفس المرجع ص ١٥٥ . وقد جلب الحرير الخام من مدينة (خميس متغارة) وهي مدينة بناها الأفارقة في ضواحي زواغه على مسافة عشرة أميال إلى الغرب من فاس ، وقد استوطنها أهل غرناطة المهاجرين إلى المغرب ، وأكثروا من زراعة أشجار التوت الأبيض للانتفاع بها في تربية دودة القز . (الحسن الوزان : نفس المصدر ج ١ ص ٢٢٢)
 - (٣) نقل الصقليون معهم هذه المهنة إلى المغرب فعرفت باسمهم . (حاييم زعفراني : نفس المرجع ص ١٥٢ ، عطا شحاتة : اليهود في بلاد المغرب (رسالة ماجستير) ص ١٤٧)
 - (٤) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ص ١٣٩
 - (٥) مامول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ١٥٧ ، نوال علي عبد العزيز : علاقات المغرب الأقصى الخارجية في عهد بني وطاس ، رسالة دكتوراه ، معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩١ ص ١٤١
 - (٦) الحسن الوزان : نفس المصدر ج ١ ص ٢٨٤
 - (٧) روجيه لوطورنو : مرجع سابق ص ١٣٩
 - (٨) يطلق على هذه الحرفة " القراشليين " بالعبرية. حاييم زعفراني: نفس المرجع السابق ص ١٥٤
 - (٩) مامول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ١٥٣
 - (١٠) الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ٩٥

متناهي في الجودة وحسن اللون^(١) ولكثرة تواجدهم بالأسواق كثرت الفناوى التي نحدر من غشهم^(٢) .

وكان ليهود المغرب الأقصى صلاب قوية بينهم وبين يهود مواطني بلاد غير إسلامية جعلتهم يكونون فيما بينهم ما يشبه في عصرنا الحديث أول نظام ائتماني عالمي يسهل فيه عملية انتقال التاجر من بلد إلى آخر ، وتسهيل عمليات التبادل التجاري وتنظيمها^(٣) وقد أدى ذلك لرواج التجارة وازدهارها في الموانئ المغربية المطللة على البحر المتوسط مثل ميناء سبتة وباديس وهما من أهم الموانئ التجارية التي تصدر منها السلع القادمة من مدن المغرب الأقصى^(٤) ، وكان لكل جماعة من الجماعات اليهودية المتمركزة في الموانئ المغربية رسول خاص بها ينيبها بوصول القوافل والسفن القادمة من الخارج ونوع السلع التي تنقلها^(٥) .

كذلك ارتبط اليهود بعلاقات مع الضامنين الذين يقومون بإيواء التجار القادمين على متن هذه السفن وتفرض الرسوم الجمركية على هذه التجارة^(٦) .

وكان للتجار اليهود في المغرب الأقصى دور قوي من التجار النصاري^(٧) فقد وصلوا إلى المدن السودانية فاستطاعوا السيطرة على تجارة الصحراء^(٨) على أن أهم

(١) البكري: المغرب ص ١٥٢- ١٥٣ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ج ٢ ص ٥٢٩ ، الحميري: الروض المعطاء ص ٣٠٣ ، الحسن الوزان : مصدر سابق ج ١ ص ٢٨٢- ٢٨٣ ، مامول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ١٥٧ ، رجيح لوطورنو : مرجع سابق ص ٥٤

(٢) الوتشريسي : المعيار ج ٦ ص ٦٨ ، مجهول : قصة المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين ، مخطوط ، ورقة ٢ ، أبو عبد الله محمد بن محمد السقطي المالقي : في آداب الحسبه ، تحقيق حسن الزين ، مؤسسة دار الفكر الحديث ، بيروت ١٩٨٧م ص ٨٠- ٨١

(٣) عطا شحاتة : اليهود في بلاد المغرب الأقصى (رسالة ماجستير) ص ١٥٦

(٤) كانت السفن التجارية تأتي كل سنتين مدينة البندقية إلى ميناء باديس لإنزال مختلف أصناف البضائع وشحن بضائع أخرى . (ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، الحميري : الروض المعطار ص ٧٥ ، السبتي: اختصار الأخبار عما بثغر سبتة من سنى الأخبار ص ٤٥)

(٥) موريس لومبارد : الاسلام في مجده الأول ص ٣١٣ ، عطا شحاتة : مرجع سابق ص ١٦٧

(٦) موريس لومبارد : نفس المرجع ص ٣١٣

(٧) عاشور بوشامه : علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس ، هامش ص ٣٥٠

(٨) الشيخ الأمين عوض : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان في عهد السلطتين الاسلاميتين مالى وستغال ، دار المجمع العلمي ، جده ، ١٩٧٩م ، ص ١٦٥ ، عطا شحاتة: مرجع سابق

البضائع التي كان لليهود دور كبير فيها هي تجارة الرقيق حيث تخصص فيها اليهود المنتشرين في جميع الأقطار سواء في الأندلس أو في المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي مروراً بمصر وبلاد الشام إلى أن تصل للمغرب الأقصى . ساعدتهم على ذلك إجادتهم لعدة لغات^(١) .

- ... النصارى :

فضلاً عن النصارى الذين بقوا على دينهم في بلاد المغرب^(٢) فإن الغالب على الجالية المسيحية هم مجموعة من الروم الذين وقعوا في الأسر نتيجة للحروب التي خاضها المرابطون والموحدون بالأندلس والتي أسفرت عن الكثير من الأسرى النصارى الذين استخدمهم الموحدون في خدمتهم بالمغرب الأقصى وخاصة في الجيش حتى يمكن الاستفادة من خبراتهم العسكرية في مقاتلة فرنج الأندلس^(٣) حتى صار هؤلاء الروم ، أحد العناصر الرئيسية في جيش الموحدين وقد تردد اسم الروم كأحد الفرق العاملة في الجيش الموحدى خاصة في أثناء الصراع الموحدى المريني ، فقد قتل الأمير " محمد بن عبد الحق المريني " في معركة أبي نياس سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م بحرية أحد هؤلاء الروم العاملين في الجيش الموحدى واسمه " جوان غيطان " وكذلك بعد أن تم " لأبى يحيى بن عبد الحق " الاستيلاء على مدينة فاس سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م تمكن قائد جند الروم واسمه " زنار " من قتل المسعود ابن خرباش

(١) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، تحقيق دى خويه ، لندن ، مطبعة بريل ، ١٩٦٧ ، ط ٢ ، ص ١٥٣ ، المغيلي: مصباح الأرواح ص ٤٢ ، الترومانيني: الرق ماضيه وحاضره ص ٨٧

(٢) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٤٧م ص ٢٨

(٣) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٣٣ ، عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر ج ١ ص ٤٠٧ ، حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٧ ص ٣٧٩ - ٣٨٠ . ولم يكن هؤلاء النصارى من جند المرابطين (الروم) أهل ذمة ، فلم تفرض عليهم الجزية باعتبارهم مرتزقة لا يدخلون في أعداد الرعية ، وقد كانوا أحراراً في غالبيتهم ، وهم بذلك يختلفون تماماً عن نصارى العجم أو طائفة المعاهدين من نصارى أهل الأندلس أو المستعربين والذين أرغموا على التغريب ، فيقول عنهم ابن عذارى " وقع النظر على تغريبهم وإجلانهم عن أوطانهم ... فنفذ العهد إلى جميع بلاد الأندلس بإجلاء المعاهدين إلى العدو فنفى منهم في رمضان عند جم أنكرته الأهواء " . ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ، القسم الموحدى ص ٧٢-٧٣ ، محمود على مكي : وثائق جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدرج مج (٧ ، ٨) ١٩٥٩م - ١٩٦٠م ، ص ١٢٥ - ١٢٦ - ١٦٧)

عامل بني مرين على فاس بالاستعانة بأربعة آخرين من جند الروم ثم نصب زنसार نفسه حاكماً على المدينة^(١) .

وقد ظهر فوز النصارى في الفترة المضطربة بين قوط الأراة الموحدية وقيام الدولة المرينية ، وهزيمة الجيش المنسحب أمام تلمسان ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م وضم إليه عدة فرق من هذا الجيش كان منها فرقة للروم^(٢) .

وأول من استعان بالنصارى كان الخليفة الموحدى المأمون ٦٢٤-٦٣٠هـ / ١٢٢٧-١٢٣٢م وانفاقه مع ملك قشتالة " فرناند والثالث " سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م يحصل بمقتضاه على قوات عسكرية من الفرنج تعبر معه إلى بلاد المغرب مقابل دفع ثلاثمائة ألف قطعة (Maravedi) من الفضة ، وأن تبنى بمراكش كنيسة للنصارى يقيمون فيها شعائهم ، فكان المأمون بذلك أول من قام بإجازة الروم إلى العدو على هذا النحو^(٣) وقد أمده ملك قشتالة بأكثر من خمسمائة فارس .

وقد كان في فاس أعداد كبيرة ، حيث ذكر الحسن الوزان من أن هناك عبادات اجتماعية قديمة خلفها النصارى بفاس منها الأعياد التي خلفها المسيحيون ففي ليلة ميلاد المسيح كان أهل فاس يأكلون نوعاً من ثريد مصنوع من خضر متنوعة ، وكان الأطفال يصنعون أقنعة على وجوههم في أول أيام السنة الجديدة . كذلك كانت توفد النيران في أكوام التبن في كثير من الأحياء يوم القديس يوحنا^(٤) .

وقد كان لهؤلاء النصارى دورهم في النشاط الاقتصادي داخل مدينة فاس ، فكان هناك بعض العبيد المسيحيين^(٥) الذين يقومون بالعمل بمستودعات الخشب

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ج ١ ص ٤١٧ ، ابن عذارى : المصدر السابق ج ٣ ص ٣٩٩ - ٤١٨ - ٤١٩ ج ٤ ص ٤٧٤ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٣٧ ، ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٧١ ، ١٧٥ ، ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ٦٦ - ٦٧ - ٧٩ - ٨١ - ٨٢ ، ابن القاضي المكناسي : جذوة الاقتباس ص ١٠٢

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٧٣ ، الزركشى : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص ٢٣

(٣) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ١٦٧

(٤) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ٢٥٨

(٥) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٤٧ - ٣٤٩

بالمدينة^(١) كما عمل بعض الأسرى المسيحيين في صناعة أدوات حديدية داخل دار الصناعة الموجودة بفاس الجديدة ، تحت أمره مسلمي الأندلس^(٢) .

تنظيمات التجار (جملة - بالمفرق)

• تجار الجملة :

- التجار الأثرياء أصحاب رؤوس الأموال (تجار الجملة) :

كان تجار الجملة في المغرب الأقصى يعملون في نوعين من التجارة : التجارة الخارجية والداخلية ، فقد تكفل تجار الجملة في المغرب الأقصى بمهمة الاشتغال بالتجارة الخارجية فمنهم من يقومون بشراء البضائع بأنفسهم من البلدان المجاورة ونقلها بين البلاد مستفيدين من تباين الأسعار في تنمية رأس المال^(٣) .

وقد انقسم التجار في المغرب الأقصى إلى ثلاث فئات^(٤) هم :

أ- التاجر الخزان : وهو الذي يشتري الأشياء بأسعار منخفضة والتريص بها لحين ارتفاع سعرها فعليه المبادرة بالبيع عند التنبؤ بانخفاض الأسعار وتجزئة الشراء (أخذ البضاعة في حال كسادها ورخصها) وأن يتأمل أحوال السلطان أكان عادلاً أم جائراً .

ب- التاجر الركاض : وعليه التبصرة والاحتياط ويستحب له اصطحاب رقعة بأسعار جميع البضائع التي يتعامل بها هذا فضلاً عن معرفته بمقدار المكوس التي تختلف من بلد لآخر .

ج- التاجر المجهز : كالوكيل المجهز بتجهيز البضائع إلى وكيله الذي يقوم ببيعها بنفسه لحساب المجهز، وينبغي أن يكون الوكيل ثقة أميناً ، وهو المتولي للبيع، وله حصة في الربح في كل ما يبيعه أو يشتريه^(٥) .

(١) عمل هؤلاء العبيد من التصاري في مستودعات الخشب الموجودة بالمدينة ، وكان أسيادهم يعطونهم ما يقتاتون به بدلاً من المال ، ولم يكن لهم غير نصف يوم من الراحة يمتد من الظهر حتى المساء من يوم الجمعة إلى جانب ثمانية أيام موزعة على السنة وهي أعياد المسلمين .
(الحسن الوزان : وصف إفريقيا ج ١ ص ٢٤٦ ، مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٥٥)

(٢) مارمول كرفجال : إفريقيا ج ٢ ص ١٥٧

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ج ٣ ص ١٥٥

(٤) أبو الفضل بن الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ، ص ٦٩

(٥) أبو الفضل بن علي الدمشقي : نفس المصدر السابق ص ٧١-٧٥

وربما انتهى الأمر بتجار الجملة بأحدهم إلى إفلاسه أو انقطاع أخباره بعد رحلة إلى بلد بعيد^(١)، ويقوم بعض التجار ببيع بضاعته في بلد آخر ليشترى بضاعة أخرى مختلفة فينقل بعضها إلى بلده ، ويبقى القسم الآخر منها ليتم بيعه عن طريق وكيله الذي يتركه في ذلك البلد^(٢) ، كما كانوا على اتصال دائم بالتجار الأوربيين^(٣) يبتاعون منهم المنتجات الثمينة كالأقمشة رفيعة المستوى التي كان لها رواج في البلاط الموحدى وبين الأسر الغنية في المدن الكبرى بالدولة . وقد بلغت تجارتهم في أوروبا بواسطة عدد من موانئ البحر المتوسط التي كان يقصدها التجار بأنفسهم، أو عن طريق تواجد تجار من جنسيات مختلفة داخل الأسواق كالجنوبيين^(٤) والبيزويين^(٥) والفلورنسيين ، فيذكر التازي أن أن لشركة كوكو وفيتورى من البندقية رجال من فلورنسا كانوا يعملون في بلاد المغرب^(٦) وكذلك الأرجونيين والفرنسيين وغيرهم .

كما كانت بضائع تجار الجملة تصل إلى شمال إفريقيا ومصر عن طريق قوافل الحج وكانت القوافل تحمل منتجات المغرب من أقمشة وجلود وملح إلى بلاد السودان لتعود محملة بالذهب وريش النعام^(٧) .

وقد كان هذا النوع من التجارة سبباً في ثراء الكثير من التجار ممن كانوا يتحملون المخاطر من أجل توفير بعض السلع اعتماداً على اختلاف الأسعار بين البلدين لأسباب يذكر ابن خلدون بعضها بقوله : " ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالاً ، لبعدهم طريقهم ومشقته ، واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش ... وكذلك المسافرون من بلادنا إلى المشرق ، لبعده الشقة أيضاً^(٨) " .

(١) عبد الحق بن إسماعيل الباديسي : المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تحقيق سعيد أحمد اعراب ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٨٢م ، ص ١٢٩

(٢) الونشريسي : المعيار ج ٩ ص ٧٥-٧٦

(٣) عثمان الكعاك : الحضارة المغربية ، ص ١٥٩ ، عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، ص ٧٦

(٤) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب قسم الموحدين ص ٣٤٦-٣٤٧ ، النميري : فيض العباب ص ٣٠-٣١

(٥) التازي : التاريخ الدبلوماسي ج ٧ ص ١٧٥-١٧٧

(٦) التازي : نفس المرجع ج ٧ ص ١٧٥

(٧) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بن مرين ص ١٦٠

(٨) ابن خلدون : المقدمة ، ج ٣ ص ٩١٨ - ٩١٩

وقد تحمل بعض التجار مرافقة الحملات العسكرية وما ينجم عنها من أخطار وقد باتت هذه المزمالة من قبل التجار ظاهرة معروفة على الرغم من اتسامها بالخطورة^(١).

كما كان هؤلاء التجار يقومون بدورهم في مجال التجارة الداخلية فيجمعون الصناعات المحلية والسلع الاستهلاكية ثم يبيعونها يوماً بيوم لتجارة التجزئة ديناً^(٢). معتمدين في ربحهم على خزن تلك البضاعة ومن ثم تصريفها فيما بعد كما وجد قسم آخر منهم يستعينون بوكلائهم لتفقد أحوال الأسواق لمعرفة البضاعة النافذة فيطلب من تاجره إرسال تلك البضاعة إليه^(٣). فكان من الطبيعي أن تدر تجارة الجملة هذه على التجار الأرباح الوفيرة التي استثمروها في التجارة إلا أن أكثر استثماراتهم كانت في شراء العقارات والأراضي الصالحة للبناء لتشييد منازلهم الجميلة والحدائق والأراضي الزراعية^(٤).

• تجار التجزئة (المفرق ، بالمقطع):

وقد انقسموا تجار التجزئة الى فئتين :

الفئة الأولى : كانوا يبيعون المنتجات الثمينة كالأقمشة الثمينة ، والأحذية الخاصة بالأعياد^(٥) والحلي والمجوهرات ، والشموع وسائر المنتجات الأخرى ، وكان لهم مكان ثابت بالأسواق والقيساريات كما كانوا يحتلون الشوارع الصغيرة والمختلفة. وكان أهل هذه الفئة أيسر حالاً لأن المنتجات التي كانوا يبيعونها كانت في الغالب منتجات ثمينة وكان أغلب زبائنهم من الأغنياء ، ولذلك فكانت أرباحهم كبيرة وهم يعدون من أفراد الطبقة الوسطى^(٦).

(١) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٣٥٢ ، ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٩٦

(٢) ابن أبي زرع : نفس المصدر ص ٥٨ ، روجيه لوطورنو : فاس في عصر بن مريم ص ٥١

(٣) الونشريسي : المعيار المعرب ج ١ ص ٣٧٢

(٤) وتشهد بعض المنازل الجميلة التي شيدها بعضهم ، على أنهم كانوا يجنون أرباحاً ضخمة .

(روجيه لوطورنو : نفس المرجع ص ١٥٩-١٦٠)

(٥) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ج ١ ص ٢٤٣-٢٤٤

(٦) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بن مريم ص ١٦١

أما الفئة الثانية : فكانت تباع سلع الاستهلاك اليومي ، وخاصة المواد الغذائية من الزيت والصابون والزبد والبيض والفواكه والحنطة والبقول والبصل والثوم وأشباهاها^(١) وكانت هذه الفئة أقل دخلاً من سابقتها ، فطبيعة منتجاتهم وتنوع زبائنهم لم تمكنهم من الحصول على أرباح كبيرة ، حيث كان أغلب زبائنهم من أبناء الحي . ولم يكن الفلاحون والمسافرون يشترون من هذه الفئة إلا من كان منهم له حانوت بالقرب من أبواب المدينة . ولذلك يعد تجار التجزئة من هذه الفئة صنفاً من التجار الفقراء يتساوون في مستوى معيشتهم مع الصناع فكان الكثير منهم مضطرين إلى شراء بضائعهم بالدين من تجار الجملة^(٢) .

• التجار الجائلون :

وهم جماعة كبيرة من القادمين حديثاً إلى المدن ، فيهبطون إلى الأسواق ساعين في سبيل الرزق وهرباً من القحط^(٣) فيقومون بحمل بضائعهم والتجول بها في الشوارع والحارات لبيعها ، قد أشار الونشريسي إلى أن بعض الباعة من المسلمين واليهود كانوا يقومون ببيع السلع للنساء في الدور ليس في الأسواق ويذكر أنه عند اشتداد الحر كان بعض النساء يخرجن إليهم سافرات الوجه^(٤) .

• علاقة الدولة بالتجار :

يرتبط التجار بالدولة على حسب قوة الدولة أو ضعفها ، فإن كانت الدولة قوية مستقرة كانت التجارة في استقرار وازدهار ، وإن كانت الدولة ضعيفة اضطرب فيها الأمن ، كانت التجارة مضطربة والأسعار في ارتفاع .

ولهذا مرت علاقة التجار بالدولة الموحدية بمرحلتين :

المرحلة الأولى من سنة (٥٤١ - ٦١٠ هـ / ١١٤٥ - ١٢١٣م) : فقد أشاعت

دولة الموحدين الأمن في جميع أرجاء دولتهم خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي^(٥) .

(١) ابن خلدون : المقدمة ج ٢ ص ٣٢٧

(٢) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بن مريم ص ١٦٢

(٣) روجيه لوطورنو : نفس المرجع ص ٥٣

(٤) الونشريسي : المعيار ج ٥ ص ١٩٧

(٥) عز الدين احمد موسى : النشاط الاقتصادي ص ٢٧٠

فقد أكد عبد المؤمن بن علي " رسالة العدل " على حماية التجار وتأمين طرق التجارة متوعداً بقتل من يخالف هذا الأمر^(١).

ومن اهتمام الموحيدين بالأمن في دولتهم لم يترددوا في تسيير حملة على قبيلة تعتدي على التجار مثل الذي فعله المنصور والناصر مع عتاة زناتة قرب تلمسان^(٢). كذلك قام خلفاء الموحيدين بتعويض التجار عما يفقدونه في كارثة عامة^(٣) وقد رخصت الأسعار ، حيث رفع المكوس (الضرائب) عن التجار ، وفرض عليهم ما تفرضه الشريعة الإسلامية^(٤) ، وكذلك تمهيد الطرق في جميع أنحاء البلاد^(٥).

المرحلة الثانية (٦١٠-٦٦٨ هـ / ١٢١٣-١٢٦٩ م) : اضطربت أحوال الدولة وبدأ الانهيار والضعف وسقوط الدولة^(٦) . فقد أثر هذا الوضع على التجار ، فقد ارتفعت الأسعار ارتفاعاً هائلاً ٦١٦ هـ / ١٢١٨ م ، وكانت الأحوال الاقتصادية تسير من سيء إلى أسوأ^(٧) . وانتشرت الفوضى واضطرب الأمن واشتد الخوف في الطرقات ، وكثر الاعتداء على الضعفاء ، وكسدت التجارة ...^(٨).

(١) عز الدين احمد موسى : نفس المرجع والصفحة . ابن القطان : نظم الجمان ، تحقيق محمود علي مكي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ص ١٦٧ . وقد انزل العقوبات بأصحاب حوادث الاعتداء على التجار أو قطع الطرق التي عرفت ، منفذاً بذلك وعيده ، وسار خلفاؤه على نهجه . (ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٣٦٧-٣٦٨ ، الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٦٧ ، المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٠٧)

(٢) ابن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص ٦٧
(٣) عز الدين احمد موسى : مرجع سابق ، ص ٢٧١ . في حكم الناصر سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م وقع حريق بحى القيسارية بمراكش ، وشبت النار أولاً في حى القيسارية ، وانتشرت بسرعة ، وأنت على الحى كله ... وأمر الناصر في اليوم التالي ، بتتبع السفلة الناهبين ، واسترداد ما يمكن استرداده منهم فقبض على كثيرين منهم وأعدموا على الأثر ، وهلك في تلك النكبة كثير من الأموال والدور ، وافترق كثير من ذوى اليسار ، وفقدوا دورهم وثرواتهم ، وأمر الناصر بأن يعاد تشييد الأحياء المحترقة بأحسن مما كانت عليه . (ابن عذارى المراكشي : البيان ، القسم الموحيدي ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥)

(٤) ويصف الإدريسي : ذلك بقوله : " فلما ولى المصامدة (الموحدون) وصار الأمر إليهم قطعوا القبلات بكل وجه وأراحوا منها... " (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٥ - ٢٣٦)

(٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالأمانة ص ٤٤١-٤٤٦ ، ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ، ص ١٥٨ ، ١٥٩

(٦) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحيدين ج ٥ ص ٣٢٧

(٧) محمد عبد الله عنان : نفس المرجع ص ٣٤١

(٨) ابن أبى زرع : الذخيرة السنية ص ٣٥ . فقد ظهرت طلائع بن مرين سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م في أحواز مدينة فاس ، وقد انتزعوا فيما بعد ملك الموحيدين . (ابن أبى زرع : الذخيرة السنية ص ١٠) . وقد ضعفت دولة الموحيدين في أيام المستنصر ، واعتراها النقص ، وأخذت في الانحلال . (ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ١٦١)

أحمد ساجد بيق

الخاتمة

تتاول هذا البحث التجارة الداخلية في المغرب الأقصى في عصر الموحدين ،
فتبين لنا أن المغرب الأقصى في عصر الموحدين مر بمرحلتين مختلفتين

المرحلة الأولى (٥٤١هـ / ٦٠٩هـ) ، مرحلة القوة السياسية والازدهار
الاقتصادي .

المرحلة الثانية (٦١٠هـ / ٦٦٨هـ) ، مرحلة الضعف السياسي والانحيار
الاقتصادي .

وفى بداية حكم الموحدين شهدت البلاد حالة من الازدهار الاقتصادي والسياسي
والعسكري ، والاجتماعي ، والالتزام بما تفرضه الشريعة الإسلامية .

فقد سار خلفاء الموحدين على نهج عبد المؤمن بن علي الخليفة المؤسس الذي
اهتم بمراكش عاصمة المرابطين التي دخلها سنة ٥٤١هـ / ١١٤٥م ، وجعلها عاصمة
دولة الموحدين ، وغرس البساتين حول مراكش ، وجلب لها الماء من أغمات وحفر
الآبار والعيون ، وعظم إنتاج البساتين من الفواكه ومسح (حصر) جميع أراضي
المغرب من برقة حتى المحيط الأطلسي ، وحصل من الولاة على بيانات دقيقة عن
سكان كل ولاية ، وعن خواصها وثرواتها وغلاتها وكان يرمي من ذلك إلى تقرير
الخراج على الأرض ، واسقط الثلث مقابل ما لا يصلح للزراعة (اتساع الدولة مهد
لها موارد اقتصادية هائلة) . ولقد أشاع الأمن في جميع أرجاء دولته ، واهتم
بالتجارة الداخلية فعمل على حماية التجار ، وتأمين طرق التجارة متوعداً بقتل من
يخالف الأمر .

ومن أهم أعماله للتجارة قطع جميع المغارم والقبالات والمكوس التي فرضها
المرابطون في آخر دولتهم ، وكانت تجبى الأموال خراجها دون مكس ولا جور
فكثرت الأموال وازداد الأمن في الطرقات في عهد الخليفة الثاني يوسف بن عبد
المؤمن .

وهكذا ازدهرت أحوال البلاد في التجارة والسياسة وفى شتى المجالات في عهد
الموحدين لانتشار الأمن وعدم فرض ضرائب أو مكوس أو مغارم أو قبالات. ففي
عهد الخليفة المنصور وصلت الدولة الموحدية إلى ذروة عظمتها ومجدها " فتسير
الظعينة من برقة إلى بلاد السوس لا تخشى شيئا " ، وزاد في وزن العملة الموحدية

فأصبحت أربعة جرائمات وسبعين في المائة من الجرام ، بعد أن كانت سابقاً لا تتعدى جرامين وخمسة وثلاثين في المائة من الجرام . ومحاسبة أمناء الأسواق وشيوخ الحضر مرتين في الشهر . وانتصاره على ملك قشتالة في معركة الارك سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م انتصاراً ساحقاً زاد من هيبة الدولة بين نصارى اسبانيا . وظلت الدولة في قوة وازدهار ، وربطت مدن المغرب الأقصى شبكة من الطرق البرية . فقد اهتموا بتسهيل مركز النقل فعبدوا الطرق وسهلوا حركة المرور وتأمينها داخل الأسواق وخارج المدن . وتوفرت وسائل نقل تناسب حجم المبادلات التجارية سواء لاستخدامها داخل المدينة أو لنقل البضائع لعموم بلاد المغرب الأقصى والبلاد المحيطة ، واستخدموا النقل البري والنهري والبحري في انتقال السلع بين بلاد المغرب أو الأندلس أو بلاد السودان أو بين بلاد المشرق .

ومن أهم المراكز التجارية في المغرب الأقصى بعد مراكز قاعدة الدولة مدينة فاس منذ نشأتها في عهد الادارسة ، تأتي سبتة وطنجة وسجلماسة وأغمات وهذه المدن تأتي أهميتها لأنها موانئ بحرية أو صحراوية في طريق بلاد السودان فهي على طرق التجارة في المغرب الأقصى .

واهتمت دولة الموحدين بالأسواق في مدن المغرب الأقصى حيث يتم في السوق البيع والشراء فامتلأت الأسواق بشتى أنواع المتاجر التي تأتي بها القوافل القادمة من بلاد السودان ومدن المغرب لبلاد المغرب الأقصى . وتتوعدت الأسواق بين اليومية أو الدائمة التي تختص بمكان معين تبعاً لأنواع السلع ، وكان تنظيمها يخضع لشروط كثيرة ، وعلى هذا الأساس يجد المرء بعض الصناعات داخل المدينة والقسم الآخر خارجها لاحتياج بعض الحرف إلى المياه لتصريف بقايا العمل فيها . وأسواق الجملة ومركزهم بجوار أبواب المدن ، ونجد هذا التصنيف في المدن الكبرى وخاصة في مراكز وفاس ، التي اقتصت أيضاً بأسواق متخصصة يطلق عليها قيسارية تنشئ في المدن الكبرى . وتعتبر القيسارية مدينة تجارية صغيرة فكانت تحتوى على شتى منتجات الأسواق مجتمعة معاً ، وهي مقصد لكبار التجار . ولم تكن القيسارية تتكون من حوانيت فحسب ، إذ كانت تقوم إلى جانبها مخازن ، حيث كان تجار الجملة يخزنون بضائعهم قبل بيعها إلى تجار التجزئة ، وكانت القيسارية تضم في داخلها أسواقاً مختلفة . وكان يوجد أسواق أسبوعية أو دورية التي تقام في أيام معينة من

الأسبوع ، وهناك الأسواق الموسمية التي تقام في المناسبات . وهناك أسواق تتخصص في سلعة محددة مثل سوق الشماعين والعطارين والكتبيين في فاس

وقم اهتم الموحدون بالأسواق فعينوا الأمناء أو المحتسب وهو المسئول عن إدارة السوق وكان له مركزه المرموق بين الموظفين المدنيين ويطلق عليه صاحب السوق أو صاحب الحسبة أو الأمين فكان من مهام المحتسب مراقبة التجار والعمل على نظافة الأسواق والالتزام بتطبيق الآداب العامة فيها ومحاسبة العاملين في الأسواق ، ولكن كان التجار يبتكرون حيلاً جديدة أحالت دون تطبيق الحسبة على الأسواق تطبيقاً محكماً .

وقد أشرنا لدور العاملين في الأسواق في المساهمة في ازدهار الحركة التجارية في المغرب الأقصى وخاصة السماسرة والدالون والجلاسون والحمالون والموثقون والسقا وغيرهم من العاملين في الأسواق ، فهم الفريق الذي ينظم العلاقة بين البائع والمشتري في الأسواق .

وأشرنا لدور الفنادق في الحركة التجارية لإيواء التجار الغرباء .
ولم تكن التجارة تقوم على العملة (الدينار والدرهم) فقط بل كان التجار يستخدموا وسائل أخرى في المعاملات مثل السفاتج والصكوك والحوالات .

ولم تفرض الضرائب إلا في مرحلة الضعف فقد فرضت الضرائب على الأراضي وعلى التجار وعلى الحرف في نهاية حكم دولة الموحدين .

أما عن عناصر التجار من سكان المغرب الأقصى فكانوا من البربر والعرب والأندلسيين والسودانيين وأهل النمة (اليهود والنصارى) .

كما ثبت من الدراسة الدور الكبير الذي لعبه التجار اليهود واستثمارهم بالعديد من الحرف والصناعات وتحكمهم في الصرافة والتجارة الخارجية . وتنظيمات التجار سواء تجار الجملة أو تجار التجزئة (المفرق - المقطع) أو الباعة الجائلين .

وعن علاقة الدولة بالتجار فقد ظهر واضحاً حيث خصصت الأمناء لمراقبة التجار ومعاقبة المخالفين وتأمين التجار في الطرق وكذلك فرض الزكاة أو فرض ضرائب عند احتياج الدولة للمال ، فعندما تكون الدولة قوية تكون التجارة والحركة

التجارية نشطة والحالة الاقتصادية مزدهرة . أما في حالة ضعف الدولة فالحالة التجارية تتدهور وتقرض الضرائب ويضطرب الأمن ويتدهور اقتصاد الدولة .

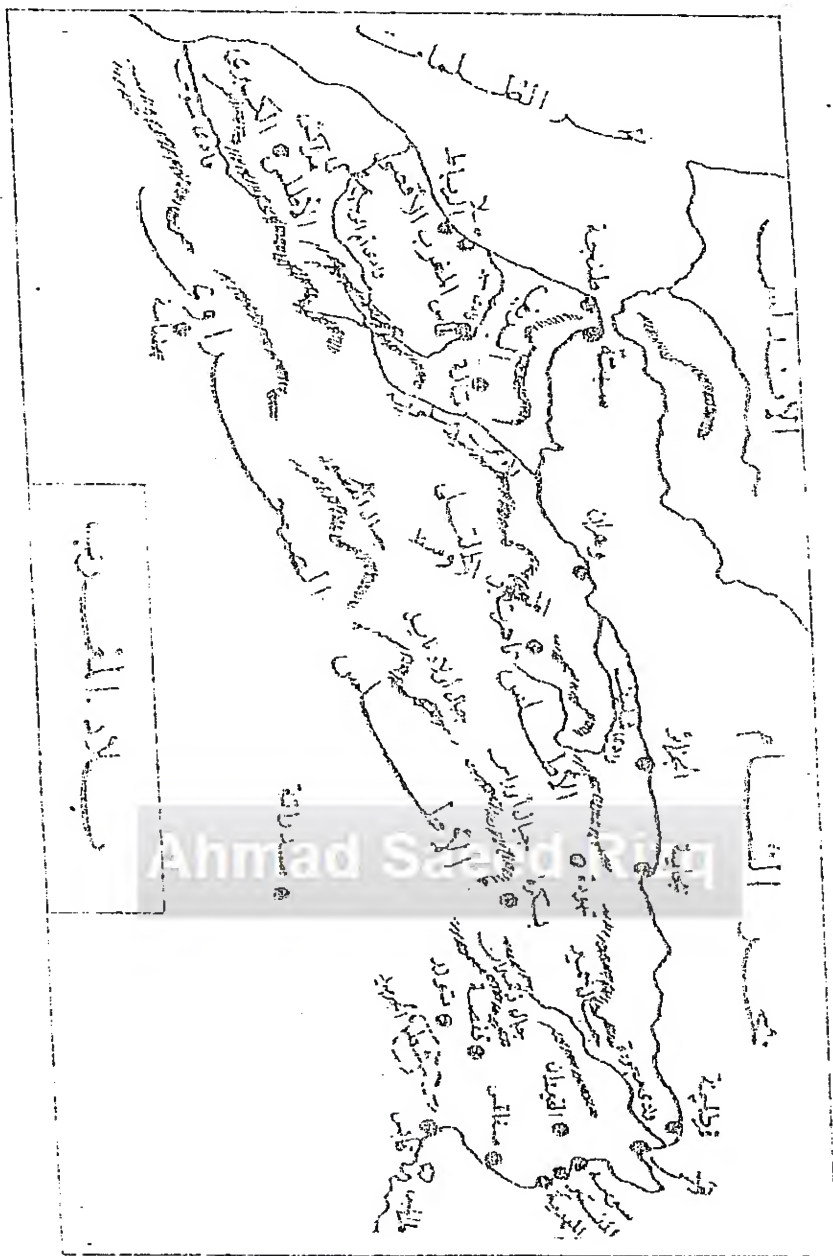
وفى عهد الخليفة الناصر محمد بن المنصور استطاع أن يقضي على ثورة بني غانية ، ولكن في عهده هزم في معركة العقاب من ملك قشتالة سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م ، فيعتبر هذا التاريخ هو بداية النهاية لدولة الموحدين ، حيث استمرت الدولة الموحدية تمارس وجودها طوال سبعة وخمسين عاماً بعد معركة العقاب ، ولكنها لم تكن دولة بمعنى الكلمة ، إذ بدأت عوامل الانهيار والتفكك تتأب الدولة ، وتظهر دويلات في بلاد المغرب (بني عبد الواد في التلمسان ، وبني حفص في تونس) ، ثم سقوط الأندلس في يد النصارى الأسبان ، وفى سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م تسقط على يد بني مرين .

وأرجو أن يكون ما توصلت إليه من نتائج في هذه الدراسة أسهماً متواضعاً في أبرز خصائص تلك الفترة تجارياً واقتصادياً ، عن التجارة الداخلية في المغرب الأقصى ، إضافة علمية جديدة في طريق المعرفة التاريخية .

Ahmad Sa'ed Rizq
والله الموفق

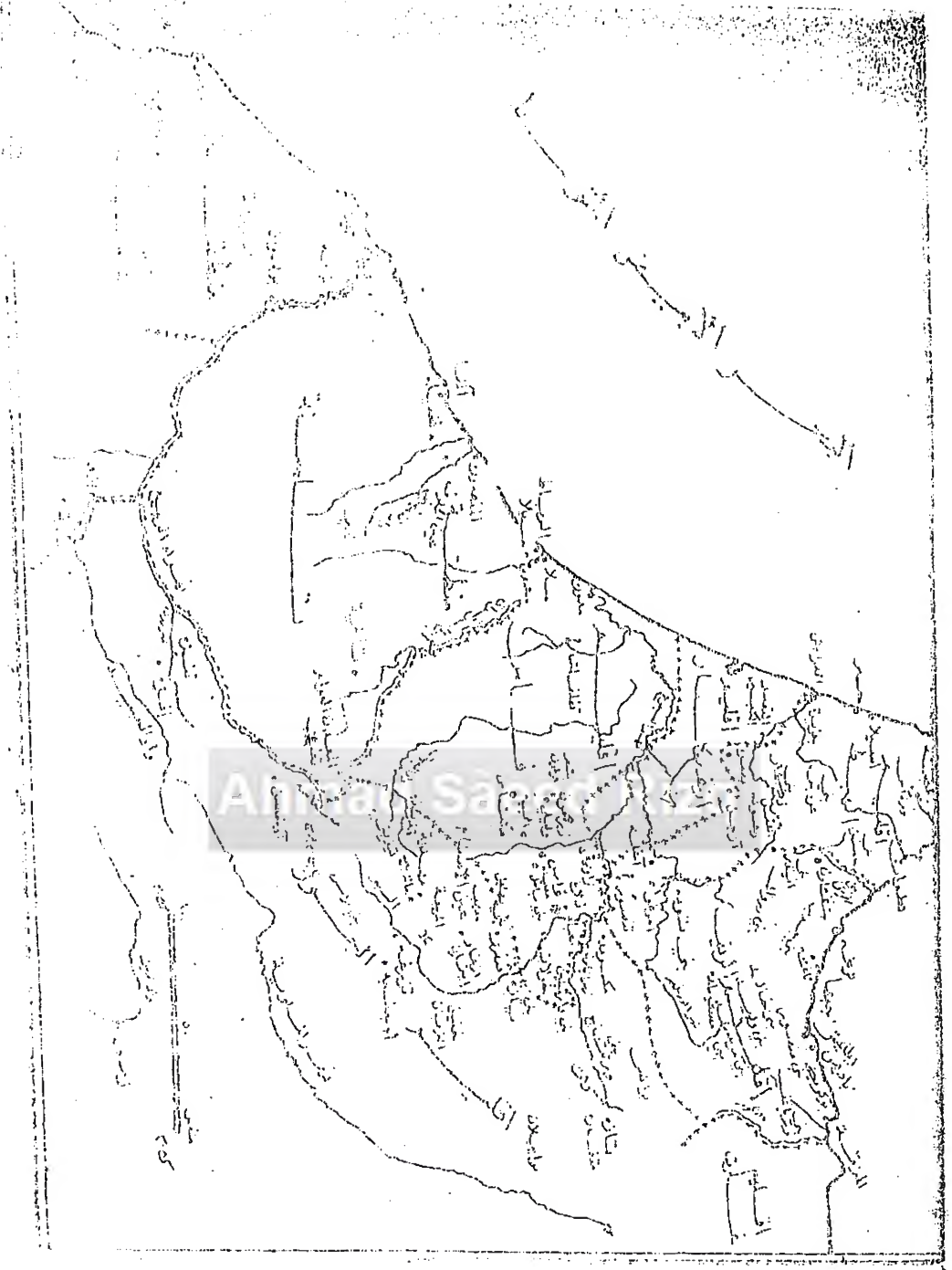
Ahmad Sa'ed Fizi

أحمد سعيد فيزي



خريطة رقم (١)

حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ص

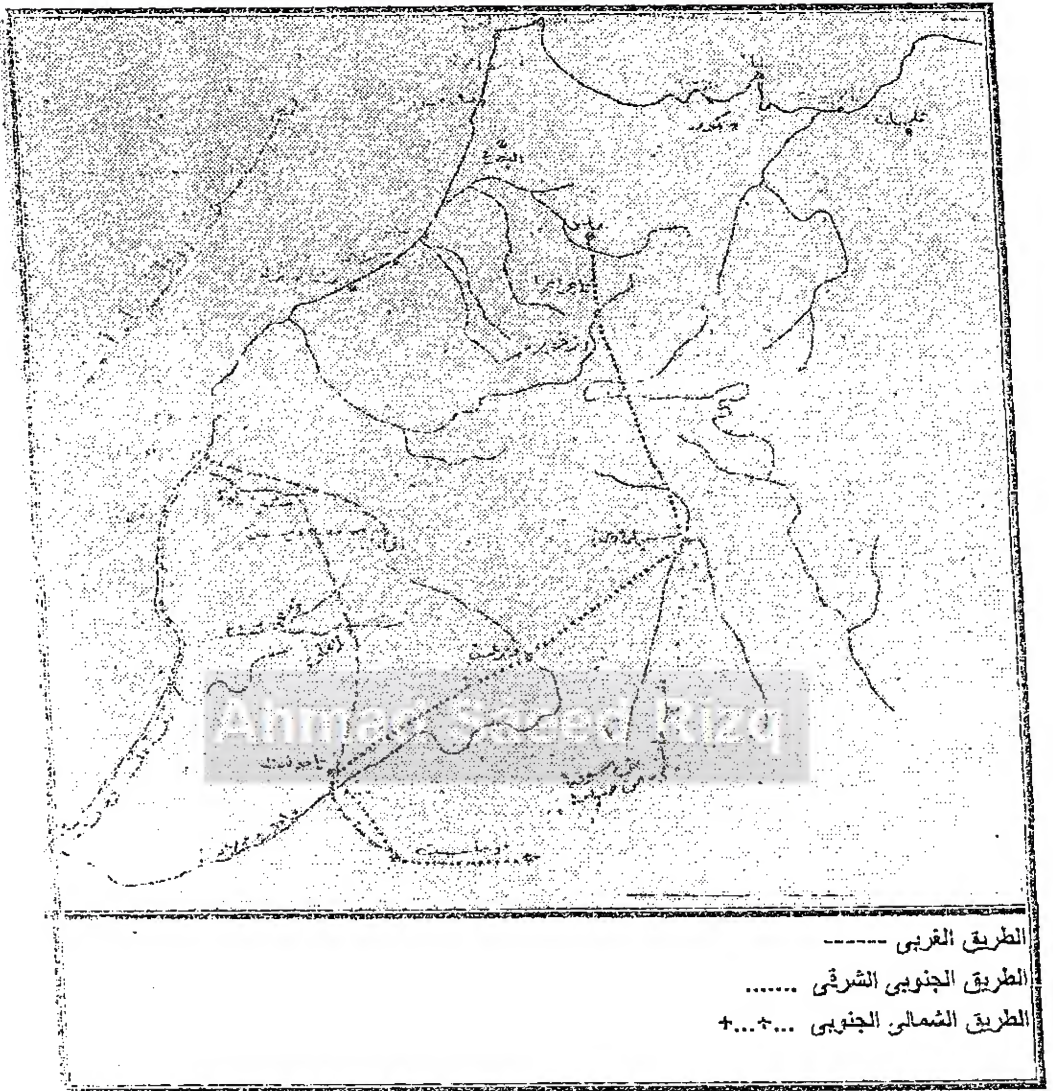


الوزان : وصف أفريقيا ص ١٩٨ (قسم فاس)

المحيط أو بحر الظلمات

Ahmad Sa'eed Rifa'i

الوزان : نفس المصدر السابق ص ١٠٦ (قسم مراكش)

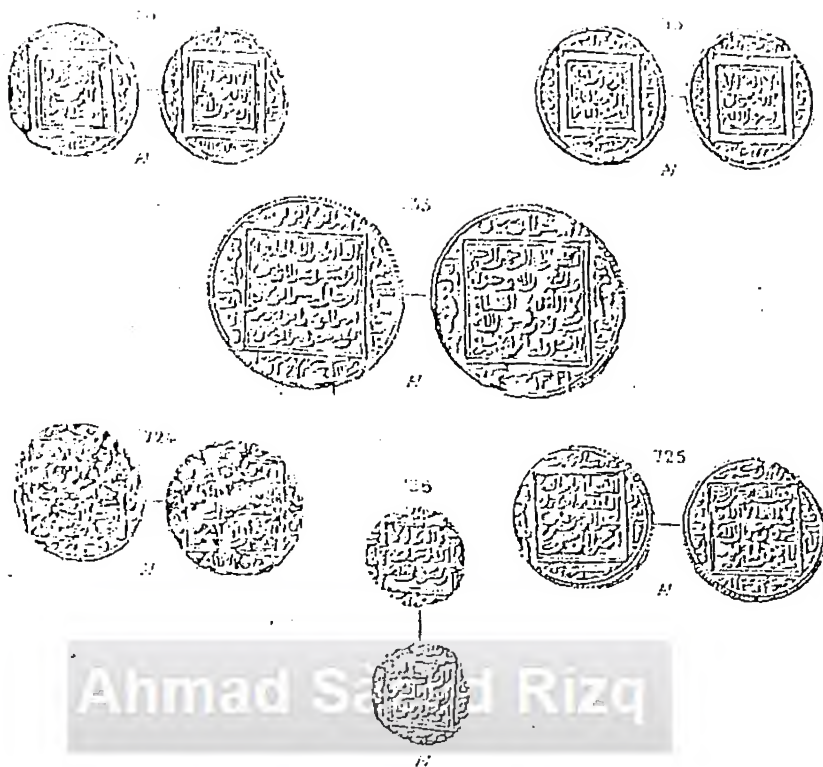


طرق التجارة مع السودان الغربى

عن حسين مؤنس: اطلس تاريخ العالم الاسلامى، ص ٣١٥.

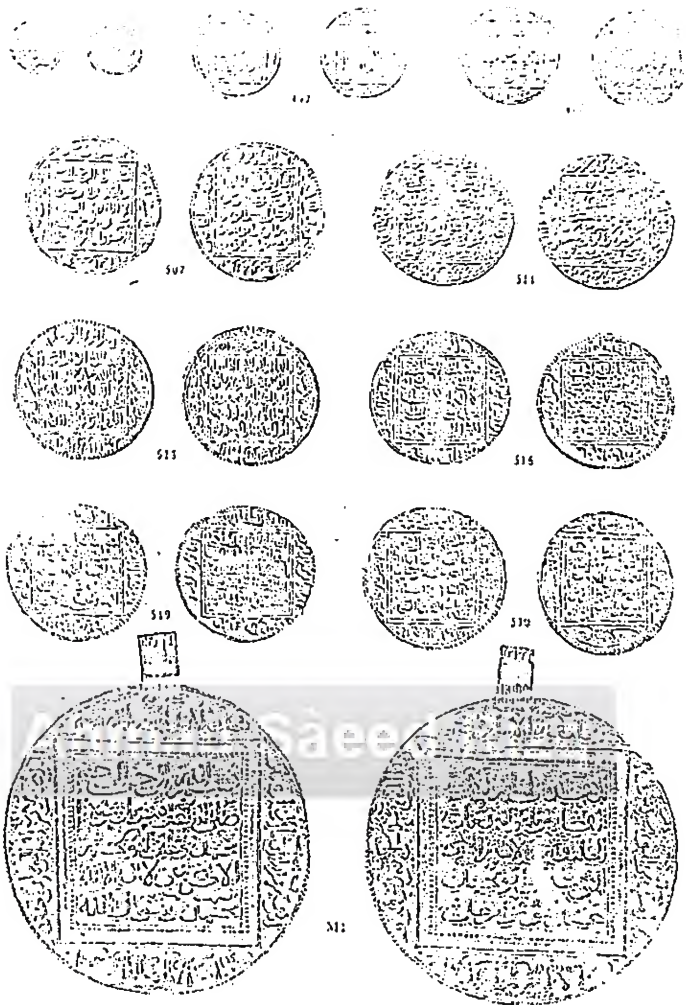
خريطة للأودية والمراسي في الصحراء

أهم الأودية والمراسي
على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي
في المغرب الأقصى في عصر الموحدين
من إعداد الباحث



العملة الموحدية

جمال أحمد طه : مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين ص ٢٢٤



MUWAMMID Gold Coins: 446a-530, and Medals: M1

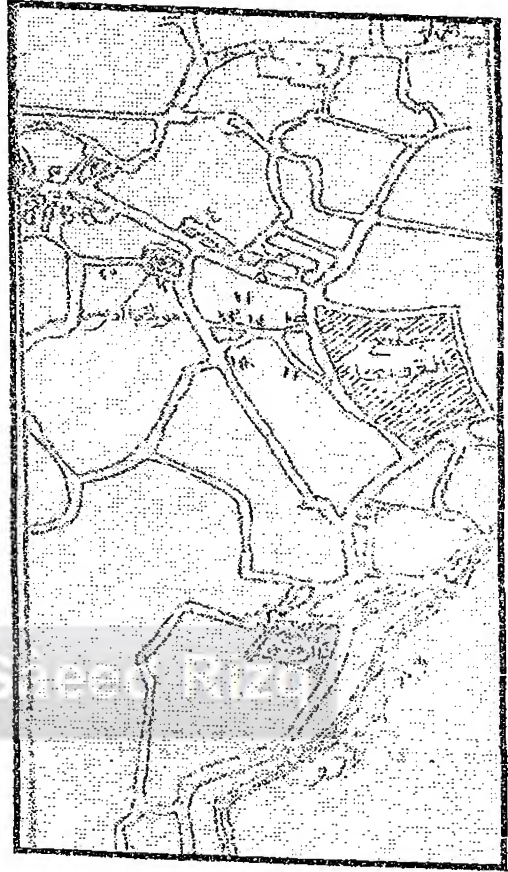
بمقر المملكات الوندالية المغربية في فاس ٥١٠ - ٦١٠ هـ

Lavoix : op.cit., Vol. 3.

نقل عن :

جمال أحمد طه : مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين ص ٢٣٥

١. الأعشاب الطبية.
٢. الدجاج.
٣. خيوط الحرير.
٤. المنسوجات.
٥. التوابل.
٦. السروج وطقوم الخيل.
٧. الأوعية.
٨. القطران.
٩. الحناء.
١٠. الزجاج والسعوط.
١١. النقىصرية.
١٢. الشمع.
١٣. الأحزمة المطرزة (مضام).
١٤. فواكه ناشفة.
١٥. أطباق مسلحة للطبخ.
١٦. الخيوط.
١٧. الكتب.
١٨. ربطات خيوط الحرير.
١٩. حطب التسخين.
٢٠. التبغ.



Ahmad Saeed Rizo

الأسواق المتخصصة

عن روجيه لوتورنو: فاس قبل الحماية، ص ٥٣٦.

Ahmad Sàeed Rizq

المصاحف والمصاحف

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المخطوطات :

١- مجهول .

- رسالة في ذكر من أسس فاس، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم (ح ٩٧٣٢)، ميكروفيلم رقم (١٠٩٨٨) .

٢- مجهول (ت : النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري)

- ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين ، مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعيد المخطوطات ، جامعة الدول العربية ، عن الخزانة العامة بالرباط ، رقم (١٦٣٢٧ تاريخ) .

ثالثاً : المصادر :

١- ابن أبي دينار/ أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت : ١١١٠هـ / ١٦٩٨م)

- المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، تحقيق وتعليق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، الطبعة الثالثة ، تونس ، ١٩٦٨م .

٢- ابن أبي زرع / أبو الحسن علي بن عبد الله (ت : ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق محمد الهاشمي الفلالي ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٢م .

- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة الميرينية ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٢م .

٣- ابن الآبار / أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي (ت : ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)

- الحلة السراء، الجزء الأول ، تحقيق حسن مؤنس ، الطبعة الثانية ، دار المعارف، ١٩٨٥م .

- التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق ونشر عزت العطار الحسيني ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

- المعجم في أصحاب القاضي بن علي الصديقي، تحقيق كوديرا ، مطبعة روخس، ١٨٨٥م .

٤- ابن الأثير / أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت : ٣١٠هـ)

- الكامل في التاريخ ، ١٣ مجلد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٩م .

- ٥- ابن الأحمر / أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد (ت : ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)
- روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية ، الطبعة الثانية ، الرباط، ١٩٦٢م .
- بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٢م .
- النفحة النسرينية واللحة الميرينية ، ترجمة وتحقيق عدنان محمد آل طعمة ، مكتبة المتنبى للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- ٦- ابن الأخوة / محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت : ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م)
- معالم القربة في أحكام الحسبة : عني بنقله وتصحيحه روبن ليوي ، مطبعة دار الفنون ، كمبريدج ، ١٩٣٧م .
- ٧- ابن الجوزي / عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت : ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)
- المنتظم في تاريخ أخبار الإمام ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٩ مجلد ، الطبعة الأولى ، حيدر أغات ، ١٩٣٨م .
- ٨- ابن الحاج النيمري / إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم (ت : ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
- فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، دراسة وإعداد محمد بن شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٩٠م .
- ٩- ابن الحاج النيمري / أبو عبد الله محمد بن محمد الفاسي (ت : ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م)
- المدخل إلى تنمية الأعمال لتحسين النيات والتنبية على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د. ت .
- ١٠- ابن الخطيب / لسان الدين بن محمد بن عبد الله بن سعيد (ت : ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)
- أعمال الأعلام في من بويق قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٥٦م .
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٦م .
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق محمد كمال شبانة ، طبعة اللجنة المشتركة لنشر التراث المحمدية ، ١٩٧٧م .
- مفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ترجمة وتحقيق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الاهواني ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، د. ت .
- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط من كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق وتعليل أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، نشر وتوزيع دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤م .

- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب (مجموعة من رسائله) ، نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ، ١٩٥٨م .
- ١١- ابن الدباغ / عبد الرحمن المعروف بأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت : ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م)
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أربعة أجزاء ، تعليق إبراهيم شبوح ، تونس ، ١٣٢٠هـ ، القاهرة ١٩٨٦م .
- الجزء الثاني ، تحقيق محمد الأحمد أبو النور وآخرون ، الجزء الثالث ، تحقيق محمد ماضور ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د. ت .
- ١٢- ابن الزبير / أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (ت : ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م)
- صلة الصلة بالشكالية ، صححه وعلق عليه ليفي بروفنسال ، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية ، الرباط ، المطبعة الاقتصادية ، ١٩٣٧م .
- ١٣- ابن القاضي / أحمد بن محمد المكناسي (ت : ١٠٢٥هـ / ١٦١٣م)
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٣م .
- ١٤- ابن القطان / علي بن محمد بن عبد الملك الحميري الفاسي (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م)
- جزء من كتاب نظم الجمال ، تحقيق محمود علي مكي بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي ، إشراف مولاي الحسن للبحوث ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، د. ت .
- ١٥- ابن القيم الجوزية / شمس الدين بن علي بن محمد بن أبي بكر (ت : ٧٥١هـ / ١٣١٥م)
- أحكام أهل الذمة ، حققه وعلق على حواشيه طه عبد الرؤوف سعد ، دار ابن خلدون ، ودار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥م .
- ١٦- ابن المؤقت / محمد بن محمد بن عبد الله
- السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، جزءان ، طبع حجر ، مراكش ، ١٣٣٥هـ .
- ١٧- ابن الوردي / سراج الدين أبو حفص زين الدين عمر المظفر (ت : ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)
- تنمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق أحمد رفعت البدرائي ، الطبعة الأولى ، الجزء الثاني ، دار المعارف ، بيروت ، ١٩٧٠م .
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، الناشر مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٨م .

- ١٨- ابن بطوطة / شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت : ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)
- تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) ، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧م .
- ١٩- ابن تغري بردي / جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الآتابكي (ت : ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، نشر دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٢م .
- ٢٠- ابن تيمية / تقي الدين الحراني (ت : ٧٢٨هـ / ١٣٢٧-١٣٢٨م)
- الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية ، تحقيق صلاح عزام ، الطبعة الأولى ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
- ٢١- ابن حجر / شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق نظير بن محمد الفاريابي ، مطبعة المصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٩م .
- ٢٢- ابن حوقل / أبو القاسم محمد بن علي البغدادي (ت : ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)
- صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م .
- ٢٣- ابن خرداذبة / أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت : ٣٠٠هـ / ٩١٢م)
- المسالك والممالك ، تحقيق دي خويه ، لندن ، الطبعة الثانية ، مطبعة بريل ، ١٩٦٧م .
- ٢٤- ابن خلدون / عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت : ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)
- العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٥٩م .
- المقدمة ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، ١٩٨٣م .
- التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، وتحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، نشر دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٢٥- ابن خلكان / أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت : ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٧م .

٢٦- ابن رشد / أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبي (ت : ٥٩٥هـ / ١١٩٨م)
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، راجع أصوله وعلق عليه عبد الحليم محمد عبد الحليم ، دار الكتب الإسلامية ، جزاين ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

٢٧- ابن سعيد / علي بن سعيد بن موسى (ت : ٦٨٥هـ / ١٢٨٩م)
- كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، بيروت ، منشورات المكتب التجاري للنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٧٠م .

٢٨- ابن صاحب الصلاة / عبد الملك محمد بن أحمد إبراهيم (ت : ٥٩٤هـ / ١١٩٧م)
- تاريخ المن بالإمامة مع المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثاني ، استخرجه من مخطوط أكسفورد عبد الوهاب التازي ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٤م .

٢٩- ابن عبد الرؤوف / أحمد بن عبد الله (القرن السادس الهجري)
- في أدب الحسبة والمحاسب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٤م .

٣٠- ابن عبدون / محمد بن أحمد التجيبي (من أهل القرن السادس الهجري)
- رسالة في القضاء والحسبة منشورة ضمن ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحاسب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

٣١- ابن غازي / أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد العثماني المكناسي (ت : ٩١٩هـ / ١٥١٣م)

- روض الهمتون في أخبار مكناسة الزيتون ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٤م .

٣٢- ابن عذاري / أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ - ١٣١٢م)
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان ، وليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠م .
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ، ومحمد ابن تاويت ، قسم الموحدين ، نشر دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م .

- ٣٣- ابن قتيبة / أبو عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)
- المعارف ، تصحيح وتعليق محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، المطبعة الإسلامية ، مصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٣٤م .
- ٣٤- ابن ماجة / الحافظ بن عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥هـ)
- سنن ابن ماجة ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وحديثه محمد فؤاد عبد الباقي (أربعة أجزاء) ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٨م .
- ٣٥- ابن مرزوق / محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني (ت : ٧٨١هـ / ١٣٧٩م)
- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٠م .
- ٣٦- ابن منظور / جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (٦٣٠ - ٧١١هـ)
- لسان العرب ، طبعة مصورة عن مطبعة بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبواب والنشر ، الدار المصرية للتأليف مطابع كوستا تسوماس وشركاه ، ٥ شارع الخريبطلي بالظاهر .
- ٣٧- أبو الفداء / السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الفضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر صاحب حماة (ت : ٧٣٢هـ)
- تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود مدرس العربية ، والبارون ماك كوكين ديسلان ، طبع في باريس بدار الطباعة السلطانية ، ١٨٤٠م .
- ٣٨- أبو يوسف / يعقوب بن إبراهيم (ت : ١٨٢هـ / ٧٩٨م)
- كتاب الخراج ، تحقيق محمود الباجي ، دار بو سلامة للطباعة والنشر ، تونس ، ١٩٨٤م .
- ٣٩- الإدريسي / أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسيني (ت : ٥٦٠هـ / ١١٦٤م)
- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مجلدين .
- ٤٠- الاصطخري / أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)
- مسالك الممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، ومراجعة محمد شفيق ، القاهرة ، ١٩٦١م .
- ٤١- الأنصاري / محمد بن القاسم السبتي (كان حياً سنة ٨٢٥هـ / ١٤٢١م)
- اختصار الأخبار عن مكان بئر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور ، الرباط ، ١٩٨٣م .

- ٤٢- البادي سي / عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد (ت : بعد سنة ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م)
- المقصد الشريف والمنزح اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تحقيق سعيد أحمد
اعراب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٨٢م .
- ٤٣- البكري / أبو عبيد الله بن عبد العزيز المرسي (ت : ٤٨٧هـ / ١٠٩٧م)
- المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ،
دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .
- ٤٤- البيذق / أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت : أواخر القرن السادس الهجري)
- أخبار المهدي بن تومرت ، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ، المؤسسة
الوطنية للكتاب ، الطبعة الثانية ، الجزائر ، ١٩٨٦م .
- ٤٥- التادلي / أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ، عرف بابن الزيات (ت : ٦١٧هـ /
١٢٢٠م)
- التشوف إلى رجال التصوف ، وأخبار أبي العباس السبتي ، تحقيق أحمد توفيق ،
المملكة المغربية ، جامعة محمد الخامس ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية
، الرباط ، دراسات رقم ٢٢ .
- ٤٦- الجاحظ / أبو عثمان عمرو بن بحر البصري (ت : ٤٣٩هـ / ١٠٧٢م)
- التبصر بالتجارة ، الطبعة الثانية ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٩٣٥م .
- ٤٧- الجرسفي / عمر بن عثمان (القرن السادس الهجري)
- رسالة في الحسبة منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ،
تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م .
- ٤٨- الجزنائي / أبو الحسن (ت : بعد سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٥م)
- جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق وتعليق عبد الوهاب بن منصور ،
المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٧م .
- ٤٩- الحكيم / أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد المديوني (ت : ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)
- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، دارى الشروق ،
الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٦م .
- ٥٠- الحميري / أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت : ٨٦٦هـ / ١٤٦٣م)
- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، طبع
بمطابع هايدلبرغ ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٤م .
- ٥١- الدمشقي / شمس الدين بن عبد الله بن محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت : ٧٢٧هـ /
١٣٢٦م)
- الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق البشري الشوربجي ، نشر مكتبة الكليات
الأزهرية ، الإسكندرية ، ١٩٧٧م .

- ٥٢- الذهبي / الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت : ٧٤٨هـ)
- سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ .
- ٥٣- الزركشي / أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي (ت : ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م)
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، نشر المكتبة العتيقة ، الطبعة الثانية ، تونس ، ١٩٦٦م .
- ٥٤- الزهري / أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت : أواسط القرن السادس الهجري)
- الجغرافيا ، تحقيق محمد الحاج صادق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٩٥٨م .
- ٥٥- السبتي / محمد بن القاسم الأنصاري السبتي (كتب الكتاب ٨٢٥هـ)
- اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الطبعة الثانية ، الرباط ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
- ٥٦- السعدي / عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي (ت : ١٠٦٥هـ / ١٦٥٥م)
- تاريخ السودان ، نشر هوداس ، باريس ، ١٩٦٤م .
- ٥٧- السقطي / أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي (كان حياً في القرن السادس الهجري)
- آداب الحسبة ، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال ، دار إير نيسست لرو ، باريس ، ١٩٣١م .
- ٥٨- الشافعي / أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت : ٢٠٤هـ / ٨١٩م)
- الأم ، أربعة أجزاء ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، د. ت.
- ٥٩- الشيزري / عبد الرحمن بن نصر (ت : ٥٨٩هـ / ١١٩٣م)
- كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق الباز العريني ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨١م .
- ٦٠- العبدري / أبو عبد الله محمد بن محمد الحبحي (قام برحلته ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م)
- رحلته المسماة بالرحلة المغربية ، حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسي ، وزارة الدولة لشئون الثقافة والتعليم ، جامعة محمد الخامس ، طبعة الرباط ، ١٩٦٨م .
- ٦١- العقباني / أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت : ٨٧٠هـ / ١٤٦٧م)
- تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشريعة وتغيير المناكر ، تحقيق علي الشنواني ، فرنسا ، ١٩٦٧م .

- ٦٢- العمري / أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت : ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد ذكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٤٢م .
- وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني ، مقتبس من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، نشر محمد المنوني ، الرباط ، مجلة البحث العلمي ، جامعة محمد الخامس ، العدد الأول ، السنة الأولى ، ١٩٦٤م .
- ٦٣- الغزالي / الإمام أبو حامد الغزالي (ت : ٥٠٥هـ)
- إحياء علوم الدين ، ضبطه وأخرج أحاديثه محمد محمد تامر ، خمسة أجزاء ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- ٦٤- الغساني / أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم (كان حياً حتى سنة ١٠١٩هـ)
- حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار ، تحقيق محمد العربي الخطابي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م .
- ٦٥- الفشتالي/أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي(ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)
- تذكرة علم الوثائق ، تحقيق لطيفة الحسني ، طبعة وزارة الأوقاف المغربية ، ١٩٧٧م .
- ٦٦- القزويني / أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود الأنصاري (ت : ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)
- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م .
- ٦٧- القفطي / جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي ، طبع بمطبعة السعادة ، مصر ، طبعة أولى ، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .
- ٦٨- القلقشندي / أبو العباس أحمد بن علي (ت : ٨١٢هـ / ١٤١٨م)
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، طبعة المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩١٥م .
- ٦٩- المالقي / أبو عبد الله محمد بن محمد السقطي المالقي الأندلسي (ت : ٥٠٠هـ)
- آداب الحسبة، تحقيق حسن الزين، مؤسسة دار الفقه الحديث، بيروت، ١٩٨٧م .
- ٧٠- الماوردي / أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت : ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.
- ٧١- المجليدي / أحمد بن سعيد المجليدي (ت : ١٠٩٤هـ)
- التيسير في أحكام التسعير ، تحقيق موسى إقبال ، الجزائر ، ١٩٧٠م .

- ٧٢- المراكشي / أبو عبد الله محمد بن عبد الملك (ت : ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)
 - الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م .
- ٧٣- المراكشي / عبد الواحد بن علي (ت : ٦٤٧هـ / ١٣٤٩م)
 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ضبطه وصححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة ، الكتاب الثالث ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- ٧٤- المغيلي / محمد بن الكريم المغيلي التلمساني (ت : ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م)
 - مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تقديم وتحقيق رايح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٦٨م .
- ٧٥- المقدسي / أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت : ٣٧٥هـ / ٩٨٥م)
 - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، الطبعة الثانية ، ليدن ، ١٩٠٦م .
- ٧٦- المقرئ / شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت : ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)
 - أزهار الرياض في أخبار عياض ، ثلاثة أجزاء ، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٠-١٩٤٢م .
- نفع الطبيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .
- ٧٧- المقرئ / تقي الدين أحمد بن علي (ت : ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)
 - إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٠م .
- شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق محمد السيد علي ، الطبعة الخامسة ، النجف ، ١٩٦٧م .
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٤١-١٩٤٢م .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مطبعة الساحل الجنوبي ، الشياح ، لبنان ، د. ت.

- ٧٨- الوزان / الحسن بن محمد الفاسي الزياني (ليون الأفريقي) (ت : ٩٥٩هـ / ١٥٥٢م) - وصف أفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، ومراجعة على عبد الواحد ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول بمدينة الرياض ، ١٣٩٩هـ .
- ٧٩- الونشريسي / أحمد بن يحيى (٨٣٤ - ٩١٤هـ / ١٤٣١ - ١٥٠٨م) - المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب ، إشراف محمد حجي وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨١م .
- ٨٠- الناصري / أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي (ت : ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م .
- ٨١- النباهي / أبو الحسن بن عبد الله الحسن المالقي (ت : ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) - تاريخ قضاة الأندلس المسمى بكتاب المرتبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٤٨م .
- ٨٢- النسائي / أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت: ٣٠٣هـ / ٩١٥م) - السنن الكبرى ، تحقيق حسن عبد المنعم حسن شلبي ، مؤسسة الرسالة ، طبعة أولى ، لبنان ، ٢٠٠١م .
- ٨٣- التويري / شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت : ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) - نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الرابع والعشرون ، تحقيق حسين نصار ، ومراجعة عبد العزيز الأهواني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣م .
- ٨٤- اليعقوبي / أحمد بن يعقوب بن راضح الكاتب المعروف باليعقوبي (ت : ٢٨٤هـ) - كتاب البلدان ، اعتناء دي خويه ، مطبعة بريل ، لندن ، ١٨٩٢م .
- ٨٥- مارمول كرفجال (ت : آخر القرن العاشر الهجري) - أفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد توفيق ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، ١٩٨٩م .
- ٨٦- مالك بن أنس / الإمام أبو عبد الله بن انس الأصبحي عالم المدينة المنورة (ت : ١٧٩هـ / ٧٩٥م) - المدونة الكبرى برواية الإمام محنون بن سعيد ، الجزء الثالث عشر ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٣هـ .

٨٧- مسلم / الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري : (٢٠٤-٢٦١هـ)

- صحيح مسلم ، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبدالحليم، مكتبة الصفا ، الطبعة الاولى. ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م

٨٨- مجهول (مؤلف من القرن السادس الهجري)

- الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦م .

٨٩- مجهول (مؤلف من القرن السادس الهجري)

- كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين ، تحقيق أويني ميراندا، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد التاسع والعاشر ، ١٩٦١-١٩٦٢م .

٩٠- مجهول (مؤلف من أهل القرن الثامن الهجري)

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩م .

٩١- ياقوت الحموي / شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت : ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

- معجم البلدان ، الناشر دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م .

٩٢- يحيى بن عمر (ت : ٢٨٩ / ٩٠١م)

- النظر والأحكام في جميع أحوال السوق ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، راجعه فرحات الدشراوي ، تونس ، ١٩٧٥م .

رابعاً : المراجع العربية الحديثة والمعربة :

١- إبراهيم حركات

- المغرب عبر التاريخ ، نشر دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٨م .

٢- أحمد يوسف الدرويش .

- أحكام السوق في الإسلام وأثرها الاقتصادي الإسلامي ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٩٨٩م ..

٣- آدم ميتز .

- الحضارة الإسلامية ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ، ١٩٤١م .

- ٤ - أمين توفيق الطيبي .
- أثر الإسلام الحضاري في غانا ومالي في العصر الوسيط (القرن العاشر - القرن الرابع عشر) ، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ن الناشر كلية الدعوة الإسلامية ، تطوان ، ١٩٩٨ م .
- ٥ - الأمين عوض الله .
- تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي ، من كتاب نجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، معهد الدراسات العربية بغداد ، ١٩٨٤ م .
- العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطينين الإسلاميتين مالي والسنغال ، دار المجمع العلمي جدة ، ١٩٧٩ م .
- ٦ - الحبيب الجنحاني .
- المجتمع العربي الإسلامي ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، عالم المعرفة ، رقم ٣١٩ ، الكويت ، ٢٠٠٥ م .
- ٧ - السيد السابق .
- فقه السنة ، مكتبة الفتح للإعلام العربي ، الطبعة الحادية والعشرون ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- ٨ - السيد عبد العزيز سالم .
- تاريخ مدينة المنيا الإسلامية ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٦٩ م .
- المغرب الإسلامي ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ م
- الحضارة الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٦ م .
- ٩ - الشرياصي .
- المعجم الاقتصادي الإسلامي ، دار الجيل بيروت ، ١٩٨١ م .
- ١٠ - الصديق بن العربي .
- كتاب المغرب ، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
- ١١ - العباس بن إبراهيم التعارجي السملالي قاضي مراکش (ت: ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م) .
- الإعلام بمن حل مراکش وأغمات من الأعلام ، الجزء الأول ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٧٣ م .

١٢- ألفرد بل .

- الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار ليبيا للنشر ، بني غازي ، ١٩٦٩م .

١٣- المعجم الوجيز .

- إعداد مجمع اللغة العربية ، طبعة خاصة ، وزارة التربية والتعليم ، ٢٠٠٨م .

١٤- المعجم الوسيط .

- إعداد مجمع اللغة العربية ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

١٥- توفيق سلطان اليوزيكي .

- النظم العربية الإسلامية ، الطبعة الثالثة ، بغداد ، ١٩٨٨م .

١٦- ج . س . كولان .

- الأندلس ، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان ، دار الكتاب

الليباني ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٠م .

١٧- جبران مسعود .

- معجم رائد الطلاب ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٧م .

١٨- جمال أحمد طه .

- مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين ، دراسة سياسية وحضارية ، دار

الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ٢٠٠١م .

١٩- حاييم زعفراني .

- ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ترجمة أحمد شملان وعبد الغني أبو العزم ،

دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧م .

٢٠- حسن إبراهيم حسن .

- تاريخ الإسلام، دار الجبل، الطبعة الثالثة عشر، بيروت ، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٢١- حسن أحمد محمود .

- قيام دولة المرابطين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

٢٢- حسن حسني عبد الوهاب .

- ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس ، ١٩٦٤م .

٢٣- حسن ظاظا ، والسيد محمد عاشور .

- اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

٢٤- حسن على حسن .

- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين ،
مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

٢٥- حسين سيد عبد الله مراد .

- الأوقاف مصدراً لدراسة مجتمع فاس في العصر الماريني ، طباعة ونشر الزهراء
كمبيوسنتر ، القاهرة ٢٠٠٢م .

٢٦- حسين مؤنس .

- فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
- معالم تاريخ المغرب والأندلس ، الناشر دار الرشاد ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ،
١٩٩٩م .

٢٧- خير الدين الزركلي .

- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين ، عشرة أجزاء ، مطبعة كوستينا ستوماس وشركاه ، الطبعة الثانية ،
القاهرة ، ١٩٥٦م .

Ahmad Sâed Riza

٢٨- رويار برونشفييل .

- تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس
عشر ، ترجمة حماد الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى، بيروت ،
١٩٨٨م .

٢٩- روجيه لوطورنو .

- فاس في عصر بني مرين، ترجمة نيقولا زيادة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٧م .
- فاس قبل الحماية، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي،
بيروت ، ١٩٩٥م .

٣٠- سعد زغلول عبد الحميد .

- تاريخ المغرب العربي ، دار المعارف ، ١٩٦٥م .

٣١- سلامة محمد سليمان الهرفي .

- دولة المرابطين ، دار الندوة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣٢- صبحي الصالح .

- النظم الإسلامية ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٩م .

- ٣٣- عبادة بن عبد الرحمن رضا كحيلة .
- العقد الثمين في تاريخ المسلمين ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٣٤- عبد الأحد السبتي - حليلة فرحات .
- المدينة في العصر الوسيط ، قضايا ووثائق من تاريخ المغرب الإسلامي ، الناشر الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي .
- ٣٥- عبد الحميد حسين حمودة .
- أسواق القيروان في عصر الأغالبة ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، مجلة الدراسات الإفريقية ، رقم ٦٥ ، نشرة خاصة ، ٢٠٠١م .
- ٣٦- عبد الرحمن بشير .
- اليهود في المغرب العربي ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
- ٣٧- عبد الرحمن بن محمد الجيلاني .
- تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٢م .
- ٣٨- عبد السلام التروماني .
- الرق ماضيه وحاضره ، عالم المعرفة ، عدد ٢٣ ، الكويت ، ١٩٧٩م .
- ٣٩- عبد العزيز بن عبد الله .
- مظاهر الحضارة المغربية ، دار السلم ، الطبعة الأولى ، المغرب ، ١٩٥٧م .
- معطيات الحضارة المغربية ، دار الكتب ، الرباط ، ١٩٦٣م .
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية ، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية ، الطبعة الأولى ، المغرب ، ١٩٧٥م .
- العوامل الاجتماعية والاقتصادية للمشكل الديموغرافي بالمغرب ، ضمن كتاب ندرة الماء والتغذية وتزايد السكان ، بإشراف أكاديمية المملكة المغربية ، القسم الثاني ، مراكش ، ١٩٨٢م .
- إمكانات اقتصادية وسياسية ودبلوماسية ، ضمن كتاب الإمكانيات الاقتصادية والسيادة الدبلوماسية ، نشر أكاديمية المملكة المغربية ، فاس ، ١٩٨٣م .
- ٤٠- عبد المنعم سلطان .
- الأسواق في العصر الفاطمي ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧م .

- ٤١- عبد الوهاب المسيري .
- الأيديولوجية الصهيونية ، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة ، الجزء الأول ،
عالم المعرفة ، العدد ٦٠ ، الكويت ، ١٩٨٢م
- ٤٢- عبد الوهاب منصور .
- قبائل المغرب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٨م .
- ٤٣- عبد الهادي التازي .
- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، مطبعة فضالة المحمدية ،
١٩٨٨م .
- ٤٤- عثمان الكعاك .
- الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ، معهد الدراسات العربية العالية ،
القاهرة ، ١٩٦٥م .
- ٤٥- عز الدين أحمد موسى .
- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار
الشروق ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م .
- ٤٦- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي .
- تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٠م .
- ٤٧- عقيلة مراجع الغناوي .
- سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة بني غازي ، الطبعة الأولى ، بيروت،
١٩٧٥م .
- ٤٨- علي محمد جمعة
- المكايل والموازن الشرعية ، دار الرسالة القاهرة طبعة ثانية ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
- ٤٩- علي محمد محمد الصلابي .
- إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين ، سقوط الأندلس الإسلامية ومحاكم
التفتيش البربرية ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- ٥٠- غوستاف لوبون .
- حضارة العرب، ترجمة محمد عادل زعيتر، دار إحياء الكتب، القاهرة، ١٩٥٦م .
- ٥١- فالتر هنتس .
- المكايل والأوزان الإسلامية ، ترجمة كامل العسيلي ، عمان ، ١٩٧٠م .

٥٢- كمال السيد أبو مصطفى .

- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي " من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشاليسي " ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ١٩٩٦م .

- تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصري دولتي المرابطين والموحدين ، مركز الإسكندرية للكتاب .

٥٣- لويس ارشيبالد .

- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٦٠م .

٥٤- لويس ماسينيون .

- المغرب في السنوات الأولى للقرن السادس عشر ، مطبعة جوردان ، الجزائر ، ١٩٦٠م .

٥٥- ليفي بروفنسال .

- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحاسب ، المعهد الفرنسي ، ١٩٥٥م .
- آداب الحسبة وتاريخها ، ترجمة عبد الهادي شعيرة ، مراجعة عبد الحميد العبادي ، القاهرة ، ١٩٥١م .

- الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة محمود عبد العزيز ومحمد صلاح حلمي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
- حضارة المغرب العربي ، منشورات دار الحياة .

٥٦- محاسن محمد الوقاد .

- اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ١٣٥ ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

٥٧- محمد أحمد زيود .

- التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي الإسلامي ، منشورات جامعة دمشق ، ١٩٩٤م .

٥٨- محمد بن أحمد بن شقرون .

- مظاهر الثقافة المغربية (دراسة في الأدب المغربي في العصر الماريني) دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥م .

٥٩- محمد بن تاويت .

-- تاريخ ستة ، نشر الجمعية المغربية للتأليف ، دار الثقافة ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢ م .

٦٠- محمد حجي .

- موسوعة أعلام المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٦ م .

٦١- محمد حسن أبو يحيى .

- نظام الأراضي في حدود الدولة الإسلامية، دار عمار ، الطبعة الأولى ، عمان ، ١٩٨٢ م .

٦٢- محمد ضياء الدين الرئيس .

- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار الأنصار ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

٦٣- محمد عبد الله عنان .

- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

- دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الموحدين ، الجزء الخامس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٣ م .

٦٤- محمد عبد الستار عثمان .

- المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، رقم ٢٨ ، الكويت ، ١٩٨٨ م .

٦٥- محمد علي الفاروقي .

- كشاف اصطلاحات الفنون ، المجلد الأول ، تصحيح محمد وجيه وآخرون ، طبعة شيانك سيو ميس اف بنكا ، ١٨٦٣ م .

٦٦- محمد عيسى الحريري .

- مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي الدولة الرستمية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٣ م .

- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم الطبعة الثانية، الكويت ، ١٩٨٧ م .

٦٧- محمد فتحة .

- النوازل الفقهية والمجتمع ، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن ٦ إلى القرن ٩ الهجري / من القرن ١٢ إلى ١٥ ميلادي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، ١٩٩٩م .

٦٨- محمد المنوني .

- ركب الحاج المغربي ، مطبعة المخزن ، تطوان ، ١٩٥٣م .
- العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار المغرب ، الرباط ، ١٩٧٧م .
- تاريخ الوراقة العربية ، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الطبعة الأولى ، الرباط ، ١٩٩١م .
- ورقات عن حضارة المرينيين ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة ، الطبعة الثانية ، الدار البيضاء ، ١٩٩٦م .
- خطة الحسبة في المغرب (من كتاب الفقيه المنوني أبحاث مختارة) منشورات وزارة الثقافة ، مطبعة دار المناهل ، الرباط ، ٢٠٠٠م .

٦٩- مقلد الغنيمي . Ahmad Saeed Rizq

- موسوعة تاريخ المغرب العربي ، مكتبة المدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

٧٠- مورييس لومبارد .

- الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي ، الجزائر ، ١٩٦٦م .

٧١- موسى لقبال .

- الحسبة المذهبية لبلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر ، ١٩٧١م .

٧٢- نجاة باشا .

- التجارة في المغرب الإسلامي من القرن ٤ الهجري إلى القرن ٨ الهجري ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، ١٩٧٦م .

٧٣- نعيم زكي .

- طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م .

٧٤- نيقولا زيادة .

- الحسبة والمحاسب في الإسلام ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٢م .

٧٥- ول ديورانت .

- قصة الحضارة وعصر الإيمان ، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .

٧٦- يوسف أشباح .

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

خامساً : الدوريات العلمية العربية :

١- إبراهيم بركات .

- الحياة الاجتماعية في عصر بني مرين ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد الخامس ، الرباط ، ١٩٧٩ م .

- الحياة الاقتصادية في العصر المريني ، مجلة كلية الآداب ، العدد الثالث والرابع ، الرباط ، ١٩٧٨ م .

٢- أحمد الطوخي .

- القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، العدد ٢٨ ، ١٩٨١ م .

Ahmad Saeed Rizq

٣- أحمد مكي .

- معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر ، مجلة المجلة ، العدد ٤٩ ، ١٩٦٠ م .

٤- الصديق بن العربي .

- طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب ، مقال منشور في مجلة تطوان ، العدد الأول ، ١٩٦٥ م .

٥- الفريد بيل .

- مقال نشر بالجريدة الأسبوعية ، عدد مارس ، إبريل ، ١٩١٧ م .

٦- أمين توفيق الطيبي .

- النشاط الاقتصادي والعلمي بمدينة سبتة المغربية القرن ٨هـ/١٤م ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ، العدد الثاني ، يوليو ، ١٩٨٢ م .

- دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ١٩٨٤ م .

٧- ج. ت. نياني - اليونسكو .

- تاريخ أفريقيا العام ، المجلد الرابع ، أفريقيا من القرن ١٢م إلى القرن ١٦م .

- ٨- حسن علي حسن .
- الغزو الهلالي للمغرب (أسبابه ونتائجه) ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٢٤ سنة ١٩٧٧ م .
- ٩- سعد الشرايبي .
- مدينة فاس دار للسكة على امتداد اثنا عشر قرناً ، مجلة دعوة الحق ، العدد ٣٨٨ ، ٢٠٠٧ م .
- ١٠- صباح إبراهيم .
- العناصر السكانية في مدينة فاس من خلال كتاب بيوتات فاس الكبرى ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد الثامن ، ١٩٨٤ م .
- ١١- طاهر أحمد مكي .
- معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر الهجري بين سلطان مصر وملك أرغون ، مجلة المجلة ، العدد ٤٩ ، يونيو ويوليو ، ١٩٦٠ م .
- ١٢- عبد الأحد الرايس .
- الفوائد التاريخية لتصنيف النباتات بفاس من خلال كتاب حديقة الأزهار لأبي القاسم الغساني ، القرن ١٠هـ / ١٦م ، مجلة التاريخ العربي ، العدد ١٨ ، ربيع ٢٠٠١ م .
- ١٣- عبد السلام بن سودة .
- حول أسماء الحرف والصناعات في مدينة فاس ، مجلة دعوة الحق ، العدد الأول والثاني ، المغرب ، ١٩٧١ م .
- بيوتات فاس في القديم والحديث ، مجلة البحث العلمي ، العدد ٢٢ ، يناير وإبريل ، ١٩٧٤ م .
- ١٤- عيد القادر زمامة .
- أسماء الحرف بفاس ، مجلة اللسان العربي ، المجلد الأول ، الرباط ، ١٩٧٠ م .
- وثيقة حضارية عن شبكة توزيع المياه في فاس القديمة ، مجلة البحث العلمي ، العدد ٣١ ، أكتوبر ، ١٩٨٠ م .
- فاس وصناعاتها التقليدية ، مجلة كلية الآداب بفاس ، العدد الرابع والخامس ، ١٩٨٠ و ١٩٨١ م .
- أزمة التجار في الأندلس ، مجلة المنهل ، العدد ٣٥ ، المغرب ، ١٩٨٥ م ..

- ١٥- عثمان إسماعيل .
- الصاع والمد النوبي العلوي، مجلة دعوة الحق، العدد ٢٧٦، الرباط، ١٩٧٩م .
- ١٦- فنان عبد القادر .
- أسوار مدينة فاس - أصالة أم حاجز ، مجلة كلية الآداب بفاس ، العدد الخاص، ١٩٨٥م .
- ١٧- قاسم عبده قاسم .
- الأسواق في مصر في عصر سلاطين المماليك ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد السادس ، والسابع ، والثلاثون ، ١٩٧٤ و ١٩٧٥م .
- ١٨- كمال عناني إسماعيل .
- عمران سبتة كما شاهده ووصفه السبتي ، مجلة المؤرخ العربي ، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، العدد السابع ، القاهرة ، ١٩٩٩م .
- ١٩- لويس ماسينيون .
- الهيئات الحرفية والمدنية الإسلامية ، ترجمة أكرم فاضل ، مجلة المورد ، العدد الثالث ، بغداد ، ١٩٧٣م .
- ٢٠- محمد الشريف .
- الجالية المغربية ببلاد السودان الغربي القرن ٨هـ / ١٤م ، مجلة التاريخ العربي ، العدد ١٤ ، ٢٠٠٠م .
- ٢١- محمد المنوني .
- الإمبراطورية الموحدية في طور الانحلال ، مجلة دعوة الحق ، العدد الثاني ، السنة الثامنة ، ١٩٦٤م .
- تعريف الدولة المرينية ، مجلة دعوة الحق ، العدد الثالث ، السنة الثامنة ، ١٩٦٥م .
- نظم الدولة المرينية ، مجلة البحث العلمي ، السنة الأولى ، العدد الرابع والخامس ، الرباط ، ١٩٦٥م .
- تاريخ المصحف الشريف بالمغرب ، مجلة دعوة الحق ، العدد الرابع ، المحمدية ، ١٩٨١م .
- دور الأوقاف المغربية في التكامل الاجتماعي عبر عصر بني مرين ، مجلة دعوة الحق ، العدد ٢٣٠ ، الرباط ، ١٩٨٣م .
- ٢٢- محمد فتحة .
- جوانب من الحياة الاقتصادية المغربية خلال العصر المريني ، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد الثاني ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥م .

سادساً : الرسائل العلمية :

- ١- حسن علي حسن .
- الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣م .
- ٢- حصين السيد عبد الله مراد .
- قبائل المصامدة منذ الفتح الإسلامي حتى قيام دولة الموحدين ، رسالة دكتوراه ، معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩١م .
- ٣- حورية عبده سلام .
- علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م .
- ٤- سوزي أباطة محمد حسن داود .
- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى من تمام الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية من ٩٢-٢٩٦هـ/٧١١-٩٠٩م ، رسالة دكتوراه ، معهد الدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٦م .
- ٥- عاشور بوشامة .
- علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب الأقصى والأندلس ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٩١م .
- ٦- عبلة محمد سلطان لطيف .
- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدن جنوب المغرب عصر المرابطين والموحدين من ٤٥٠-٦٦٨هـ/١٠٥٨-١٢٦٩م ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢م .
- ٧- عطا على محمد شحاتة رية .
- اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين ، والوطاسيين من ٦٦٨-٩٦٢هـ/١٢٦٩-١٥٥٤م ، معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٧م .
- ٨- عفيفي محمود إبراهيم عبد الله .
- أحوال بلاد المغرب الاقتصادية في ظل السيادة الفاطمية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م .
- مظاهر الحضارة في بلاد المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر حتى منتصف القرن السادس الهجري ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠م .

٩- عيسى بن الذيب .

- التجارة في عصر دولة المرابطين ٢٨٠-٥٤٠هـ/١٠٥٦-١١٤٥ م . رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٠ م .

١٠- محمد عادل عبد العزيز .

- الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين ٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٢ م .

١١- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر .

- القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٥ م .

١٢- نوال على عبد العزيز .

- علاقات المغرب الأقصى الخارجية في عهد بني وطاس ، رسالة دكتوراه ، معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩١ م .

سابعاً : المراجع الأجنبية :

- 1- **Alfred Bel** : Contribution a L'élude des dirhems de L'époque Almohade d'après un groupe Important des ces monnaies , récemment découvert a Tlemcen , Hes pérís 1933 , Tome XVI Fox I el II p .
- 2- **Amari (Di Michel)** : I diplo Arabe , Del Archivio , V , I . Fir enz , Le Monnier , 1863 .
- 3- **Blacher (R)** : Fès chez Les Géographes Arabs de Moyen Age , Hes pérís , F . 18 .
- 4- **De Maslatrie , (L.)** : Relations et Commerce de l'Afrique Septentrionale avec Les nations chrétiennes au moyen âge Librairie de Firmin Di dot Paris , 1886 .
- 5- **Dufourcq , (Ch. . E)** : La Vie coutidienne dans Ies ports mediterraneines au moyen âge , Hachette , Paris , 1975 .
- 6- **Lavoix** : Catalogue des monnaies muscle man's de la Bibliothèque nationale Paris , 1891 .
- 7- **Sayous** : Le commerce des Européens a Tunis depuis le XII eme Siècle Jusqu' a La fin du XVII Siècle Expose ET documents Publiée par L'académie des sciences Coloniale Paris , 1929 .